

منتديات ليلاس الثقافية

القراءة زاد المعرفة ، والتفكير .. لتسخير المعرفة

علي مولا

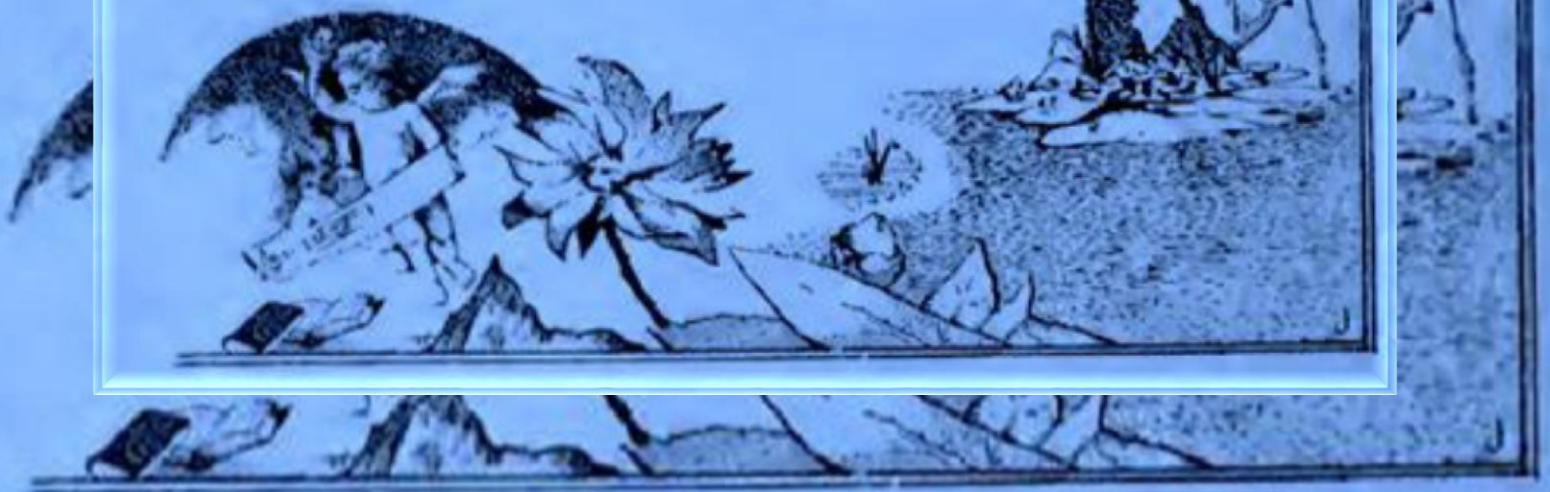
مؤلفات محمد بن ميمون

الجزء الاول

وبعض الروح

لفقيه الادب والمسرح

محمد بن ميمون



PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

PJ Taymur, Muhammad
7864 Mu'allafat Muhammad Taymur
A54
1922
v.1



PJ
7864
A54
1922
v.1

حقوق الطبع محفوظة للناشر

١٣٤٠ الطبعة الاولى ١٩٢٢

مطبعة الإعتماذ بشارة حسن الأكبر بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا كتاب « وميض الروح » الصرح الأول من مجهود الشاب
الراحل فقيده الأدب والمسرح المرحوم محمد تيمور ، أقدمه بلهور الأدباء
والفنيين صورة لشعلة نفسه ، وخلاصة لمجهود شبابه

وقد ضمنتها شعره ونثره ، وصدرته برسالة عن تاريخ حياته وشرح
مؤلفاته ، يفهم منها القارى نفس المؤلف فيستطيع أن يفهم أعماله من

اهداء الكتاب

الى محمد تيور الصغير

اليك يا بني أهدي مؤلف أبيك ، اليك أهدي خلاصة نفسه
ووميض روحه ، ذلك الكنز الخالد والارث الذي لا يفنى .
ان روحك مكتملة لروحه ، ونفسك متممة لنفسه ، فانظر الى عمل
أبيك الذي بدأه بعزم صادق ، وحقق آماله العالیه التي كانت تختلج
في فؤاده .

سر في سبيله مهتدياً برأيه مستنيراً بمطامعه ، وابنٍ مستقبلك على
ذلك الأساس الثابت الذي أفنى شبابه في اقامته .

كلا كما لم بر صاحبه !

ولسكنك سوف تراه من بين ثنايا سطوره ، وسوف يراك من خلف
كلماته . سوف تشعر بنفسه فائضة من شعره ، وسوف يشعر بنفسك
مشبعة بمواطنه . فامعن النظر في هذه السطور والكلمات ، وأزوج
بدمك جمال الفن وروعته ، وابدأ من حيث وقف ، واتته الى حيث كان
يطمع .

هكذا ستعرف أباك خالداً ، وسيعرفك عاملاً في المخلص

محمود نبور



محمد نجبور الصغير نجل المرحوم محمد بك نجبور
الطفل الذي لم يره أبوه

الى أخى

لم أقم يوم تأييدك لأقل كلمتى عنك لأننى فى كل يوم أؤيدك
وأحدث عنك بمبرة فائضة مستديمة . ولم اكتب على صحائف الجرائد
رثاء لك لأن نفسى مازالت الى اليوم تكتب على صحائف قلبى رثاءك
الطويل .

كنت شقيقى فأمتعتى حيناً بحنوك وعطفك ، وكنت أستاذى
فكونت نفسى بحسن ارشادك وتعاليمك ، وكنت صديقى بجمات قلبى
مستودع أسرارك ونفسى مستقر مطامعك .

فإن تبرح غيبتى « يا شقيقى » ما دام فى الدنيا حنو وعطف ، وإن
يتضاءل شبحك من رأسى « يا أستاذى » ما دامت نفسى هى نفسى
وشعورى هو شعورى ، وإن تفنّ أبتسامتك من قلبى « يا صديقى »
ما دامت أسرارك منقوشة على قوادى ومطامعك ممزوجة بدى .
الوداع .

شقيقك الباكي

محمود



محمد نيجور في العقد الثالث من عمره

هيهتوا لي في باطن الأرض قهراً
في ظلام القبور راحة نفسي
وادفنوا في التراب ديوان شعري
فوق قلمي المملوء بالأوصاف
عزير نراق ذلك الكتاب
في ظلام الحياة نور شهابي
هو بعضي فهل أموت وأنسى

محمد نيجور

مجلد سوم

حیات و اعمال

بنام شفیقہ

محمد زین العابدین

تاريخ حياته

في الرابع والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٢١ قضى الشاب النابه الاديب أمير المسرح المصري محمد تيمور ولما يبلغ الثلاثين بعد . قضى وهو في مبدأ حياة النضال والعمل وفي أول درجة من درجات مجده الذي بناه بعمله لا بحسبه . قضى وهو يسمى جهده في سبيل تحقيق أمانيه الحلوة الطيبة أماني الشباب العامل لاصلاح الادب المصري والمسرح المصري .

لم تكن تلك السنين القصيرة التي قضاها في الحياة بكافية لان تنيله مبتغاه واسكنها كانت كافية لان تظهر شخصيته القوية النادرة التي كانت تنمو وريداً يغذيها ذلك الشعور العميق وتلك المواهب العقلية الثابتة . ان أهم ما يعنى به المترجم في كتابته تواريخ الحياة هو معرفة أطوار حياة الشخص المراد ترجمة حياته وتأثير البيئات التي عاش فيها واطلاعه على امياله صغيراً وشاباً ورجلاً والاسباب التي ساعدت أو لم تساعد على نمو تلك الأميال فان . مظاهر تلك الاميال في حياة الشخص طفلاً كان أو غلاماً اعلى جانب عظيم من الاهمية في معرفة مواهبه العقلية وشخصيته الكامنة . واعلى لو تتبعنا ذلك السبيل في ترجمة حياة الفقيه أمكنني أن أعرض للقراء صورة حقيقية لحياته .

أطوار حياته

أن حياة الفقييد تنقسم الى ثلاثة أطوار قصيرة الامد . الطور الاول منزله ومدرسته (أى حياته الاولى فى مصر) والطور الثانى حياته فى أوروبا وبالاخص فى فرنسا . والطور الثالث حياته الثانية فى مصر (بعد رجوعه من أوروبا) .

أما حياته الأولى فى مصر فقها تكونت مواهبه ونمت وساعدها على هذا النمو البيئة المنزلية . أما حياته فى أوروبا فقها تفتحت أعينه للجديد النافع وتشربت نفسه بالديموقراطية العالية والمساواة وامتلا قلبه بالمطامع والآمال - آمال الهدم والبناء ، هدم القديم الرث من المذاهب الاجتماعية كانت أو أدبية . وبناء الصالح النافع من الأنظمة والمذاهب الجديدة . وطوره الأخير كان طور العمل ففیه ظهرت كتاباته ورواياته التى سنأتى على شرحها ليعرف القارئ قيمة الفقييد ومقامه الادبى فى مصر وتأثيره الفعال فى تطور المسرح المصرى

الطور الاول

الفقير نأراً وناظراً

ان المواهب طبعية لاتزرع فى عقول الاشخاص بل تمنح لهم منحاً ونخلق منهم خلقاً وامل للوراثة اكبر عامل فى تكوينها . وعلى هذا القياس أقول ان مواهب الفقييد الادبية تكونت بفعل الوراثة ثم نمت وكبرت بفعل البيئة المنزلية التى كانت أكبر مشجع ومساعد لها .

فكان يرى من أبيه قدوة حسنة يقتدى به واماماً صالحاً يحتذى حذوه
وكان يسمع دائماً عن شهرة عمته السيدة عائشة هانم النيمورية ومقامها
بين الشعراء وكان يحفظ وهو في الثامنة من عمره معاقبة امرئ القيس
وبعض مقطوعات نظمية من شعر العرب بارشاد والده ومساعدته فتمت
ملكته النظم وكبر ميله للأدب فاستطاع أن يقرض الشعر وهو في
العاشرة من عمره وبدأ يكتب المقالات في الجرائد وهو لم يبرح المدرسة
الابتدائية . وكان محباً للصحافة يصرف وقت العطلة في تحرير الجرائد
المنزلية التي كان يعدها تسلياً له على تضييع الوقت . ولما انتقل إلى المدرسة
الثانوية وتوسع في دراسة العلوم العربية من آداب ونحو وبلاغة وبيان ظهر
على أقرانه وتفوق عليهم في الإنشاء . ولم يقصر نفسه على دراسة الآداب
في المدرسة بل كان يطالع دواوين الأقدمين خصوصاً ديوان المتنبي
والمرعي وأبي نواس فتحسن أسلوبه في النظم وارتقى فجعل ينظم غير
قصائده الخصوصية قصائد الترحيب والتكريم للاعبين الكرة من
المدارس المختلفة وكان يلقبها بنفسه في المقاصف التي كانت تعدها المدرسة ،
والفريد وقتئذ أحد أفراد فرقة لاعبي الكرة لمدرسته ، وقصائد المدح
والثناء والوداع لاسانئده في نهاية السنين الدراسية حتى لقبوه الجميع
« بشاعر المدرسة الخديوية » أما كتاباته في الجرائد فكان يخص المؤيد
بمعظم مقالاته

أما علاقته بالتمثيل فقد كانت قوية منذ الصغر فقد تمكن حب هذا
الفن من فؤاده حتى صار جزءاً منه والذي ساعده على تقوية هذا الميل

تردده كثيراً منذ الصغر على جوق الشيخ سلاوة حجازى لمشاهدة رواياته . ولكن علاقته بهذا الفن حينما كان صغيراً لم تكن قاصرة على مشاهدة الروايات حسب بل على تأليف فرق تمثيلية عائلية كان هو بطلها ومؤلفها التمثيلي

هذا يجعل لتاريخ الفقيد في طوره الاول أما الكلام على نثره ونظمه في ذلك الوقت فكما يلي : مقالاته في الجرائد وبالاخص في المؤيد كانت حسنة الاسلوب ذات مواضيع اجتماعية وأخلاقية تهتم الناس بتنازل تلك الروح المنبثة بمستقبل جميل في الكتابة والتحرير ونحن لا ننسى سلسلة مقالاته في الوطنية التي شرح فيها معنى الوطنية الحقة وكيف يكون المصرى وطنياً بعمله لا بقوله ، ولا سلسلة تلك المقالات الانتقادية التي انتقد فيها كثيراً من عوائدنا الخبيثة . أما قصائده فكان يحتذى فيها حدوا لا قدمين ويقيد نفسه بهم فلم تكن له شخصية ظاهرة فيها ولكنها كانت ذات أسلوب رشيق

كان نثره ونظمه في ذلك الوقت يفوق كثيراً ما نقرأه اليوم من نثر ونظم لكثير من الطلبة والمهريين ولكن الفقيد أهمله اهمالاً كبيراً بعد عودته من أوروبا حتى لم نعلم على شيء منه في أوراقه لانه كان يعمده عملاً ناقصاً لا أهمية له . والحقيقة أن البون كان شاسعاً بين كتاباته قبل سفره وبعد رجوعه وهذا يدل دلالة ساطعة على تأثير البيئة هناك على أفكاره وما اكتسبه من المطالعة في الآداب الفرنسية وتأثير امتزاجه بطبقة المتعلمين وغير ذلك مما سيأتى ذكره بعد حين

الطور الثاني

مباني في أوروبا (عمره الاننتفال)

نال الفقيهيد شهادة البكالوريا وقصد برلين ليتعلم الطب ومكث هناك شهرين ولكنه سافر منها الى فرنسا ليتعلم القانون لظروف خاصة لاداعي لذكرها . لم يكن في الحقيقة ميالا لتعلم الطب أو القانون بل كان قلبه مشبعاً بحب الآداب ، وشهادة الآداب ليست بالشهادة التي ينظر اليها المصري بعين الرضى . فاضطر الفقيهيد أن يدرس القانون بالرغم منه ولكنه في الوقت نفسه كان يعمل للآداب فصرف جل وقته في المطالمة نثراً ونظماً . مكث في فرنسا متنقلاً بين ليون وباريس ثلاث سنوات لم يتم فيها علم القانون وكان يصرف من كل سنة شهراً أو شهرين في مصر بين عائلته فلما أن عاد ثالث دفعة وصرف كالمعتاد وقت الاجازة في مصر وأراد الرجوع لاتمام دروسه أفتلت الحرب العظمى (سنة ١٩١٤) أبواب البحر والبر فاضطر الى المسكوث في مصر صاغراً معاملاً النفس بانتهائها ليتيسر له الرجوع حيث كان ولكن الحرب طالت فداخله اليأس والحزن على ضياع مستقبله وكانت هذه الفكرة منساطة عليه لآخر أيام حياته ولكنه لم يكن يعلم انه كان يبني مستقبلاً زاهراً لنفسه تأليفه . وان ذلك العمل الخالد الذي كان يقيمه - عمله في الآداب لا في الحقوق - كان سبب مجده وعظمته

ان تلك السنين القليلة التي صرفها تيممور في أوروبا وبالاخص في فرنسا كانت ذات أهمية كبرى في تكوينه النفسى ولا نخطئ اذا عددناها بعصر انتقاله . ان البيئة التي عاش فيها - بيئة الحرية والديمقراطية والمساواة ، بيئة الاستقلال في الرأى والعمل والاعتماد على النفس ، بيئة الثورة الفكرية والعلم والنقد الصحيح ممدوجة بتلك المناظر الرائعة التي لاعهد لها - قد أثرت فيه تأثيراً شديداً قامت على أثرها في نفسه ثورة فكرية هائلة اتهمت بذلك التطور الجديد الذي ظهر في كتاباته نيراً ونظماً فيما بعد . والذي ساعد على تلك الثورة الفكرية انصرافه بشغف شديد للمطالعة في آداب اللغة الفرنسية . كان قلبه في ذلك الوقت يلهب بنار الاصلاح للادب والمسرح المصرى وكانت خطاباته الى مفعمة بأرائه وأمياله في سبيل ذلك . تفتحت عيناه فرأى بين غير عين أمس ذلك النقص الهائل في الادب العربى والمسرح المصرى فغير كثيراً من مذاهبه القديمة تيقن بخطئها وذلك مادعاها لاهمال كتاباته في طوره الاول لانها كانت تحوى بعض آراء وأفكار دون فكره في عصره الجديد . وان أهم فكرة اختمرت في رأسه ومازالت تكبر وتتسع « فكرة تمصير الآداب » أى أن تكون ذات صبغة مصرية والوان عملية بحتة . والذي يقرأ قطعه الثرية ورواياه المسرحية يجد الصبغة المصرية فيها ظاهرة للعيان أما أفكاره وأراؤه في التمثيل فقد تطورت كتطور أفكاره في الادب وازداد شغفه وميله اليه بمد أن رأى أهمية ذلك الفن في فرنسا ومقام القائمين به ممثلين كانوا أو مؤلفين وأمل أن يرى في مصر عهداً

جديداً للتمثيل فكان يطالب . نى دائماً أن أوافيه في خطاباتي عن الحركة
التمثيلية في مصر والروايات الجديدة التي ألقت أو عرّبت فكانت
أكتب له كثيراً عن ذلك خصوصاً عن الحركة الادلاحية الكبرى
التي قام بها الاستاذ جورج ايض وانضم له فيها الممثلان الاديبان الاستاذ
عبد الرحمن رشدي المحامي والكتاب الاديب فؤاد افندي سليم . فكان
اعجابه بذلك شديداً . وحين عاد الى مصر تعرّف بهؤلاء الابطال
واتصل بهم

لم يأت تيمور بجهود كتابي حينما كان في فرنسا بل اقتصر على
المطالعة فكان يمد نفسه للعمل الجليل الذي بدأ به حين رجوعه الى مصر
والذي منعه القدر من أن يتمه ، هذا اذا استثنينا بعض قطع نظمية في
وصف مصر وشوقه وحنينه اليها وبعض مقالات في الاقتصاد السياسي
نشرها في المؤيد في أول عهده بالاقامة في فرنسا ومقالة في الاهرام
عنوانها الخوف من الحياة

الطور الثالث

الرجوع الى مصر (طور العمل)

هو أهم أطوار حياته وأظهرها أثراً ، هو طور العمل الناضج ونتيجة تلك
الايام والسنين التي قضاه في تكوين نفسه وثيقه فيها ، هو الزمن الذي
نضج فيه فكره وتهيأت فيه مواهبه للوثوب الى الحياة والعمل فيها ،

وبرزت فيه شخصيته القوية تامة كاملة . هو الوقت الذي خدم فيه
الفقيد الأدب والتمثيل خدماته الجليلة

ونحن اذا عدنا تلك الفترة الزمنية القصيرة بطور العمل فانما
نقصد طور البدء في العمل لان تلك المجهودات العظيمة التي صرفها في
هذا الطور على كبرها وعظم نتيجتها لم تكن الا الخطوة الاولى التي
خطاها في سبيل مجده ، خطوة واحدة في تلك الحياة خطاها وهو لم يتم
العقد الثالث من عمره

لم يستطع الفقيد الرجوع الى أوروبا عند أوبته الثالثة الى مصر
بسبب الحرب العظمى ولكنه كان موطئاً العزم على الرجوع الى
فرنسا في زمن السلم فشغل وقته بالمطالعة في الآداب الفرنسية والعربية ،
وكان أهمل الاخيرة حينما كان بفرنسا . ثم طرأت عليه فكرة الاشتغال
بالزراعة فدخل مدرسة الزراعة العليا ولكنه لم يمكث بها غير بضعة
شهور حتى تركها لانه وجد علومها مخالفة لامياله الادبية والفنية
كل المخالفة

وفي أول سنى الحرب تكونت في مصر جمعية أنصار التمثيل أسسها
المرحوم الاستاذ عبد الرحيم المدرس بمدرسة السعيدية سابقاً فانضم
الفقيد اليها وكان صديقاً حميماً لعبد الرحيم ، وكانت الجمعية تعمل في ذلك
الوقت على اخراج رواية (الممثل دافيد جرك) فسابعدها في تحضيرها
وتعميها وان لم يشترك بنفسه في تمثيل أى دور فيها . وكانت حفلات
السمر التي كان يقيمها النادي الاهلى في بدشها ، فظهر فيها الفقيد بالقاء

منولوجات تمثيلية من نظمه فكان هذا بدأ عمله كممثل وأراد الاستاذ
عبد الرحيم أن يحضّر رواية هلمات بعد أن نجح نجاحه المعروف في رواية
الممثل وطاب من الفقيه أن يشترك معه في تمثيل الرواية فقبل وبدأت
الجمعية تعمل على اخراج هلمات ولكن مرض عبد الرحيم منهم من
تمثيلها . ولما توفي عبد الرحيم وهو رئيس الجمعية وعمادها كادت الجمعية
تفكك لو لا سعى الفقيه وجماعته في لم شعنها . وأرادت الجمعية أن تخرج
للجمهور ثمرة من ثمارها فاخترت رواية (تيمون الاثيني) لشا كسير
واخترت الفقيه لينقلها فنقلها الى العربية باشتراكه مع أحد أصدقائه ،
ولما أنها ناولها لذلك الصديق وكان عميد الجمعية في ذلك الوقت فأضاعها .
وكانت بعد ذلك فترة سكون لم تأت الجمعية أثناءها بأي عمل تمثيلي
بدأ تيمور في ذلك الوقت ينظم المقاطيع النظامية الرقيقة وخص
جريدة السفور بنشرها ، وكان هذا بدأ نظمه للشعر بعد رجوعه من أوروبا
ولكن غرامه بالتمثيل كان يملأ قلبه فكان التفاته اليه أكبر وعنايته
بنظم منولوجاته التمثيلية أهم . وكثرت حفلات السمر للنادي الاهلي
ونادي الموسيقى ونادي موظفي الحكومة وغيرها فكانت لا تخلو حفلة
من تلك الحفلات من منولوج من نظم الفقيه والقائه ، فاشتهر ذكره بين
غواة التمثيل والقائمين به ، ولعل هذا أقوى مظهر من مظاهر الديمقراطية
التي ظهرت آثارها الاولى حينما كان طالباً بالمدارس الثانوية ونمت وكبرت
حينما عاش في فرنسا وتسم نسيهما المشبع بالحرية والمساواة . أحب الفقيه
الفن - والفن في مصر ناقص مبتور تشوبه الرزائل ومنزاته دون منزلة

الفقيد بمراحل عظيمة — فلم يعبأ تيمور الديمقراطي الجري، بكل هذا وأفصح عن رأيه جهاراً بحب الفن وعمل جهده على دفعه من مستواه وتهذيبه من شوائبه . ان الفن في مصر منحط تحيط به الرذائل ولكنه محتاج الى أيد شريفة قوية جريئة لتنهض به . ليس من العار أن تنزل حيث الفن ثم تصعد به ، ولكن العار أن تنظر وأنت في مكانك العالى الى الفن وهو في هوته السحيقة فلا تبادر — وأنت المحب له — لا تقاذه . ولا أغالى اذا قلت ان ذلك الائتفات الخاص نحو الفن في مصر وانضمام طبقة من المتعلمين العاملين على احياؤه كان نتيجة ذلك المجهود العظيم الذى قام به تيمور وأنصاره .

وقدم الروائى الاديب ابراهيم افندى رمزى روايته الوجدانية الرقيقة « عزة بنت الخليفة » لجمعية أنصار التمثيل فثامها الجمعية لأول مرة على مسرح باتيه ، ومثل تيمور دور « سيف الدين » بطل الرواية فنجح فى تمثيله . وكانت هذه الرواية أول رواية مثلها الفقيد على المسارح . ثم أعيد تمثيلها على مسرح الاوبرا فى ليلة الجمعية الخيرية الاسلامية فمثل الفقيد دوره أمام المغفور له السلطان حسين كامل الذى حضر تمثيل الرواية فى تلك الليلة . ثم أخرجت الجمعية بعد ذلك رواية العرائس لبيير ولف تعريب الاستاذ اسماعيل وهبى الهامى رئيس الجمعية فى ذلك الوقت فنجح الفقيد فى تمثيل دوره نجاحاً عظيماً .

ولما توظف فى السراى السلطانية أميناً للمغفور له السلطان حسين فضت عاينه الضرورة بترك المسرح فصرف جهده فى الكتابة نثراً ونظماً .

وظهرت في السفور قصائده العديدة ، وكتب في ذلك الحين قطعه المشهورة « مآثر العيون » وغيرها . ثم استعفى في عهد عظمة مولانا السلطان فؤاد ورجع الى حياة المسرح ووجد عهد الأول في ليالي السمير المختلفة . ولكنه لم يكد يبدأ هذه الحياة حتى ختمها الى الابد اذ كان على أبواب الزواج فاضطرته الظروف العائلية أن يهجر المسرح ويختم حياته التمثيلية . فبدأ من ذلك الحين يؤلف للمسرح وأتم روايته الأولى « العصفور في القفص » وأهداها الى فرقة رشدي فمثلتها بنجاح يغبط عليه وهتف له الجمهور في الليلة الأولى من تمثيلها اعترافاً بفضله . كانت رواية « العصفور في القفص » ذات ثلاثة فصول مكتوبة باللغة العربية الفصحى ، ولكنه رأى فيما بعد ان يغير بعض حوادثها فكتبها باللغة العامية المصرية لانه وجدها أكثر انطباقاً لحوادث الرواية وأشخاصها ، ثم زادها فصلاً ختامياً .

ظلت فرقة رشدي تمثل الرواية ولكن تدهور التمثيل الجدى وقتئذ وعدم عناية الاجواق الجديدة برواياتها حطت من قيمة الرواية كما حطت من قيمة كل الروايات الجديدة الاخرى . ولم يستطع تيمور ولا خلافه ممن اهتموا باصلاح التمثيل وتهذيبه من مديد المساعدة لتلك الاجواق الجديدة الهابطة بفنها الى الحضيض لان مرضاً قاسياً نفشى فيها وأصبح شفاؤها موكولاً للزمن . ولا يسمح لنا المقام هنا بشرح العوامل التي أدت الى انحطاط التمثيل الجدى^(١) وانصراف الناس عنه ، فكلنا يعلم أن لاهمال

(١) انظر مقالات تيمور « التمثيل الفني واللافني »

مديرى الاجواق الجديدة، وجهلهم ميل الجمهور المصرى، وأنانيتهم، وصلفهم فى بعض الاحيان، من أهم العوامل التى أدت الى فشل تلك الفرق الجديدة. لم يقدم تيمور على التأليف المسرحى بعدما شاهد بنفسه نصيب روايته الاولى ولكنه انصرف فى هذه الآونة العصيبة الى خدمة التمثيل من طريق النقد، وكانت الاجواق الهزلية فى ابان مجدها وعلى رأسها نجيب الريحانى مبتكر شخصية «كشكش بيك»، فبدأ تيمور كتابته بنقد نجيب الريحانى أظهر فيها بوضوح تام قيمة الروايات الاوبريت الهزلية التى يمثلها الريحانى وغيره وبعدها عن الفن الكوميدي الصحيح، ثم شرح العوامل الخفية التى أدت الى نجاح هذا النوع الخليع حتى تغلب على الفن الراقى. وكانت هذه المقالة التى كتبها تيمور عن الريحانى فأتمحة لسلسلة مقالات أخرى نقدية عن أشهر الممثلين مثل الشيخ سلامة وأبيض ورشدى وعزيز وعكاشه وآخرين غيرهم. وأحدثت هذه المقالات رجة كبيرة فأعجب بها الادباء والمشتغلين بالفن اعجاباً شديداً لاحتوائها على الحقائق، وبعدها عن التحيز، وخلوها من الدم، فقد سلك فى كتابتها مسلك النقاد الحر الجريء.

ولما رأى الفقيده اقبال الجمهور على التمثيل الاوبريت الهزلى الخليع وانصرافه عن الجدى بتراجيديه ودرامه وكوميديه ظن انه لو قدم للجمهور رواية كوميدي فنية خالية من الخلاعة أمكنه أن يحتذبه اليه رويداً، فألف رواية «عبد الستار افندى» باللغة العامية، وهى رواية قوية، متينة، محكمة، مزينة بالنكات الفكاهية والمواقف المجونية. هى صورة



الاب وابنته
محمد تیمور مع ابنته راوية (دیری)

حقيقية لاحدى العائلات المتوسطة، أظهرها الفقيه على المسرح وشرح فيها شرحاً وافياً أخلاق تلك الطبقة . مثلها الممثل القادر عزيزعيد بفرقة السيدة منيرة المهديّة فأجاد عزيز وأفراد الفرقة تمثيل الرواية وقابلها الجمهور بما تستحقه من العناية، واسكنها لم تستطع الثبات طويلاً على المسرح الجسدى خلّوها من الألحان والغلاعة ولاقبال الجمهور عامة على المسارح الهزلية بشغف زائد. فلما رأى تيمور حذور وايتيه من الإهمال امتنع عن التأليف المسرحى خوفاً على عمله من المهانة وجهده من الضياع وجعل يكتب فى السفور كمادته فكاتب مقالات خواتم ثم مذكرات باريس وغيرها . ثم اشتركتنا سوية فى تحرير السفور فكان هو عماده الأكبر، وأصدرنا خمسة عشر عدداً كان للفقيه فى تحرير النصيب الأوفر، فكاتب عدة مقالات فى الأدب والنقد والاجتماع والتمثيل . ولعل مقالاته الفكاهية « محاكمة مؤان الروايات التمثيلية » هى أحسن ما كتبه فى ذلك الحين . ثم لما عاد الكاتب الفاضل عبدالحيد حمدي الى استلام زمام السفور انصرف تيمور ثانياً الى التمثيل . عزّ عليه أن يرى التمثيل يهوى بسرعة الى الحضيض ، وأن يرى الفن يلبس ذلك اللبوس المزرى الخليع، فأراد أن يأتى بأخر مجهود لاجياء الفن وأقدم بجرأة مدهشة واشترك مع نجيب افندى الريحاني رب التمثيل الهزلى ليؤايف لفرقة الجديدة بكازينو دى باريس روايات مجونية فكاهية . تحول تيمور عن المسرح الجسدى ومد يد المساعدة الى خصمه بالامس الذى انتقده وأفصح عن مساوئه — أتجه تيمور الى المسرح الهزلى وبدأ يعمل له ، وما دفعه الى ذلك غير



محمد نجیب

طالب حقوق بیاریس

الجمهور الطفل الذي لم يكن يرضى الا بالهزل والمجون . فاضطر تيمور
أن يرضيه وهو يسمى رويداً تهذيبه وتحويله لانه انما كان
غرضه الاساسى وضع روايات هزلية راقية يتوخى فيها بعض
أصول الفن مفعمة بالالخان ثم يتدرج بالجمهور رويداً الى الكوميدي
الفنى الراقى ثم الى الدرام الكوميدي وهام جراً . وكان بدء عمله رواية
« العشرة الطيبة » وضعها عن المماليك فى مصر وكانت أول رواية من
نوع الاوبرا بوف ظهرت على المسارح المصرية ، ولكنها لم تصب
النجاح الذى تستحقه ، فقد انتقدها بقسوة جماعة من الكتّاب وعابوا
عليه موضوعها وهو « انتقاد هزلى وتهكم على حكم المماليك فى مصر » .
وليس المقام هنا مقام شرح وافضة وانما نقصر على شرح فكرة تيمور
الاساسية التى توخاها فى عمله هذا . كتب تيمور روايته عن المماليك
فى مصر لعدة أغراض أساسية أهمها : اظهار عصر من عصور مصر ابان
حكم المماليك على المسرح بلون حقيقى وصبغة محلية قوية وأشخاص حية
وذلك بقالب فكاهى راقى ولغة تناسب المقام . واذا علمنا أن العشرة الطيبة
هى الرواية الفرنسية الهزلية (ذو اللحية الزرقاء La Barbe bleue) فعمدنا
مقدرة تيمور فى تمصير الاشخاص واختيار العصر المصرى الموافق للرواية ،
ولعلمنا ما كان يرمى اليه من وضع الرواية على هذا النمط وهو شرح حالة
مصر فى عهد طغمة المماليك التى يعرف الجميع عسفاً وظلمها رمزاً للقوة
الاستبدادية المذلة .

اعترى تيمور اليأس من عمله لانه وجد مجهوده الفنى يضيع سدى

على المسرح الجدى والهزلى على السواء وداخله حزن عميق لعدم توفيقه
خدمة الفن الذى تعلق به وأحبه حباً عظيماً ، وأراد أن يحطم ذلك اليراع
الذى شمره جهاداً فى سبيل التمثيل . ولكن ماهى الا فترة مضت حتى
تجددت تلك الشعلة الكامنة وبدأت ترسل وميضها فى أفق الفن العابس
المتهمج ، تحرك اليراع بعد أن هدأ برهة نخطر رواية الهاوية . تحرك
حركته الاخيرة التى سكن بعدها الى الابد .

بدأ تيمور يكتب « الهاوية » واليأس يملاً قلبه والغيوم الخالكة
ما زالت ملبدة فى أفق التمثيل الجدى ، والمسرح الهزلى ينفث سموه
التقاسية الفتاكة . بدأ تيمور يكتب الهاوية وهو لا يدري أى ريح
تحمها وأي فرقة ستثابها وهل يكون نصيبها السبات العميق فى درج
مكتبه أو الاحتضار والموت على المسرح الجدى . كان يكتب تيمور
« الهاوية » لاجل الفن فحسب . كان يكتب لانه يريد أن يكتب ،
يريد أن يعمل ويساعد الفن بالرغم من الفن نفسه . بدأ تيمور روايته
فى ذلك الجو العابس ولكنه لم يكدمتها حتى رأى بوادر الانحلال
والضعف قد باننت فى جسم التمثيل الهزلى . أجل لقد بدأ المسرح الخليع
يهوى من تلقاء نفسه الى هوة الفشل السحيقة لان الشبخوخة أصابته
وهو فى عنفوان شبابه وعز سلطانه . لقد مل الجمهور الهزل والخلاعة ،
وكل شىء اذا تكرر وزاد عن حده مجته النفوس وكرهته ، وتعطش ذلك
الجمهور الى الجد بعد أن امتلأ جوفه من المجون والتهتك فأقبل يتلمس
المسارح يبحث فيها عن ضالته . وتألفت فى ذلك الحين فرقة ترقية التمثيل

المرابي (آل عكاشه وشركاؤهم) وشرعت تمثل روايات جديدة بين قديمة
وجديدة على مسرح الحديقة الجديد الذي بناه خصيصاً للفرقة الرجل
العامل النشيط طلعت بك حرب . وانتهى تيمور من تأليف روايته
فوجد فرقة جديدة ناهضة ترحب بروايته وشاهد مسرحاً نخباً نظيفاً . ثقناً
أهلاً لان تمثل عليه الهاوية ، فقدّمها للفرقة عن طيبة خاطر وكاه أمل
في نجاحها .

كان تيمور شديد الإعجاب بروايته مبتهجاً بقرب تمثيلها فرحاً للنهضة
الجديدة التي بدأت تشرق من مسرح الحديقة آملاً أن تكون « الهاوية »
فاتحة الروايات المقبلة . بدأ تيمور « الهاوية » في جو قائم بخيم عليه اليأس
وختمها في جو صاف تشرق في جوانبه الآمال ولكنها ، وبالإحسرة
القائلة ، كانت آمال معكوسة . آمال سوداء يخيم عليها الموت . انتهى
المؤلف من روايته فبدأ الموت يكتب روايته الرهيبة ، فلم يكذب تيمور
القلم من يده حتى رماه المرض على سرير الموت . وعلى ذلك السرير حيث
كان يتنفس النفس الأخير لم يفتر تيمور لحظة عن العمل في سبيل اخراج
روايته فقد كان الممثلون يعودونه ويقرأون عليه أدوارهم وهو يرشدهم الى
ما يهيمهم منها ، وقد كان يوصي أصدقاءه لحضور تجارب (بروفات) الرواية
ويراقبونها باننيابة عنه . وكانت أيام ممدودة قضاها تيمور على فراش المرض
وكان الجميع ومعهم الاطباء انفسهم يعتقدون اعتقاداً راسخاً بسلامته لان
اليرقان من الامراض السليمة العاقبة ، وكانت الدلائل تدل على انه سائر في
طريق الشفاء المحتم . ولكن بغتة والسكل مستبشرون . سرورون أصيب

الفقيد بنكنتين قويتين لم يحملهما جسمه المريض فانطفأت تلك الشعلة
المنتهبة وتلاشت تلك الفكرة الوقادة المنيرة ، وانتقل تيمور من قصره الى
قبره (القصر الذي لم يتم فيه شهوز العمل الحلو الجميلة !) . اختطف
الموت تيمور من والد أفنى عمره في راحة ابنه معتزاً بذكائه تخوراً بأعماله ،
ومن زوجة حامل لم تكدرشف منه كأس السعادة حتى تحطمت ، ومن
ابنة صغيرة بدأت ترنم وتغنى باسمه شاعرة بعطفه وحنوه ، ومن شقيقتين
أرواحهما متصلة بروحه ، ومن عائلة كان هو ابتسامتها ، ومن أصدقاء كان
هو الوفاء والمحبة بينهم ،

وقبل أن نختم ذلك الفصل نقول كلمة عن رواية « الهاوية » وعن
مؤلفاته الأخرى التي كتبها ولم ينشرها . أما « الهاوية » فقد مثلتها فرقة
ترقية التمثيل العربي بعد وفاته بشهرين تقريباً وكان نجاحها مدهشاً حتى أن
الجمهور هتف المؤلف في إحدى لياليها . أما مؤلفاته الأخرى « فرسائل
مجبور أفندي » التي لم أعثر إلا على رسالتين منها الأولى تامة وقابلة للنشر
وعنوانها « الراتب والنياشين » ، والثانية مبتورة لا تصاح للنشر . ورواية
قصصية أخلاقية اسمها (الشباب الضائع) غير تامة . ورواية أخرى قصصية
لم يكتب منها إلا الفصل الأول وعنوانه « جلال الموت » . وكان الفقيد
يريد أن يؤلف كتاباً في تاريخ مصر والنيل بأسلوب قصصي جديد نشر
المقالة الأولى منه في سفور السنة الخامسة ، ووجدتُ بين أوراقه
مذكرات عديدة عن مراجع الكتاب وشذرات عنه . وقد طلب منه

الاستاذ عبد الرحمن رشدي حينما كان ممثلاً أنت بعرب لفرقة رواية « الاب لبونار » فعرّبها وأهداها للفرقة لتمثيلها ، ولكن من غريب الأمور أن الفرقة أعلمتها ولم تمثل الرواية حتى اليوم على المسارح المصرية ، ولكن الاستاذ جورج أبيض استأذن الفقيه وأخذها من فرقة رشدي المنحلة لتمثيلها في رحلته في الشرق . ورواية الاب لبونار من الروايات القيمة الذائعة الصيت التي أصابت نجاحاً عظيماً في فرنسا . وقد عرّب تيمور غير رواية « لبونار » رواية « الغز » وكان كلفاً بها وأراد أن يهديها لبعض الجمعيات الادبية لتمثيلها ولكن الظروف لم تشأ ذلك فتركت في درج مكتبه .

أما كتابات الفقيه الأخرى فلم ينظم الا قليلاً من الشعر بالفرنسية حينما كان في فرنسا حينما الى وطنه . وكان يشتغل قبل وفاته بكتابة رواية مصرية قصصية بالفرنسية عنوانها « الفتوة » ولم يتم منها الا الفصل الأول . ثم كان يعمل بالاشتراك مع أحد أدباء الفرنج على تأليف رواية عثمانية مصرية لتمثل في أوروبا ، وأنجز منها مشاهد ومواقف عديدة . أما حياة الفقيه السياسية فأعرف عنه انه كان عضواً عاملاً في جمعية أنبي الهول المصرية حينما كان في فرنسا ولما انتقل الى مصر كان من ضمن مؤسسي الحزب الديمقراطي . ومذهبه في السياسة مذهب كل وطني حر يطاب السعادة لبلاده في ظل الحرية الدائمة .

هذا موجز بسيط لحياة تيمور منه نعلم كيف كانت نشأته وكيف تطورت حياته وكيف كانت تأثيرات البيئة والوراثة في تكوين شخصيته

واظهار أمياله . ولعلى أستطيع أن أظهر للقارئ شخصيته القوية ، وأن
أشرح له نفسيته وأمياله بشرح أعماله الكتابية ثراً ونظماً ، فما تأليف
المرء الا المرأة الصفيلة التي تنعكس عليها نفسه وتجلى عليها روحه ، فتحايل
مؤلفات تيمور ماهو الا تحايل لتلك النفس الطاهرة ذات الشعور
العميق والوجدان الجليل .

.....

الفصل الثاني مؤلفاته فطمة النظمية

لقد كتب الفقيده نحو ستين قطعة نظمية هي كل ما نظمه من
الشعر في طوره الاخير . أما ما كتبه قبلا أى قبل سفره الى أوربا
فكثير أعماله حين رجوعه ، أى في الوقت الذى وجد فيه نفسه قد
تغيرت عن قبل . ففي شعره الأول كان لا يتحدث قصائد المدح والثناء
والفخر وكان اذا مدح بدأ بالانزال ثم تخلص منه الى المدح شأن الشعراء
الاقدمين فكان شعره لا يخلو من مسحة التكاف والعمل . أما في
طوره الاخير فبعد ان شاهد جمال الطبيعة في أوربا وتشبعت نفسه بها
وامتلاً فؤاده سحراً بنفثات الشعر الفرنسى وعرف أصول النقد فميز
الغث من السمين شعر بدافع داخلى كان يدفعه للنظم حينما يريد لا كما

تريد الظروف . فكان في هذا العهد شاعراً حقيقياً يكتب ما يشعر به ،
وهذا أهم مميزات شعره الجديد ، جميع قطعه تنالية من المدح والذم
والرثاء ، ولكنها نعمة بذلك المواطف الرقيقة وذلك الشعور العميق .
وشعره في هذا الطور سهل العبارة يفيض رقة وسحرًا ، وهو على قسمين :
شعر غزلي . وشعر وجداني وصفي .

أما شعره الغزلي فكتبه عن شعور حقيقي ، شعور قبي أحب ولم
يسعد في حبه - حب لم يكن أهلاً لصاحبه . فأظهر في شعره هذا
عواطفه الصادقة عن قلب مكاوم متألم ، ولكنه قلب طاهر يرنو دائماً الى
المجد ويأنف من المذلة والعار . ولما تخلو قصيدة من قصائده هذه من
تلك الانفة العالية التي لم يهزمها نرام عرف أن فيه مذلة .

ترى ذلك في جميع قصائده الغزلية نخص بالذكر منها قصيدة « أنا
وهي » و « حية الخاطر » و « أنت » الموجودة جميعها في المجلد الاول
من تأليفه ، وقد ملأها بوصف رائع للحب ، وشكوى حزينة من النرام ،
وصولاً عالية في سبيل المجد ، تعلم منها عزة نفسه وبُعده عن اذلالها .
أما شعره الوصفي والوجداني فهو شعر رقيق أبداع فيه كل ابداع ، أملاه
عليه وجدانه العالى وشعوره الصادق وأفرغ فيه حزناً مستفيضاً مما يملأ
قلبه ، فأتى جميع شعره الا بعض قصائد معدودة ، سئد كرها فيما بعد ،
مصبوغاً بلون الحزن تسيل منه الشكوى والآلام .

لم يكن يجوز بالفتى الحزين المهموم بل كان الشاب الضاحك اللاهي
الذي لا تفارق النكتة فيه ، حديثه ابتسامة ساحرة شبيهة تأخذ بمجامع

القاوب . ولكن تيمور الذي كان يجالس الناس ويسامرهم ويضاحكهم
بجديته الطلي الساهر لم يكن الا النتي المتألم ، الكاره للحياة ، الواجد على
الدنيا حينما يأتيه وحى الشعر الجليل . كانت له نفس باطنة خفية لم تكن
تظهر الا اذا كان منفرداً ينظم عواطفه في قصائده ويسكب نفسه على
قرطاسه . ولذا تسمع من معظم شعره نغمة حزينة مبللة بالدموع هي
رنين أوتار قلبه المتوجع . ولا ريب في أن هذا الحزن الذي كان يشعر
به تيمور ويظهره دائماً في نظمه كان حزناً خلقياً ، وليس عرضياً سببته
بعض الظروف .

وما قصائده « ياموت » و « عرش الحداد » و « الشاعر الغضبان »
و « القلب » وغيرها الا صوت فؤاده الذي يحادثك ويناجيك عن آلام
خفية لم يعرف مصدرها وانكته يشعر بها في نفسه . هاك أوصافه أيها
القارى تصفحها في غير هذا المكان . ألا تجدها كلها أنة طويلة وشكوى
من الحياة . « فالبلبل الصامت » و « دموع الشفق » و « النجم الآفل »
و « شجرة على شفا الموت » و « الطائر السجين » وغيرها من قصائده
الوصفية ليست الا مظهر ذلك القلب الدامى الحزين . أما قصائده
« خوفو » و « الهاوية » و « الفجر الأول لمحمد على » و « الهرم الاكبر »
فلعلها القصائد الوحيدة التي خلت من نغمة الحزن . وهي وان كانت قوية
الأسلوب ، رائعة الوصف ، خلاصة الرنات ، تشهد بقوة شاعريته ، إلا
أننا نندها في الصف الثاني اشعره نخلوها من الانات والمعبرات التي كانت
وحية الالهى في النظم .

نثره

لم يكن يعمور في نثره غيره في شعره بجميع قطعه الوجدانية والاجتماعية والتمثيلية والانتقادية والقصصية كتبها بدافع نفسى لا اضطرارى ، فأتت معظمها ان لم تكن كلها ناضجة متينة ذات تأثير غريب ، لان النفس لا تتأثر الا بما هو صادر عن النفس

ونثره ينقسم الى ستة اقسام :

الاول : قطعه الوجدانية

الثانى : قطعه الاجتماعية والادبية

الثالث : قطعه القصصية « مآثر العيون » و « قصة الشباب

الضائع »

الرابع : قطع « خواطر »

الخامس : قطع « مذكرات باريس »

السادس : قطع عن التمثيل .

هذه القطع تنفرع الى اربعة اقسام :

الاول : منولوجاته التمثيلية

الثانى : نقده على الممثلين

الثالث : محاكاة المؤلفين الروائيين

الرابع : مقالات عامة كتبها عن تاريخ التمثيل وغير ذلك

قطعة العوجرانية

هي مقالات من الشعر المنشور صاغ فيها عواطفه ووجدانه بأسلوب خيالي راق، خال من التصنع، ذي أفكار وآراء جديدة، وهي تشبه بعض الشبه شعره، فهي مظهر من مظاهر روحه.

لم يكتب منها غير بضع قطع نخص بالذكر منها «الشاعر والليل» و«حديث زهرة» و«حب البقاء». وكأنه استعاض بشعره عن هذا النوع فلم يكثر منه ولم يعنى به عناية بنظمه.

قطعة الاجتماعية والادبية

هي مقالات طرق فيها مواضيع مختلفة ضمنها بعض آرائه الأدبية والاجتماعية والانتقادية تمتاز بحمية الاصلاح التي كانت تتمدد في جوانحه.

فثال ذلك مقالة «الافكار الحديثة والقديمة» كتبها بدافع حبه للجديد النافع، وكرهه للتقديم البالي فأظهر فيها بعض تلك الشعلة التي كانت تذكو وتضطرم في قلبه.

كان يكتب مقالاته هذه فساكنه كان يتكلم. فاذا ما قرأت إحدى تلك المقالات فساكنك تسمع حديثاً طلياً مفهوماً لا يصحبه الملل ولا السأم. يحدثك تيمور أيها القارئ في مقالانه بكلام عذب منطقي يدور حول نقطة واحدة، خال من السفسطة والتكرار واللغو. في هذا الحديث أو بعبارة أخرى في تلك المقالات يكشف لك تيمور عن فؤاده،

فيكلمك عن الرتب والنياشين في « رسائل مجبور افندي » ويشرح لك حالة هؤلاء النفر الجهال العاطلين الذين يسعون جهدهم لنيل رتبة أو نشان ولا يصرفون ذلك الجهد للعمل الصالح لأنهم ووطنهم ، وكيف أنهم لو أتوا بعمل نافع مفيد سمعت اليهم الرتب من غير أن يسعوا اليها ، فتعلم اذذاك ميل هذا الفتى الديمقراطي الحقة والعصامية التي لا تعرف الانساب والاحساب ولكنها تعرف الأعمال فحسب . ويكلمك عن « المجمع اللغوي ومشكاة الالفاظ » فيوضح لك رأيه بالانحياز أو تعصب ، فتعلم منه انه انما كان يسمى في سبيل احياء اللغة وتثبيت مكانها . ثم تقرأ له حديثه عن « شوقي وجبران » فاذا فيه يمتدح شوقي في شعره الجديد الخالي من التكلف ، ويتغنى لك بقصيدة « أنس الوجود » و « حفلة الرقص » ثم يظهر لك (نبوغ) جبران شاعراً وناثراً فيوضح لك ضعفاً رأيه عن الشعر فيقول : ما الشعر الا ذلك الفكر الناضج والشعور الحى يصيغهما الشاعر بانفط ساحر متين مفهوم خال من التكلف والتعقيد . وما مذهب في الشعر الا مذهب الابتعاد عن طريقة الأقدمين وانتهاج مذهب الابتداع الذي تظهر فيه شخصية الشاعر مستقلة حرة غير مقيدة .

وقس على ذلك قطعه الاخرى .

قطعه القصصية

ما تراه العيون

لا أغالى اذا قلت ان هذه القطع هي من أحسن ما جادت به قرائح
الادباء في هذا العصر . ولو كان الفقيده تفرغ لها وسمح لنفسه بوقت
كاف لاتمامها لكان أتى لنا بالمعجز فيها .

« ما تراه العيون » قصص صغيرة كتبها المؤلف عن الحياة المصرية
واتبع فيها مذهب الحقائق (الريالزم) الخالي من الغلو أو الخيال فرسم
فيها بقله صوراً ومشاهد حقيقية حية على مسرح الحياة المصرى .
والتي امتازت به هذه القصص أو صافه الدقيقه وألوانه الحقيقية الناصعة ،
واتقاده الاخلاقي الراقى ذو المجون الفكاهى الساحر . فاذا ما قرأت له
عن شخص من أشخاص قطعه أمكنك أن تتصوره في ذهنك بصورته
ونفسه وأخلاقه حتى ورنه كلامه . واذا قرأت له قطعة بأكلها استطعت
أن تتصور في ذهنك روح تيمور الساحرة وحديثه الفكاهى الجميل .

امتاز الفقيده شخصياً بدقة الملاحظة وثبوت المشاهدات وانطباعاتها
في ذهنه ثبوتاً تاماً ، وانطباعاتاً مدهشاً ، وكان بفطرتة ميالاً للتقليد ومتقناً
له غاية الاتقان ، فاذا ما رأى مشهداً ماقتماً للنظر استطاع أن يروى لك
حوادثه بدقة واتقان مهما قدم عليه الوقت ، واستطاع أن يصور لك
بحديثه صور الأشخاص وحركاتهم ويكلمك بكلامهم فكأنك ترى

وتسمع مارآه وما سمعه عن حقيقة ومن غير تكلف . فمن ذلك نعلم سر تلك القوة المبتكرة التي ظهرت واضحة في « قصصه » و « خواطره » و « مذكراته عن باريس » و « رواياته التمثيلية » و « محاضراته للمؤلفين الروائيين » .

وانى أدعك أيها القارئ الكريم أن تقاب صحائف ذلك المؤلف الذى بيدك وأن تقرأ الآن قطعه « فى القطار » لتستطيع أن تتصور فى مخيلتك صورة تيمور كما هو

هذا هو مذهب تيمور فى معظم كتاباته ، وهذا هو شخصه يبدو لك من بين سطوره يحدثك حديثه العذب الشهى .

ويجدر بنا فى ختام هذا الكلام أن نقول كلمة صغيرة عن روايته القصصية « الشباب الضائع » .

لم يتم تيمور هذه الرواية وان كان قد أتى فيها ببعض ملحوظات ختامية يعلم منها القارئ حوادث الرواية النهائية . خطها المؤلف بلغة سهلة خالية من التكلف والتعمل . والظاهر أنها أول عمل قصصى له . كتبها بعد خروجه من مدرسة الزراعة العليا ولم يكن قد كتب شيئاً من قصصه قبل ذلك الوقت فكانت بمثابة تمرين له على الكتابة القصصية ظهرت فيها مواهبه وتبجأت تلك القوة الخفية المنبثقة بمستقبل جميل فى هذا النوع .

فالشباب الضائع بأوصافها ومشاهداتها وأحاديثها وأشخاصها وتحاليلها

النفسية صورة جليلة واصحة يعلم منها القارئ انبثاق عبقرية تيمور واثراقتها،
ففي فجر تأليفه ومقدمة ذلك العمل الجليل .

خواطر

مقالات خواطر حذا فيها حذو « ما تراه العيون » ولكنها أشبه
بمذكرات ضمنها مشاهداته في الحياة وملاحظاته عنها، أوضح فيها كثيراً
من آرائه وأفكاره وانتقد فيها نظم الحياة الاجتماعية القاسية . هي قطع
اجتماعية، أخلاقية، انتقادية، وصفية، كتبها بألوهية القصصى الرشيق .
فن خواطره الوصفية خاطرة عن « الكتاب والعرىف » وأخرى عن
« رمضان فى قهوة مانتايا » ، فى الأولى وصف فيها كتاباً حقيقياً كان
زاره صغيراً ، وروى واقعة حال جرت بين العرىف وأحد الاطفال ، وفى
الثانية رسم بقلمه التصويرى القادر قهوة مانتايا وما حوته من صائين
ومدعين الصيام ولفطرين . أما فى قطعة « الطيب » و « عرس ومأم »
و « ابن بقهوة وابن بالتراب » و « سارق وسارق » فقد أظهر فيها
عواطفه نحو الفقراء ومشاركته لهم فى آلامهم وانتقد فيها قوانين الحياة
وعدالتها المشوهة ، ولا ريب أن هذا مظهر من مظاهر حبه للمساواة
وانصاف المظلومين ، وقد شرح فى قطعة « المرأة لم تخاق لهذا النعيم فى
مصر » و « سر من أسرار تأخر المصريين » و « هنا وهناك » حبه
لتحرير المرأة ، وكشفه عن عوامل تقهقر المصريين ، والفرق بين التعليم
الغربى والشرقى . فمقالاته خواطر هى خواطر حقيقية دفعه الى كتابتها

عوامل المحيط الذى عاش وتنقل بين ارجائه ، جاشت بها نفسه فأظهرها
خالية من التصنع والحشو وعرضها صورة حية للمجتمع الانسانى

* * *

مذكرات باريس

مذكرات باريس مماثلة لمقالات خواطر غير انها شخصية كتبها
عن نفسه ، شرح فيها عصرها من عصور حياته وما شعر فيه من ملذات
وألم ، ومارآه فيه من مشاهد ومناظر وما وقع له فيه من حوادث . هى
صحيفة من صحائف حياته كتبها بنفسه ، لم يخط فيها غير الحقائق ، فهى
مذكرات بالمعنى الحقيقى

القطعة الأولى وصف فيها شعوره فى بلاد الغربه وتأثير تلك البيئة
الجديدة التى انتقل اليها وشرح فيها أيضا رحلته من برلين الى باريس
باختصار

والثانية وصف فيها مجلساً فرنسياً مكوناً من بعض الاصدقاء وعرض
للجمهور المصرى صورة من مباحثات ومناقشات ذلك المجلس الأدبى
ونضوج عقل المرأة الفرنسية ورقى فكرها وتضلعاها فى آداب بلادها
ومقارنتها بامرأتنا الشرقية ليعلم المصرى الفرق بين نسائنا ونسائهم
ودرجة رقى المرأة الافرنجية وتأثير رقىها فى حياة الأمة

والثالثة وصف فيها ليلة فى تيارو الأديون وروى فيها حادثه وقعت
فى تلك الليلة مضمونها أن رجلاً من طبقة النبلاء قاطع أحد المشايخ وكان

يلقى منولوجا بين الفصول عن كورنيل وسخر بهذا المؤلف الذائع الصيت فهاح عليه الجمع المحتشد وأخرجوه عنوة من مقصورته وأهانوه بشتائمهم وصفيرهم لأنه نجراً وأهان « كورنيل العظيم ». لم يكتب تيمور هذه القطعة ليروى حادثة فحسب بل أثبتها ليظهر للمصري كيف يجدون العظماء وكيف يحامون عنهم أحياءاً كانوا أو أمواتاً، وما « كورنيل » الا عظيم من عظماء فرنسا وأحد مؤلفيها التمثيليين الذي عمل على بناء ذلك الركن الخالد المنير ألا وهو الادب الفرنسى . روى تيمور هذه الحادثة ليظهر روح الديمقراطية العالية التي تشربت بها النفس الفرنسية فساوت بين طبقة النبلاء والعامية . وقد ختم مذكرته هذه قائلاً (وعدت الى دارى وأنا أفكر فى هذه الروح الديمقراطية التى شاهدتها تجسم أمام عيني فى دار الاديون والتى أود من صميم فؤادى أن تنتشر فى مصر بلادنا المحبوبة)

والرابعة كتبها وصفاً لصديقه الامريكى « هويت » الذى عاشره برهة من الزمن فوجد فيه نعم الصديق . فى ذلك الوصف الحقيقى لنفسية ذلك الامريكى وأخلاقه وعوائده، صورة حية للنفس الامريكية الثابتة ذات الخلق الرزين

والخامسة قطعة كتبها عن عيشته فى ضيعة (نوجان سيرمارن) وما شعر فيها بسعادة الحياة فقال « . . شهرين كاملين مرا كما يمر الحلم العذب برأس النائم - شهرين كدت أنسى فيهما نفسى وأكذب حسى - شهرين عاشرت فيهما الطبيعة الساكنة المنعشة بعيداً عن ضوضاء باريس ،

ولباريس الشتاء ولغزواحيها الصيف». ثم روى حادثة محزنة وقعت للكابيين أحدهما يدعى «خرطوش» والآخر «سكر» وكان خرطوش من فصيلة معروفة مشهوراً بجدته وطيشه وقوته وأما الآخر «سكر» فكان كلباً ممنهنا لا تنظر إليه العين الا بالاحتقار لانه من الكلاب التي ليست لها فصيلة ولا نسب . ففي احد الأيام اقترس خرطوش القوي البنية الشرس الاخلاق ذلك السكب الوديع الهادي فقضى عليه .

وقد ختمها قائلاً : (لقد كنا نكره سكر في حياته فاذا بنا نحبه ونجأه بعد مماته . لقد كنا نتغافل عن وداعته وطيبته ونهزأ بذله وضعفه ونقول ليس هذا الكلب من فصيلة معروفة فهو عديم الأصل ولكننا نعتقد اليوم بعد أن قضى ذلك الشهيد ان الاصل لا دخل له في الطيبة وأن مخلوقات الله سواء . وباليت شعري أليس الحالة كذلك بين الناس فعلام يكون الحق للقوة وعلام تكون الطيبة والوداعة ضحية الظلم ومتى ينقشع عن العالم الانساني ذلك السحاب الاسود)

والسادسة سلسلة مذكرات حياته في باريس لم يكتب منها الا بضع مقالات لم تجم . وجعلها في الظاهر تاريخاً لحياة غيره ولكنها في الحقيقة كانت لنفسه . نشر الاولى منها تحت عنوان « هو وهي » تضمنت هذه القطعة حديثه عن زيارة حفلة راقصة خصوصية . شرح في بدايتها آميال نفسه بكل حرية وجلاء فأظهر علانية كيف كان يكابد الآلام في دراسة الحقوق - العلم الذي لم يمل اليه ، والذي لم يكن يرى منه أي أمل

لتحقيق أمانيه في الحياة لانه كان شعوقاً بعلم الآداب وفن التمثيل شعوقاً
ملك نفسه وملاً فراغ قلبه . وفي ذلك يقول : (جاس بجوار النافذة ونظر
الى السماء القائمة كأنه يرى فيها صورة نفسه ثم اطلق زفرة من بين جوانحه
وقام يتمشى في الغرفة ذهاباً وإياباً ثم أمسك بكتاب قرأ على صفحته الاولى
هذا العنوان (مبادئ القانون المدني) ثم ما لبث أن القى به على الخوان
وهو يقول ساخراً (مبادئ القانون المدني . مبادئ القانون المدني)

الى أن قال : (جاء الى باريس ليدرس الحقوق وما كان بنفسه ميل
لعلوم الشرائع ولكن والده لم يسمح له بمغادرة القاهرة الا ليلقى بنفسه
في أحضان تلك العلوم . فسافر وفي قلبه غصة ولكنه وطد النفس على
الدأب والعمل جامعا بين علوم الحقوق التي كانت تجشم نفسه ما لا تستطيع
احتماله وبين علوم الآداب التي يرى فيها مسكاة الأمل وقررة العين .)
حقاً . لقد كان تيمور يرى في الآداب « مسكاة الأمل وقررة العين »
ولذا رأيناه يعمل الآداب حتى النفس الاخير :

* * *

ما كتبه عن التمثيل

لفظ التمثيل في مصر . مقترن دائماً باسم تيمور ، فهو من مؤسسى الفن
العامين على رقيه . كان تيمور أول فنى ارستقراطي دخل غمار التمثيل
كممثل وكؤلف وكنقاد ، فكان لدخوله في هذا الغمار أثر ناجع وفضل
لا ينكر ومجهود خالد على قصر الوقت الذي صرفه فيه . التمثيل هو النعمة

الجميلة التي كان يطرب لها تيمور وترنم بها ويستعيد بها . هو الصورة
الجميلة التي كانت مرتسمة دائما في مخيلته لانفارقها . أجل التمثيل -
ولا أغالى اذا قلت - هو . مبود تيمور الذي تعشقه صغيراً وهام به شاباً
وعمل له رجلاً . ما أحلى ذلك اللفظ على قلب ذلك الفتى الراحل ، فكلم
من حديث له عنه ، وكم من مباحث له فيه ، وكم من مناقشات ومجادلات
من أجله . ولما كان على فراش المرض الاخير كانت روايات التمثيل
يجواره على نفس الفراش يطالعها بشغف زائد كأنه كان يودعها الوداع
الاخير . وهكذا قضى تيمور ولفظ التمثيل بين شفتيه ، وكتابه تحت يده ،
وصورته في مخيلته . فلا غرو اذا تفوق تيمور على سائر كتّاب العصر
بالكتابة عن المسرح والمسرح ، ولا غرابة اذا كانت أعماله المسرحية
من نقد وروايات في مقدمة أعماله الاخرى من نثر ونظم الا في بعض
أشياء قليلة .

كتابات المسرحية تنقسم كما يتنا سابقا الى أربعة أقسام . الاول :
منولوجاته التمثيلية . والثاني : نقده على الممثلين . والثالث : محاكاة المؤلفين
الروائيين . والرابع : مقالات عامة كتبها عن تاريخ التمثيل في فرنسا ومصر .
هذا غير رواياته التمثيلية الكبرى التي سنقردها باباً بعد هذا الحديث .
القسم الاول : منولوجاته التمثيلية : هي أول أعماله المسرحية نظماً
وتمثيلاً . كان ينظم المنولوج ليتمثله بنفسه في حفلات السمر الراقية . فلما
انقطع عن التمثيل انقطع عن نظم منولوجاته ايضاً . ولما كان الوقت
الذي صرفه عاملاً على المسرح ضئيلاً كانت منولوجاته قليلة العدد .

ولا أغالى إذا قلت انه لم يسبق تيمور في هذا المضمار ولم يفقه في تأليف المنولوجات المسرحية أحد . كان تيمور عالما خيرا بما يؤثر على الجمهور دارسا أصول الفن الصحيح فنظم منولوجاته على هذا الاساس فجاءت متينة قوية تهز سامعيها بما حوته من قوة وتأثير . وكان القاؤه لهذه المنولوجات بنفسه يزيد روعة وجلالا بما كانت تكسبه من حسن القائه ودقة تمثيله . ولكن هذه القطع المسرحية اذا قارناها بمنظوماته الاخرى وجدناها أقل منها جمالا من حيث جمال الشعر ، لانه وجه كل مجهوده في تأليفها لتكون صالحة على المسرح زد على ذلك سرعته في نظمها فأغلبها ان لم تكن جميعها نظمت في الصباح لتلقى في المساء وعدد هذه المنولوجات سبعة وهي :

(١) القاتل وطيف المتول : محاورة بين قاتل وطيف مقتوله شرح فيه ما يشعر به القاتل من توبيخ الضمير الهائل الذي يقضى على حياته في النهاية

(٢) العفو عند المقدرة : محاورة بين منتقم لآبيه وقاتل لهذا الأب . تناز هذه القطعة بما حوته من شرح شعور كل من القاتل والمنتقم ونفسية كل منهما ثم شهامة المنتقم وقوة ارادته « وعفوه عند المقدرة »

(٣) المال : محاورة بين غنى وفقير وخدام . تجل في هذه القطعة النفس الديمقراطية العالية بأجلى معانيها ، ففيها شرح المؤلف نفس الغنى المتكبر الجهول ونفس الفقير الطاهر الشريف ثم كيف ينازل ذلك المتكبر العاني ، الفخور بأمواله ، ويصافح يد الفقير الشريفة ويضم نفسه

الطاهرة . وهكذا انتصر الشرف على المال والحسب
(٤) آلام شاعر : منولوج وجداني . ملأه سخطاً على الحياة وآلامها
لما حوته من قلوب منعمه بالقسوة والظلم . كله يأس وأحزان على أنظمة
الحياة الفاسدة وتحسر على انعدام العدل الانساني وقيام دولة الطمع
والجشع في النفوس البشرية
(٥) ابن الوطن أو اللقيط : قطعة وطنية حماسية تنتصر فيها الأعمال
الجليلة على الانساب والاحساب . يمجّد فيها المؤلف الشخص العصامي
صاحب العمل الشريف النافع
(٦) الزوج القاتل : قصة زوج قتل زوجته التي خانته مع صديقه .
شرح فيها شعور ذلك الزوج ودفاعه عن نفسه دفاعاً أثبت في نهايته هذه
لحكمة المعروفة :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم
(٧) الوردة الذابلة : قصيدة نونية تبلغ الثمانين بيتاً تمتاز بجمال المحاور
النظمية التي تخللها ، وسلاسة الاسلوب وسهولة اللفظ ورقته . هي قصة
فتاة سقطت في حمأة الرذيلة عن طريق الغواية . صور فيها تيمور صورة
التمس والشقاء وما يحيط تلك النفس المسكينة من أنواع العذاب والمحن .
فأصاب الحقيقة بهذا التصوير الفني لأنه أخرج للناس منظرًا من مناظر
الحياة الذي يتكرر وإن اختلفت العصور والأزمنة

القسم الثاني : نقره على الممثلين

هو سلسلة مقالات انتقادية عن أبطال الممثلين ظهرت في جريدة المنبر سنة ١٩١٨ فأحدثت رجة كبرى في عالم التمثيل وشخصت اليها أبصار الادباء المهتمين بالحركة التمثيلية المصرية فكانوا يتخاطفون أعداد الجريدة ويطالعونها بشغف كبير . ولا غرو فهذه المقالات كانت الاولى من نوعها لان الفقيه توخى في كتابتها أصول النقد الصحيح الخالى من الاطراء والقدح . لم تثنه الصداقة التي كانت تربطه بمن انتقدهم عن اخفاء حقائقهم بل شرح بكل صراحة وبلا تحيز نقائصهم وفضائلهم على السواء . كتب ما كتب باخلاص وصدق نية ماعياً وراء الحقيقة ومجاهراً برأيه بجرأة وحرية مدهشة . كل ذلك في سبيل الفن الذي كان يسعى دائماً في اصلاحه وتهذيبه . ولا ريب في ان هذا العمل كان أكبر مظهر لاستقلال رأيه وحرية ضميره ونزاهته ، ولكن حرية الآراء ما زالت وايدة الامس في مصر . ولحق الصريح اذا جاهر انسان به في هذا البلد عدة البعض جرعة لا تغفر . ذلك لان القلوب ما زالت تحوى بذور الانانية والاعجاب بالنفس والمصالح دائماً لا يقابل عمله — ممن يريد اصلاحهم — بالتحديد والتشجيع ، فغضب بعضهم من هذا الانتقاد — وماحق لهم أن يغضبوا لان الكمال لله وحده والانسان مهما علا ففيه عيوب خافية عنه يجب أن يعرفها ليجتهد في اصلاحها .

ولذا رأينا تيمور الطيب القلب يوجه كلامه لمن غضبوا من انتقاده عليهم في مقدمة « محاكمة المؤلفين » مناشداً إليهم - ثم وغيرهم ممن سببتكم عنهم - أن لا يقابلوه بوجههم الغاضب اذا قرأوا شيئاً عن انفسهم ولم يرق لهم . وهانحن نثبت المقدمة يطالع عليها القارئ ويعلم منها تلك النفس الطيبة التي كانت تسعى جهدها للاصلاح في جو السلام والصفاء

المقدمة : (اتقدم للقراء الكرام بنشر هذه القصة الخيالية بعد ان ترددت كثيراً في نشرها خشية اغضاب اخواني الممثلين ، واخواني المؤلفين . لم أقصد اهانة أحد منهم ، وحاشا أن أفعل ذلك بل انى أجل كل مؤلف وممثل عن أن يتسرب لرأسه هذا الرأي الضئيل)

الى أن قال : (وآمل أيضاً اذا قابلت أحداً منهم في الطريق أن لا يقابلنى الا بوجهه بشوش لأننى لا أكتبم القراء وقد تألمت كثيراً بعد كتابة مقالاتى عن الممثلين فى جريدة المنبر وذلك لما كنت ألقاه من اخوانى أبناء الفن من الاعراض)

وقد اشتمل نقده على الممثلين المرحوم الشيخ مسلامه حجارى ونجيب افندى الریحانى وجورج افندى أبيض وعبد الرحمن افندى رشدى واخوان عكشه وعزيز افندى عيد والسيدة منيرة المهديّة والآسة روزا ليوسف والسيدة ميليا ديان وغيرهم . وكان يوده أن يتم هذا النقد ليشمل جميع أبطال التمثيل ولكن الظروف لم تمكنه من ذلك .

أرجو القارئ أن يقاب صفحات هذه المحاكمة الخالدة ليرى الصور المتقنة التي استطاع تيمور أن يرسمها بقلمه الهزلي ، ويسمع الأحاديث العذبة التي انطوت تحتها النكتة البهجة والمجون اللطيف ، ثم بدأ المؤلف بعد هذه المقدمة الطويلة المحاكمة نفسها

كانت رغبة المؤلف أن يكتب عن جميع المؤلفين الذين عرضهم في قفص المتهمين ولكنّه لم يكتب إلا عن فرح أفندي أنطون وإبراهيم أفندي رمزي ولطفي أفندي جمعه و خليل أفندي مطران . وكان في ذلك الوقت يحرر السفور فلما أرجعه الى الصديق عبد الحميد حمدي حالت بعض الظروف الخصوصية بينه وبين الكتابة فانقطع عن العمل ولما زال المانع وأراد الكتابة في هذا الموضوع لم يجد من نفسه ذلك الباعث الاول الذي دفعه فأرجأ اتمام العمل الى الوقت المناسب وكان في نيته طبع هذه المحاكمة على حديثها كرسالة هزلية انتقادية ولكن القضاء لم يرد اتمام ذلك العمل فطواه الى الأبد

استطاع تيمور أن يعرض للقراء في محاكمة الاربعة (أنطون ورمزي وجمعة ومطران) صورة حية لكل مؤلف وأن ينتقد بإيجاز أعمالهم المسرحية ويشرح طريقة كل منهم في التأليف وقيمة هذه المؤلفات في نظر المنتقد الفنى . كل هذا بأسلوب قصصى أخذ .

القسم الرابع : مقالات عن التمثيل مختلف

هذه المقالات عديدة ومتفرقة ولكن أهمها وأحسنها قصبان :

القسم الأول: مقالات عن التمثيل الفنى واللافنى نشرها فى السنة الخامسة من جريدة السفور وشرح فيها أنواع الروايات التمثيلية الفنية واللافنية. وهى مقالات قيمة عن الفن تصح أن تكون مرشداً للمشتغلين بفن المسرح والقائمين بتأليف الروايات وتعريبها. أما القسم الثانى فمقالات أخرى نشرها فى السنة الرابعة من السفور وضمها تاريخ التمثيل فى فرنسا ومصر باختصار. وهذان القسمان يحويان زبدة آراء الفقيده عن التمثيل لانهما بلا ريب نتيجة أبحاثه الخاصة فى الفن المسرحى وملاحظاته الشخصية عن المسرح المصرى ومنهما يرى القارئ بعض ذلك الوميض الذى كان يملأ قلبه ويامع فى عينيه، وما ذلك الوميض غير تفانيه فى المسرح ورغبته الشديدة فى اعلاء التمثيل المصرى واصلاحه

القسم الاول يتضمن أربع مقالات متتالية، ففى المقالة الأولى تكلم الكاتب عن التمثيل الفنى فعرّف أولاً ماهو التمثيل وماهى العوامل الاساسية لبناء الرواية ووضعها، ثم تكلم عن تقسيم الروايات التمثيلية وشرح كل قسم شرحاً وافياً

وفى المقالة الثانية تكلم عن أنواع الروايات فعرّف التراجيضى والدرام والكوميضى الاخلاقية والكوميضى دراماتيك مع الافاضة فيما يتطلبه تأليفها من العوامل الاساسية

وفى المقالة الثالثة تكلم عن التمثيل اللافنى فذكر أنواع الروايات اللافنية وهى الميلو درام والجرانديجنول والفودفيل والريفو، ثم عرف كل نوع من هذه الانواع وذكر عيوبها، ثم ختم المقالة عن نبذة مفيدة شرح

فيها أسباب تدهور التمثيل الفنى فى مصر . وهى على قصرها تصح أن
تكون درساً عالياً لمديرى الاجواق الفنية ليعتظوا بما فيها من الخفايا .
وفى المقالة الرابعة شرح الكاتب باختصار أسباب نجاح التمثيل
اللاقى .

أما القسم الثانى فىشمل سبع مقالات متسلسلة : الاولى مقدمة
عن التمثيل ختمها بحديث عن النهضة الاخيرة على يد أبيض . وفى
المقالات الخمس المتتالية تكلم فيها عن تاريخ الدرام والسكوميدي فى القرون
الوسطى ثم شرح أنواع الروايات التى كانت تمثلها الجمعيات التمثيلية
الاولى فى فرنسا ثم تكلم بعد ذلك عن التراجيديات والسكوميدي فى
القرن السادس عشر . والمقالة السابعة تاريخ مختصر للتمثيل فى مصر

.....

روايات التمثيلية

لقد ذكرنا فى تاريخ حياة الفقيه . ألفه وما عر به من الروايات
التمثيلية وتكلمنا عن كل رواية باختصار واعدنا الافاضة فى باب التمثيل .
والآن وقد أتممنا الكتابة عن نظمه ونثره ومقالاته عن التمثيل ولم يبق
الا روايات التمثيلية وهى خير شىء عمله فى حياته وصرف فيه جهده بل
هو الشىء الوحيد الذى كان يملأ ركننا من أركان قلبه حق عاينا أن نهم
بهذا العمل ونشره شرحاً وافياً ناصحين القارىء الكريم أن لا يهدل
قراءة هذه الروايات فى مجموعته لأننا مهما أفضنا فى الكلام عنها فنتجن

عاجزون عن اظهار روح المؤلف المتجانية فيها وذلك الجمال السحري
المنتشر على صفحاتها

سيكون حديثنا في هذا الباب الحديث الختامى عن حياة وأعمال
هذا الشاب العامل المحجته الذي ضحى حياته القصيرة - حياة الشباب
والمسرة - فى التأليف والكتابة والعمل الصالح الطيب الآداب والمسرح
سيكون هذا الحديث عن ثلاثة روايات ألفها تيمور فكانت
باكورة أعماله ومنها عرف الجمهور نبوغه ورأى تلك الشعلة المتقدة
فى قلبه شغفاً بالفن وحباً فى رقيه . ثلاث روايات فحسب كتبها تيمور
الناسىء نخلد بها اسمه فى تاريخ المسرح المصرى . وهى وان كانت قليلة
العدد لسكنها جليلة الأثر عظيمة النفع فليس البطل بظلاً بكثرة أعماله
بل بقيمتها . ورواياته الثلاثة التى سنتكلم عنها هى « الصنفور فى القفص »
و « عبد الستار افندى » و « الهاوية » وقد أحملنا « العشرة الطيبة »
وغيرها من معرباته لان الاولى ليست من عمله وحده فقد اشترك معه
فى وضع ازجالها الماخنة بديع افندى خيرى ، وقد تكامنا عنها فيما سبق
باختصار . ولأن الثانية معربات لم يكن تيمور نفسه يهتم بها كثيراً

مقدمة عن الثلاث روايات

كان تيمور من أنصار ومؤسسى مذهب « الروايات المصرية » أو
كما يسميه البعض « المسرح المصرى » وهو تأليف الروايات المصرية

العصرية ذات الالوان المحامية، واحلال هذه الروايات محل المعربة ذات الحوادث والمناظر الاجنبية لانه كان يرى أن نهضة التمثيل في مصر لا تأتي الا من هذه الوجة . وقد كتب عن تدهور التمثيل الفنى في مصر فذكر ان من الاسباب المهمة التي أدت الى هذا التدهور هو اهمال الاجواق تمثيل الروايات المصرية فقال في ذلك ما يأتى : (... والآن نريد أن نبحث عن أسباب تدهور التمثيل الفنى وأول هذه الاسباب هو تهافت أجواقنا الفنية على تمثيل الروايات المترجمة التي لا يفهمها المصرى ولا يرى فيها شيئاً من أخلاقه وعادته . ليس التمثيل هو أن تقدم للجمهور روايات أجنبية قيمة ومحبوكة الوضع والسكن التمثيل هو أن تقدم للجمهور روايات تبحث في شؤونه العصرية ايأخذ منها درساً يستفيد منه ...) هذا هو مذهب تيمور وقد سار عاياه بأمانة وعمل على نشره وقد نجح فيه نجاحاً عظيماً . أما رواية الاب ابونار فلم يربها التقيد إلا للاحاح صديقه الاستاذ عبد الرحمن رشدى الذى كان عازماً على اخراجها فى احدى مواسم الاوبرا . وروايته اللغز عربها شغفاً بها خصب . ولقد صدق ظن تيمور فى مذهبه هذا فان الجمهور المصرى متمطش لروايات معربة ذات جو مصرى ومناظر مصرية وأشخاص مصريين وحوادث مصرية والدايل على ذلك اقبال الجمهور اليوم على مثل هذه الروايات وتفضيله لها بينما ترى أغلب الروايات الاخرى المعربة منبوذة قليلة الأهمية ان من طالع روايات تيمور وشاهدها على المسرح يجدها تعبد فى ثلاث نقط أساسية :

الاولى : كتب تيمور رواياته الثلاث باللغة المصرية (العامية)
لأنه وجدها أكثر انطباقاً للحقيقة والواقع من اللغة العربية الفصحى .
وقد حاول مرة فكتب روايته الأولى « العصفور في القنص » باللغة
العربية ومثبات بهذا الشكل ولكنه أعاد كتابتها باللغة العامية . وكان
رأيه في مشكلة اللغة أن يكتب المؤلف بالعامية إذا كانت الرواية مصرية
عصرية ، وبالعربية الفصحى فيما عدا ذلك كتأليف الروايات العربية
والمصرية القديمة (الكلاسيك) وتعريب الروايات من اللغات الأجنبية
وهلم جرا . ونظريته هذه غاية في الصواب لأن الكاتب « الريالست »
أى المتبع المذهب الحقيقي إذا كتب رواية عصرية باللغة الفصحى كان
هذا العمل مخالفاً للحقيقة التي ينشدها لأن بغية من كتابة هذا النوع
من الروايات هو عرض مشاهد حقيقية من الحياة المصرية ، عرض
أشخاص يتكلمون بلغتهم ويمشون في جوهم ، عرض حقائق لا
عرض خيال . وقد دل هذا العمل على جرأة تيمور وشجاعته في الإفصاح
عن رأيه لأننا لا نبالغ إذا قلنا أنه أول من كتب للمسرح الجدى
روايات فنية باللغة العامية .

الثانية : لقد ذكرنا قبلاً أن تيمور كاتب تصويرى بالفطرة ، وقد
ساعدته في ذلك ثبوت المراثيات والحوادث في ذهنه وقدرته على التقليد
ولذلك رأيناه في أغاب كتاباته . وولفاً تصويرياً يصور لك الحقائق
فكانها هي .

كتاباته صورة حقيقية من الحياة وأوصافه تامة ناجحة ، كاملة

ناطقة . فقد كتب « ماتراه العيون » و « خواطر » و « مذكرات
باريس » وقصة « الشباب الضائع » وغير ذلك فصور للقارئ صورة
حية ذات لون حقيقي ، وكتب رواياته أيضاً فعرض على المسرح قطعة
من الحياة بجوها وأشخاصها وكلامها وحوادثها

الثالثة : قدرته على صياغة حوادث الرواية بدون مغالاة ولا حشو .
فرواياته جميعها حية يقظة مملوءة بروح - سحرية ورشاقة عذبة . وان شئنا
أن نزيد القارئ إيضاحاً نقول ان رواياته خالية من المشاهد المملة وهي
كما يقولون « محبوبة » وحوادثها دائماً تأخذنا بجمل المتفرج دائماً يتظلم
منتبهاً متتبعاً حوادثها . وهي فوق ذلك روايات فنية جليسة توحي في
تأليفها أصول الفن قبل ارضاء الجمهور وضمنها انتقاده الصحيح عن
الأخلاق والمعادن المصرية

العصفور في القفص

رواية من نوع السكوميدي ذات أربعة فصول مكتوبة باللغة
العامية و موضوعها عصري عن الحياة المصرية . صحيفة من تاريخ عائلة
من عائلتنا . حال فيها المؤلف نفوس أشخاصه تحايلاً عجيباً وأظهر
لكل منهم شخصية بارزة مهمة وانتقد فيها بعض النقص الأخلاقية
الشرقية التي تؤدي غالباً الى كوارث عائلية ربما انتهت بفاجعات مؤلمة .
« أشخاص الرواية »

(١) محمد باشا على الزفتاوى : أحد أعيان الأرياف الموسرين رحل

عن بلده بعد أن سقط في انتخاب مجلس المديرية - أمنيته العظيمي في الحياة - وسكن القاهرة ليتزلف لبشوات الحكومة وأعيانها ليتوسطوا له في الانتخاب الجديد. رجل له ثروة عظيمة لا يتفق منها الا النذر القليل على بيته وعائلته، وان أنفق شيئاً غير ذلك فجرياً وراء الأبهة والعظمة الكاذبة ليقول الناس عنه انه غنى . مقترج التمييز على ابنه حسن ، يعطيه في الشهر ستين قرشاً ويحرم عليه جاوس القهاوى ليشرّب المبردات مثل الكازوزة وخلافه . يقسو عليه كثيراً ظاناً منه أن هذه القسوة خير علاج لتربية النفوس . هو رجل من رجال العصر الماضي كلف بالافكار القديمة متعصب لها، كاره لكل شئ جديد نافع ، يمتن مثلاً مهنة المحاماة والطب ويقبحهما بينما يمل بالقضاء ووظائف الحكومة

(٢) حسن بك على بن محمد باشا على الزفتاوى : شاب في المدارس الثانوية حسن الاخلاق ذواباء وعزة نفس . نشأ في بيت المذلة والألم فشب يائساً . من حياته كازها لها . أساء والده معاملته وحرمه من عطفه وقتر تاليه تقيراً مخجلاً فسلب منه حب الابن لأبيه وزرع في قلبه النفور منه . لم يجد حسن في تلك البيئة العابسة التي تحيط به أحداً يشفق عليه ويشاركه آلامه الا فتاة غربية خادمة ، فأحبها وأحبته ووجد فيها نفساً طيبة وقلبا طاهراً كريماً . أحدث ذلك الحب في حياته بهجة لمعت حيناً في ذلك الجو المظلم ثم أخذت تهب عليها العواصف الهوجاء حتى كادت تمحيها من عالم الوجود لولا عزيمته ذلك الشاب واباء نفسه . لم يكن ما أتاد حسن محب هذه الخادمة بالأمر الشريف ولكنه سقط

بالرغم منه في ذلك المكروه مدفوعاً بتسوية أئيمه وسوء معاملته له
وتتميره عليه ، ولو كان معزز الجانب محاطاً بالرعاية والعطف الابوي لما
زات نفسه الطاهرة هذه الزلة السيئة)

(٣) محمود بك : شاب من أقرباء حسن ، عاقل مهذب كامل . طالب
في مدرسة الحقوق ورفيق حميم لحسن يفشى له الاخير أسراراً ويعتمد
على مساعدته . مثال الشهامة والاخلاص

(٤) أمين بك : من أقرباء حسن ، فتي وارث استغنى من
المدرسة حديثاً وسلك طريق التبذير والسهر ولكنه خفيف الروح
ضحك ينظر الى الحياة نظرة جميلة لا يرى فيها كدراً ولا حزناً فهو
سعيد بالرغم من الحياة نفسها . يدعى أنه أصبح رب عائلة بعد وفاة
المرحوم والده ولذلك وجب عليه التفرغ لمراقبة أعماله بنفسه لئلا يسرقه
من هم تحت أمرته

(٥ ، ٦) « عزيزه هانم ومرجريت » : الاولى والدة حسن ، أم
منكودة الحظ في زواجها ، تقاسى عشرة زوجها البخيل الجهول وتحمل
آلامه بسبر كبير — هي رمز المرأة الشرقية القديمة . لا تستطيع أن
تنزع عن ابنتها تسوية أئيمه ولا تمنحه الامانة قدر عليه من المساعدة الطمينة .
والثانية خادمة افرنجية عطف على حسن وأشفقت عليه ثم أحبته
كما أحبها . فتاة طيبة وطاهرة ولكنها فقيرة

هذه أم أشخاص الرواية وسنتكلم الآن عن موضوعها باختصار

موضوع الرواية

يعيش حسن بك بن محمد باشا على الزفقاوى فى منزل والده عيشة
الذل والتعاسة محروما من عطف أبيه ومن مساعدة والدته فهم يحب
فتاة افرنكية خادمة فى منزله يرى فيها مثال الاخلاص والوفاء . تدفعه
قوة البيئة التى يعيش فيها الى هذا الحب الحقيقى فيندفع فيه بالاروية ولا
حساب راض من حياته التعسة ببعض أوقات غرامية وجد فيها ما
ينقصه من شفقة وحنان وعطف . فاستمرأ لذتها بنفس شغوفة محرومة من
كل مسرات الحياة . يعيش حسن بك غارقا فى أحلام الحب غير عالم ما
يخبئه له المستقبل المجهول من مصائب الأقدار ، فيصحو على ضجة هائلة
وفضيحة نارها مستعرة فى أفق منزله اذ ينكشف هذا الحب الحقيقى
لجميع أفراد عائلته فيطردوا أمهه من أحبها وأحبته انزلوا ذلك الرجس
الذى اتاه ويسدلوا الستار بينه وبين حبه . فيثور حسن ثورة ينصح بها
عن أمه ويثبم والده العنيد الجهول بأنه هو الذى دفعه الى حب هذه
الفتاة ، ولكن سرعان ماتهدأ تلك الثورة فتخرج الفتاة من دار الحب
ويُسجن القفى فى بيته يعيش عيشة الذل والمسكنة كاسابق . ويمضى على
هذه الحادثة بضعة أشهر وحسن يجتهد فى نسيان الماضى عاملا على احياء
مستقبله من طريق الدراسة ولكنه يفشل فى الامتحان فلا ينال شهادة
البكالوريا . وفيما هو ساكن هادى اذ يصله ثلاث خطابات متتالية فى

أوقات مختلفة كلها من عشيقته مرغريت تخبره في أولها أنها حامل ،
وتهدده في الثاني بإعلان ذلك إذا تركها بلا مساعدة ، وتخبره في الأخير
أنها عازمت على الحضور بنفسها في يوم عينته له لتفصح عن أمرها أمام
عائلته وتطلب المعونة جهاراً لتربية طفله . فتشتعل نار الثورة في رأس
الفتى من جديد ولا يجد أمامه غير رفيقه الجميم محمود فيكشف له سره
ويخبره بأنه عقد النزم على الخروج من هذا المنزل والاحاق بالفتاة التي
أحبها بالامس والتي يحتاج في أحشائها جنين هو من دمه لأن شرفه يحتم
عليه مساعدة الفتاة ، وأنى له المساعدة في هذا المنزل وهو خالي الوفاض
قفر اليدين من النقود . فلم يجد محمود غير وسيلة واحدة وهي افشاء
ذلك السر الهائل لو لدة حسن عاها تنفق معهم على أمر يرضى حسن قبل
أن تعظم المصيبة فيعلم الاب حقيقة المسألة من نفس الفتاة التي عينت هذا
اليوم ميعاداً لحضورها . فترضى الأم بتقديم المعونة للفتاة وتكاد المسألة
بهذا الحل تقترب من النهاية المحمودة ولكن حضور الباشا وحضور
مرغريت بعد برهة وجيزة يفسدان الامر فتعرف الحقيقة وتعلن
الفضيحة على رأس حسن يسمعها الجميع بقلوب واجفة ، فيزأر الباشا زئيراً
نخيفاً ويهم بطرد الفتاة ولكن حسن يتصدى لوالده ويخبره باهجة فلسية
تخلها الارادة وعزة النفس انه لا بد لاحق بها اذا قضى أبوه أن يطردها
وغل يده عن مساعدتها ، لانه لا يرضى أن يكون خسيس النفس وضيعها
فيترك الوالدة بلا مساعدة ولا رحمة وطفلة بين جوانحها . فيزجر الأب
ويطرد الاثنين شر طرد وبذا تحتم أول مرحلة من حياة ابنه .

ينتقل حسن الى السكنى فى منزل صغير مع حبيبته مرجريت التى تزوجها. يكسب عيشه من وظيفة متوسطة فى محل الجمل فى عيشة صغار الموظفين قانعا بزوجة محبة له محبوبة منه . وتمضى الايام سراعا فتلد له مرجريت طفلا وضاء الطالبة جميل المحيا يكسب حياة والديه بهجة وسرورا

تأتى والدة حسن اذ زيارة ابنها ومد يد المساعدة له والتمتع بمشاهدة حفيدها خلصة بدون علم زوجها الباشا وكذا يزوره صديقه أمين ومحمود . ففى يومٍ والكل مجتمعون فى منزل حسن ينتظرون أوبته من محل عمله ينظرون من نافذة الحجرة المطلة على الشارع فيرون حسن آيباً ومصطحباً معه رجل ملتجى يعرفونه بأنه عبد العزيز باشا رضوان عين أعيان الحكومة ، وقبلة محمد باشا على ومعبوده الذى يعتمد عليه ليسانده فى الانتخاب لمجلس المديرية

يدخل حسن ومعه الباشا فيقدمه لمحمود وأمين ويقدمهما له ثم يبدءون الحديث فيخبرهم عبد العزيز باشا رضوان أن حسن أسدى اليه معروفاً ان ينسأه الى الأبد بأن نجاء من الموت تحت عجلات الترام ، وهو يريد أن يجازيه على هذا المعروف بمد يد المساعدة له فى التوسط بينه وبين أبيه وقد كان يجهل الخصام العائلى الواقع بينهما ، فهال الجميع لهذه الفكرة ويستحسنوا حضور الباشا والد حسن فى الوقت نفسه ايتم الصالح حالا ، ويذهب أمين بسيارته الى قهوة . ويخبر والد حسن ان عبد العزيز باشا رضوان يريد أن يراه بخصوص موضوع انتخابه لمجلس

المديرية فيهرع الباشا مغتراً الى منزل حسن ويقابل الجميع . فينتخام معه عبد العزيز باشا رضوان ويتمهد له انه اذا قبل اقتراحاته فان انتخابه محقق هذه المرة فيقبل الباشا الاقتراحات جميعها وهي تتضمن مساعدة حسن مالياً مساعدة شهرية جارية وابقاء الوقفية التي كان الباشا عازماً على عملها وفيها يحرم ابنه من ميراثه . فيتم بذلك الصالح بين الولد وأبيه وتزول الضغائن من القلوب ولكن الذي يسبب الوثام الحقيقي وينشر أوبئة السلام على أفراد العائلة ايس مجالس المديرية ولا الغاء الوقفية بل هو ذلك الطفل البريء من كل ذنب فانه حالمسيرا به جده ويتمتع بتلك الابدانة المشرفة على جيبينه الوضاح ينسى كل شيء ويمتلئ قلبه بالاطف والحنان ويشعر بحجة لم يشعر بها من قبل وهكذا تتمكن روابط الألفة والمحبة وتزداد بين أفراد العائلة من أجل تلك الزهرة النامية ذات العبير الجميل

ما يقصد به تيمور من روايته

غاية تيمور الاساسية في كتابة رواياته هي . اذكرناها آنفاً وكررها عند الكلام على معظم نثره الا وهي عرض قطعة حية من الحياة المصرية بمنظرها وأشخاصها وأخلاقها وشرح تلك الاخلاق شرحاً يفهم منه القارئ أو المشاهد وجه النقد الذي يقصده المؤلف والحكمة الجلية التي أرادها وبني روايته من أجلها . ومن اطاع على الرواية أو ساعده الحظ فرآها من الفرقة التي مثلتها لأول مرة لا بد وأنه أعجب بمهارة المؤلف في رسم اشخاص روايته وفي نقده الاخلاقي وبثه الحكمة الغالية

وكثير الاقبال عليها حتى كادت المسارح الجدية ذات الدرام والتراجيدى تهوى بروايتها الى هوة الافلاس والهلاك . كتب تيمور روايته لغرض أساسى واحد هو اختبار ذوق الجمهور واجتذابه اليه برواية فنية اخلاقية ، ذات مشاهد هزلية ونكات طالية عذبة ، وروح خفيفة ضحوكة ، حتى اذا أفاح في جذبه الى هذا النوع الجديد من الروايات الكوميديية أيقن بمفوزة على التمثيل الهزلى الخليع المفسد للأخلاق . نجأت رواية عبد الستار بدعة على المسرح جامعة لاصول الفن ومسببات الهزل والمجون - رواية لا أغالى اذا قلت عنها انها ابتسامة ساحرة من مبدئها لنهايتها ، أخذة بمشاهدها ، طالية بحوادثها ، خفيفة بكلامها ، عذبة بهزلها ، قوية بنقدها ، تامة بتعاليلها

كان هذا غرض المؤلف من وضع رواية عبد الستار ولكن الظاهر أن تمثيل الرواية في هذا الاوان كان سابقاً لوقته لان الجمهور في ذلك الوقت لم يكن قد امتلأ من الهزل الخليع بأغانيه ورقصه ومدهشات مناظره . فلم تعش « عبد الستار » على المسرح وان كان نجاحها فى الليالى الاولى مدهشاً . لم تعش « عبد الستار » لهذا السبب ولاسباب أخرى أهمها ان الجوق الذى مثلها جوق غنائى على رأسه المغنية المطربة السيدة منيرة المهديية ، والرواية التى ليس للسيدة دور فيها أو بالحرى الرواية الخالية من أنشودة من أناشيدها كان محكوماً عليها بالفشل . وهكذا كان نصيب رواية « عبد الستار » - رواية كوميديية راقية تمثل على مسرح لم يرن فى جوانبه غير غناء السيدة ولم يبدو فى ارجائه غير تهليل الجمهور وتصفيقه

لها . وامل هذه غلطة من غلطات المؤلف التي لم يكن يحسب لها حساباً ،
وكثيراً ما تخطئ ظنون المرء

أشخاص الرواية

(١) عبد الستار افندى : رجل عالم ، من الطبقة المتوسطة ، موظف
في احدى الوزارات براتب تسعة جنيهات ، متصابي يغازل النساء ويفتخر
بذلك ، جبان القلب ضعيف الارادة الى حد جعله العوبة في يد امرأته
القاسية وابنه الوقح ، يأنر بأمرهما ونهيهما . ولكنه ذو قلب طيب ممتلي
بالشفقة والحنان ، يحب ابنته فوق كل شئ ويطلب لها العيش الرغد
والحياة السعيدة . ومن أجل تلك الابنة أراد عبد الستار الذليل المهضوم
الجناح أن يرفع رأسه وينادي بخلاص ابنته من هوة الزواج السحينة
التي أراد أخوها وأمها (أى ابنة وزوجته) أن يرمياها فيها . اختار
عبد الستار افندى فتى شريف النفس ، مهذب الاخلاق ، كامل الطبع
اسمه بليغ زوجا لابنته ولكن ابنة عفيفي لم يرض بهذا الزوج بل
اختار شاباً صعلوكاً ، ذنى النفس ، مشهوراً بالنصب والاحتيال ، اسمه
فرحات ، سمى عند عفيفي هذا المسمى واعداً اياه أن يزوجه ابنة أحد
العظماء الموسرين اذا تم له زواج أخته . فرفض عبد الستار هذا الزواج
وتشبت بنتاه الذي اختاره لابنته من قبل . وبدأت معارضة من ذلك
الحين وكان بالامس بعيش مطأطئ الرأس راضياً بما قسم له خاشعاً أمام
زوجته صاغراً لما أمر به ابنته . رفع عبد الستار عقيرته ونجراً ان يسمع

صوته لأول مرة مدافعاً عن ابنته وسعادتها . ولم تكن صدمات الزوجة
والابن وقساوتيهما بما نعمة اياه من السعي المتواصل وراء بغيته ، كان بين
تارة ويهدد طورا ، كان يتراجع مرة ويهاجم أخرى . وهكذا جعل المؤلف
شخصية عبد الستار مسرحاً لنضال قائم بين الارادة والضعف ، بين
العزيمة والوهن . وهل ننسى ما يقوله ذلك الاب المسكين الذي ما دفعه
الى ذلك العناد القوي غير حب ابنته ورغبته في إسعادها : (والله طيب
يا عبد الستار . قعدت تخاف وأستر على كل حاجة وعشان كده سموك
عبد الستار . لكن عشان خاطر بنتك راح تعمل اللي انت عايزه وبكره
يسموك عبد القادر !) وهل ننسى أيضاً معارضته لنفسه حيث يقول
لها بقاب جرى ، لم يعود من قبل غير الرضى والاذعان : (مستحيل ان
فرحات ده تجوز بنتي . سامعين ؟ أنا سكت لكم كثير . لكن المرة دي
راجح اعمل اللي ما يتعمل) يقول عبد الستار هذا القول الذي يدل على
تجدد العزيمة وازدهار الارادة وهو الذي سمعناه من قبل يقول ساخطا
على حياته راضيا عن ذله : (والله يا عبد الستار خلّيت بنفسك شوية من
السكاينة اللي رماك ربنا بها « يعني زوجته » . في الديوان رئيسك
موريك الغاب وفي البيت ابنك مكفرك ومراتك مطاعة روحك ...
القصد أديك بقيت لوحدك) . ولكن شخصا نبت الذل في قلبه وأضى
عمره في بيئة كلها قسوة وامتهان وخات نفسه من بدور الارادة الصالحة
يستحيل عليه أن يخلق له عزيمة ثابتة ويؤسس له ارادة قوية سلبية .
ولذلك رأينا عبد الستار افندى يجهن ويتراجع القهقري خصوصا بعد أن

حبسه ابنه وزوجته في المنذرة الرطبة حيث أفضى طول الليل على مقعد من الخشب . أثرت فيه تلك القسوة فأنخلع ما تجد من ارادته واستسلم لأوامر ابنه وزوجته فرأينا جميلة ابنته تصرخ قائلة وهي تجيب عم خليفه ، حاييف أبيها وساعده الأيمن : « نرتب إيه ونعمل إيه اذا كان انت وأبويأ مافيش فيكو قوم . لا ياعم خليفه أنا حاتكل من هنا وراح على نفسى وربنا يساعدي » . تقول جميلة هذا القول بعد ان رأت ان أباهأ يكاد يتخلى عنها وكانت تعرف حق المعرفة الى أى هاوية مُساقفة

عفيفي : ابن عاق سبى الترية فاسد الأخلاق عاطل من أى عمل ، ولكنه يدعى انه عضو عامل في الهيئة الاجتماعية . كيف لا وهو غاوى تمثيل وعضو في جمعية الرفق بالحيوانات ! وقبح شرس يخافه كل من المنزل فهو السيد المطاع الذي لا يرد له أمر ولا نهى . يخافه أبوه وأمه ولا يجسر ان على معارضته فيما يريد ويطلب . ذنى النفس شرير يتخذ له خادمة حقيرة في منزله خلية له ، ويختار لأخته زوجا من المتشردين النصابين طمعا في زوجة ثرية وعده بها ذلك الصعلوك الكذاب . مشتمل بتربية بعض الكلاب في منزله ويكلف أهل المنزل من أيه الى خادمه - برعايتها وخدمتها . ولا تنسى حدته وغضبه على الجميع حينما يجد أحد كلابه مريضا ، اذ يقول : « ازاي الكلب فوكس يعبي واتم كلكم طبيين . أنا عارف السبب عارفة . » موجهها الكلام لوالدته « حضرتك مانحبيش كلابي وموش عايزه حد يعيش في الدنيا إلا الارانب بتوعك . » موجهها الكلام لأبيه « و حضرتك عامل صاحب أشغال ، رايح فين ؟

على الديوان . جاي مئين ؟ من الديوان ولا تسألني أبداً عن الكلاب .
« موجهها الكلام لأخته » وحضرتك ما تيش ساهله الا عن جوازك .
لا . أخذ ده . لا . ما خدش ده ...)

نفوسة : امرأة عامية من الطبقة المتوسطة سيئة الاخلاق جبانة
القب تقسو على زوجها الضعيف وترهب ايها الشرس . شخصية قوية
أوجدها المؤلف في هذه الرواية ليشرح أخلاق نساء (أولاد البلد)
وعوائدهن ومعاملتهن مع الغير ومبلغ رقي أفكارهن . لا ايها عفيفي تأثير
شديد عايبها ، فدائماً في صفة تساعده على تنفيذ أوامره بأطالة كانت أو
حسنة . ولقد رأيناها ترضى بمن أتاه لها زوجاً لا يبتها ، ورفضت ذلك
الذي اختاره زوجها ، خوفاً من إيها واعتقادها أنه أعلى فكراً وأرجح
عقلاً من زوجها . ومن عاشت تلك المدة الطويلة وهي تنظر لا إيها هذه
النظرة المجردة عن الحق رهبة منه وخوفاً على نفسها من بطشه لا تجدي في
شخصيتها مغالاة ولا ضعف . رضيت نفوسه بمن اختاره عفيفي زوجاً
لجياة وسمعت الثناء المستطاب من فمه فقابله بالفرح والاستبشار
وتأقت كلامه كما يتلقى الانبياء الوحي فلا تقض هناك ولا ابرام .
فكان حظ من اختاره عبد الستار الرفض والطارد والحزء والسخرية .
ودام الحال على ذلك حتى اتضح الحقيقة وأكد لها زوجها أن
التي فرحات شخص . منخط الاخلاق نصاب لا يليق ان يكون زوجها
لجيلة . وعززت كلامه ابنته التي كانت نمت هذا الشاب وتميل
لبليغ الشاب المهذب الذي اختاره أبوها . فبرهنت لامها ببرهان قاطع

أن فرحات نصاب وهي ترفض الزواج منه . فرأينا الأم في ذلك الوقت
أما يذبض قلبها بحجة ابنتها وتحتاج نفسها بطلب السعادة لها فسمعناها تقول
لابنتها : (اوع يا حيتي يا بنتي بخاطر بيالك أني أجوزك الواد بتاع الازبكية
ده « تعنى فرحات » خصوصا وأن جوزك بليغ بك بكره يسطك
ويشوف كيفك ٠٠٠) يدل هذا الكلام على أن نفوسه اقتنعت بكلام
زوجها وقبلت بليغ زوجاً لابنتها . ولكن سرعان ما يدخل عفيفي ويسمعها
صوته حتى يتلاشى ذلك الاعتقاد وترجع الى فكرها الأول معضدة
إبنتها في طابه . والذي يساعد هذا الابن الشرس الوقح على التأثير على أمه
أخلاق عبد الستار النسائية وسداجته الكبيرة ، فينصب له الابن مكيدة
يدبرها مع خلياته الخادمة « هانم » تظهر جميع خفايا قلبه ، فتسمعها نفوسه
زوجته بقلب حاقد ونفس شريره ، تسمع أقواله وهو يغازل ويحدث
هانم بينما تكون مخبئة وراء الستار فيزول ذلك الأثر الباقى من نفسها
وتنهال على زوجها تضربه بنعالها ضرباً مبرحاً بين منته ثم تصدر قرارها هي
وابنتها بحبس عبد الستار في المنذرة فيقضى المسكين طول الليل بين
ويبكي ويندب سوء حظه وعظم سداجته . هذه أخلاق نفوسه زوجة وأماً .
عم خليفه : رجل كهمل خدم العائلة من قديم ، فهو صديق أكثر
منه خادم ، لا يسلم من اهانات عفيفي ونفوسة ولا من مكر الفتاة الخليفة
هانم ، رجل طيب ساذج . وكثيراً ما شاهدنا الطيبة مع السداجة ،
والمكر مع الذكاء . لا يجب غير سيده عبد الستار لانهما اشتركا في
السداجة والبؤس . كلاهما ذليل ممتهن يقبل الذل بصمت وصبر .

شخصية جميلة شرحها المؤلف شرحاً وافياً أظهر فيها صورة ذلك العجوز الطيب القلب الصابر على بلواه المخلص لسيدته الذي تملأ البساطة نفسه فتراها على وجهه وتسمعها من كلامه وتجدها ظاهرة في معاملته

جميلة : شخصية جميلة ليست من شخصيات الرواية القوية لأن المؤلف أوجد فيها روحاً غريبة تخالف بعض المخالفة روح بنات مصر . فتاة محبة محبوبته تجاهر برأيها في رفض من اختاره أخوها وتعمان عن رغبتها فيمن تريده زوجها لها . والمعروف أن بنات هذه الطبقة ليست فيهن تلك الروح الجريئة خصوصاً في مسائل الزواج واختيار الزوج

فرحات : لا نجد وصفاً له أحسن مما قاله عبد الستار في سياق كلامه عنه : (فرحات الواد الصايغ اللي عامل ديل لاولاد الزوات . دا واد صنعتته تخلي الوش بحمر . أنا ما أجوزشي بنتي أبداً من راجل فلاني ، بتاع نسوان ، قازني وحشاش ... وكان يخدم أصحابه ! ...)

بايع : فتى مهذب ، كامل الاخلاق . موظف في إحدى المصالح وثروته بسيطة ، يحب الجميلة يريد لها زوجة له . يتوفى عمه ويخاف له ثروة لا يستهان بها قدرها مائة فدان و ٤٠٠ جنيه ذهب في البنك . بهذا المبلغ يفوز بايع بأمنيته فيهب لعمته نفوسه ونسيبه عفيفي يضع أفدنة ويضع دربهات يسكت بها أصواتهما الممارضة فينتقلبان يسبحان بحمده وبهجانه بشكره هاتم : فتاة خالصة مراوغة مأكرة . خلية عفيفي وساعده الأيمن في شره . تعبت بمن في المنزل جميعه ، لا تبقى على سيد ولا على خادم بل الكل في قبضة يدها . وكيف لا يكون ذلك وسيدتها عفيفي حامياً

الأكبر. رأينا تيمور يحال أخلاق هذه الفتاة على المسرح تحايلا مدهشاً
من مبدأ الرواية لنهايتها. فكأنه أتى بفتاة جمعت تلك الأخلاق من
يدتها الصحيحة (البلدية) وأوجدها على المسرح لتمثل لنا الحقيقة التامة.
فشخصية همام شخصية قوية أودع فيها المؤلف نس فتاة متتهكّة خالصة
من فتيات الطبقة البلدية

موضوع الرواية بالانحصار

عبد الستار افندي رب البيت يعيدش في منزله تحت سيطرة ابنته
وزوجته. يختار لابنته فتى مهذباً زوجاً لها ولكن زوجته وابنه يرفضان
ذلك الزوج ويختاران زوجاً آخر من سفلة القوم يدعى فرحات. وكان
فرحات هذا قد وعد عفيفى بأنه اذا تزوج أخته جميلة يسعى له في زواج
كرامة المثرى الوجيه عزيز بك فيغتر عفيفى بهذا الوعد الكاذب آملاً أن
يحقق آاله الخيالية من طريق الزواج ويحتم على والده بقبول فرحات
زوجاً لجميلة. ولكن جميلة تحب بليغ وتريده زوجاً لها وتكتشف عن
طريق الصدفة خيانة أخيها لها بأن تسمع حديثاً يدور بينه وبين فرحات
تعلم منه سفالة أخلاق ذلك الخطيب ومكانته الوضيعة الساقطة في الحياة.
وكان عبد الستار يجاهد في سماع جهاد الابطال ولكن بدون فائدة.
وتوفى في هذه الاثناء عم بليغ فورث منه الفتى ثروة لا يستهان بها قدرها
١٠٠ فدان و ٤٠٠ جنيه ذهب في البنك فيعم عبد الستار الفرح ويذهب
الى زوجته يخبرها هذا الخبر السار ويبرهن لها في الوقت نفسه بسفالة

أخلاق النتى فرحات و فقره المدقع. فيدق قلب نفوسه فرحاً و يزول بها
من البغض بليغ . و يأتي عفيفي فتشرح نفوسه له الامر بمسكنة و ذل
ليرجع عن رأيه و يرضى بليغ الشاب الغنى المهذب زوجا لأخته جميلة .
و لكن عفيفي لا يرجع عن رأيه و يخبرها بأن كل ما قاله لها عبد الستار
كذب و بهتان . و هل تصدق كلام هذا الرجل الماكر الكذاب الذي
لا يرعى ازوجته عهداً ولا وفاء . فتطاب منه المزيد فيتفق مع خلياته هانم
لتمثل لهما دوراً مع عبد الستار يظهر منه خفايا قلبه . فلما يأتي عبد الستار
يحتجى الاثنان وراء الستار يريان بعينهما تلك المهزلة الغريبة ويسمعان
بأذنيهما اعتراف عبد الستار . تستدرج هانم عبد الستار بخلاعتها و مكرها
فيقع في شباكها و يفتح قلبه لها ، فتسمع نفوسه من فم زوجها تلك
السكر اهية التي خصها بها — تسمع أخبار خيائته لها مع نساء تعرفين —
تسمع لهجته الغرامية مع هانم ، فتخرج من محبتها و النار تأجج في قلبها
و تنهال عليه ضرباً بدمعها ثم تأمر بحبسه في المنذرة الرطبة فيقضى بها ايلة
طويلة قاسية . كانت تلك الرواية التي قامت هانم بتثيلها أمام نفوسه خير
برهان يثبت لها كذب عبد الستار و خيائته فأصبحت آتده منافقا كذوباً
و ازدادت ثقتها بانها فأقرته من جديد على زواج فرحات بجميلة . وفي
صباح اليوم التالي حبس عبد الستار يأتي فرحات مع المأذون ليعقد العقد
على الفتاة و يأتي في ذلك الوقت بليغ مزوداً بالمال و حجيج الاطيان و تقام
في ذلك الحين حفلة مزايمة بدلا من حفلة القران فيزيد كل من الخطيبين
صداق الزوجة و يخص كل منهما نفوسه و عفيفي باطيان و مال استماله لهما .

ولكن فرحات النصاب خالى الوفاض لا يملك الا الدفع مؤجلا فترجح
كفة بايغ . وبينما الككل على هذا الحال اذ يدخل ضابط بوليس يلقى القبض
على فرحات لانها به بالنصب والاحتياىل فيتم الفوز لبايغ وتصنعوا الاحوال

ما بقصره المؤلف من روايته

كتب تيمور عبدالستار لا يشرح للججمهور نظرية أخلاقية أو يعرض
عليهم حكمة غالية بل كتبها لمجرد التحليل النفسى لأشخاص الرواية ،
وعرض قطعة حية على المسرح ظهرت فيها بأجلى بيان الأخلاق المصرية
لطبقة من الطبقات . وهذا نوع الروايات التى تبحث فى درس الأخلاق
فحسب « étude de caractère » . فهى والحالة هذه الرواية الأولى من نوعها
تجلىت فيها دقة المؤلف فى الملاحظة وبراعته فى درس الأخلاق . عاب
بعضهم على تيمور أخراج رواية خالية من أى معنى أو قصد ، ولكنهم جهلوا
غرضه الأساسى من كتابتها كما جهلوا ذلك النوع الروائى من قبل لتعودهم
رؤية الروايات ذات المغزى سخيفة كانت أو جليلة . واذا هم دققوا النظر
واعملوا الفكرة وعرضوا أمام أعينهم شخصية كل فرد من أفراد رواية عبد
الستار لتجلى أمامهم قيمة الرواية وقوتها الفنية .

سوف يشرق اسم عبد الستار من جديد فى أفق المسارح المصرية
حيثما تعدد أمثال هذا النوع فيقر المنكر بفضل هذه الرواية ويعترف
لمؤلفها الراحل بمكانته الخالدة

رواية الهاوية

سمعنا واحدا من أصدقاء التقييد يقول « لو مات تيمور ولم يكتب
الهاوية لقلنا أنه مات ولم يعمل شيئا، أما وقد ألف الهاوية فقد خلد اسمه في
تاريخ التمثيل المصرى ». ومع ما فى هذا القول من المبالغة فهو لا يخلو
من الحقيقة. لأن الهاوية خير رواية كتبها تيمور وربما كانت خير
رواية أخرجها المؤلفون المصريون على المسرح المصرى

رواية الهاوية كوميدى درام ذات ثلاثة فصول صور فيها المؤلف
سبئته لها مساس كبير بحياة العائلات المصرية. تضمنت هذه السبئية ما أتاه
المؤلف على لسان أحد أشخاصه يسرى باشا وهى: (مادام الراجل مشغول
بالنسوان والخزرة والسهر والكوكابين طبعا الست رايحه تشتغل أولآ
بالشرابات والمناذيل ... وبعدين تشتغل بحاجات نانية ... !)

بنى المؤلف روايته على أساس داء الكوكابين — ذلك المرض القاتل
الذى شغفت به الشباب وأقبلوا عليه اقبالا يندر بسوء المصير. فأتى
بشباب من عائلة كبيرة متزوج وله ثروة عظيمة ورثها عن أبيه. شغف
بشم الكوكابين ففسدت أخلاقه واندفع فى طريق مهلك سماه المؤلف
فى روايته (السكة اللى تودى ولا ترجعش) وهو طريق السهر
والمقامرة والنساء، فيه تندفق الثروة العظيمة فيخسر الشاب فى وقت
قصير ماله وشرفه وربما خسر حياته أيضا

حلل المؤلف أخلاق بطله — « أمين بك الشاب المتزوج الوارث

المعرم بالكوكابين » - تحليلاً تاماً أوضحته مشاهد الرواية ومخادئاتها
فأثني نموذجاً كاملاً لهذه الفئة الطائشة التي كثيراً ما أودت بأخلاقها
وحياتها مندفعة في ذلك السبيل الفاسد بدون روية ولا عقل . ان شخص
أمين بك يجدر أن يكون مائلاً دائماً أمام متعاطي الكوكابين من الشبان
ليأخذوا من حياته درساً نافعاً يتقدم مما هم اليه مساقون

رواية الهاوية هي تاريخ حياة أمين قسمها المؤلف ثلاثة أقسام هي
عدد فصول روايته . القسم الأول شرح فيه المؤلف كيف يعيش أمين
مع زوجته وكيف يعامل خاله وأمه وما هم أصدقاؤه . أما مديشته مع
زوجته فمباشرة رجل يمضي ليله خارج المنزل يقامر ويسكر ويفنى شبابه
بين الكوكابين والنساء ، ويمضي نهاره هنا وهناك محاطاً بفئة طاغية من
الاصدقاء - معيشة جمات زوجته المهملة الغير محبوبة أن تتبع هواها ،
فتنهارها في مخازن البيع ومصر الجديدة والجزيرة وليلها في المسارح المصرية
والافرنجية . وهناك مقاله يسرى باشا وصفاً لهذه الزوجة ، وهو يحدث
أخته حكمت هانم (والدة أمين بك) : (احنا اتربينا تربية جنس
تاني . عمرنا ماشفنا البهرجة ولا الدلع ولا الزينة ولا الحمر ولا ليض ولا
اليشمك ولا حاجة من دى . احنا بناتنا متعلمين ومتربيين يقضوا وقتهم
في شغل بيدهم وفي تربية أولادهم وفي المطالعة مش في شكوريل وسمعان
والجزيرة ومصر الجديدة والبياترات زى مرارة ابنك !)

أما معاملة أمين لخاله فمعاملة خسنة شديدة ، معاملة شاب طائش
لا يرضى بغير رأيه ولا يتبع نصيحة من هم أكثر منه خبرة وحنكة وعقلاً .

تستدعي حكمت هانم والدة أمين يسرى باشا وترجوه أن ينصح ابنها
ويهديه سواء السبيل ويحدثه عن ثروته وما يجب عليه أن يفعله ليحفظها
من الدمار فلا يكاد يسرى باشا يفتح فيه ناصحاً ومحدثاً ابن أخته حتى
تنهال عليه الشتائم والاهانات . أما معاملة أمين لوالدته فمائلة لمعاملته
خلاله وإن كانت أقل منها قليلاً . ووالدته أم قبل كل شيء . أعملت تربية
ابننا شفقة وحناناً عليه فهي من فئة الوالدات الخنونات اللاتي ياتين بحنانهن
أولادهن في وهداة الشقاء ثم يشكون حالهن وسوء حظهن . وما
أحسن قول يسرى باشا لها وهو يحدثها عن ابنها وعن شفقتها عليه : (أنا
مش قلت لك أن سبب فساد الأولاد هيه شفقة الأمهات . أعرف أن
شفقة الأم كويسة . لكن أعرف كمان ان شفقة الأم لازم يكون
لها حدود . بقى عشان خايفه أن ابنك يزعل تخليه يعمل اللي على كيفية
ويفضل ما يبي في السكة دي . . .)

أما أصدقاء أمين فكثيرون لم يظهر لنا المؤلف منهم غير اثنين :
شفيق بك ومجدى بك . وهما من اخوان السوء الذين ياتصقون بالشاب
الغنى الطائش يتعصون ثروته متظاهرين بالاخلاص والمحبة له وهم لا
يضمرون الا الايقاع به والانتفاع منه بقدر ما يستطيعون . يأتي بهما
أمين لداره ويشرعون يتجادون حديث المجون والخلاعة وهم يشمون
السكراكين بين فترة وأخرى ثم يقدم لهما أمين زوجته جرياً وراء الحرية
التي لا يعرف منها الا اسمها . وهكذا يقود الزوج زوجته لطريق جديد
لم تكن تعرفه . شايلان من سفلة القوم يتعرفان بزوجة صديقتهم — زوجة

مهملة وغير محبوبة ومدفوعة فوق ذلك بخلقها الناقص الى سبيل الطيش
والرعونة . ماذا تكون نتيجة ذلك التعارف ؟ وهل يستطيع أمين
الجهول أن يعرفه ؟

هكذا ختم المؤلف القسم الأول من حياة أمين والفصل الأول
من فصول روايته . أما القسم الثاني من حياته فيبدأ بمدعى أربعة
أشهر من ذلك التعارف وفيه يفتح شفيق بك في غواية زوجة صديقه
أمين فيظهر لها بمظهر الحب الذي ضرّم الحب أنفاسه محدثاً إياها عن
حياتها البائسة حياة العزلة التي لم تتمتع فيها بالحب ، والحب هو سعادة الحياة
ونعيمها

استطاع شفيق بك بحلو حديثه السام وخبائثه أن ينفذ في قلب
تلك الفتاة الطائشة سهام غرامه القاتل فأصبحت تشمر بميل له وواعده
على الحضور لمنزله ليقتطفا ثمار الحب الشبية وينعمان بالسعادة والهناء تحت
ظلال الغرام الشريف . . ! واعدته الفتاة على الحضور ومدفوعة بعوامل
كثيرة - اهمال زوجها وغواية شفيق القوية وطبيعة خالقها الناقص -
عوامل ثلاثة تهدد جبال الشرف وتقود النساء من ذمهن الى حيث
يضحين عفافهن ويلوثن حياتهن بالعار الدائم

اذا كان شفيق استطاع أن يغوى زوجة صديقه ليأتي على شرفه
فقد حدثته نفسه في الوقت عينه أن يجوز على جزء عظيم من ثروته .
فانهمز فرصة افلاس أمين والحجز على احدى عزبه فتصدى لمشتراهاتهن
بخس مخجل ، وهو الذي كان يمد يده لأمين بالامس يأخذ ما يتصدق به

عليه من الحسنة ! ولكن يسرى باشا خال أمين الذي عقد العزم على
نجاة أمين بالرغم من نفسه يذهب متذللًا شاكياً لشفيق راجياً منه أن
يعدل عن هذا الشراء لأنه يريد أن يشتري هذه العزبة لنفسه ثم يردّها
لأمين بعد أخذ ثمنها من ريعها خدمة لأمين ومحافظة على ثروته فلا
يقبل شفيق ولا يجدي ٩٠٠ رجاء ولا توبيح . فمن ذلك نعلم أن شفيق الذي
يعده أمين صديقه الحميم وساعده الأيمن يريد أن يقضى في وقت واحد
على شرفه وثروته

في يوم الموعد - موعد حضور رتيبه هاتم زوجة أمين لدار شفيق
- يدعى شفيق المرض ويرسل خطاباً مع خادمه لأمين يعتذر إليه بعدم
استطاعته مقابله اليوم لأنه مصاب بمرض شديد وصداع ويرجوه
نزهة جميلة مع خليلته الجديدة . وكان أمين تعرف بأحدى الحسان
وواعدته أن تقابله في ذلك اليوم ليتنزها سوياً في الجزيرة فعز عليه أن
ينفرد بالحسنة ورغب أن يشرك معه صديقه الحميم شفيق فخادته في ذلك فلم
يرفض الدعوة ولكنه اعتذر أخيراً لأن رتيبه واعدته على الحضور في
هذا اليوم ، وهي أول مرة قبلت أن ترمى بنفسها في أحضان رجل غير
زوجها . فضحى شفيق . وواعد أمين ارضاء لرتيبه وكيف لا ينمل ذلك وهو
الذي استطاع بعد أربعة أشهر طويلاً أن يقتنص هذا الغزال المهجور
ويأويه في داره لينال منه بغية الفاسدة

يرسل شفيق الخادم بالرسالة ويأمره بعدم الرجوع ثم يوصي الخادم
الصغير بحراسة الباب ويأمره بأن لا يسمح للرجال أن يطأوا عتبة بابه

فاذا سأله أحد منهم أجابه على الفور بأن البيك غير موجود . أما اذا أتت سيدة فيفتح لها الباب على مصراعيه . ثم يعطيه قرشا مكافأة له على نباهته وقيامه بالواجب سلفا !! فيتناول الفتى قرشه ويترك الباب بلا حارس ذاهبا الى السوق يشتري بلمكافأة مايشبع به بطنه من مختلف الحلوى ، ويجلس شفيق مطمئنا مستريحاً مستعداً لمقابلة المحبوبة ولا يمضي عليه وقت قصير حتى يسمع وقع خطوات فيقوم ليستقبل رتيبه . ومن يأتي خلافاً في ذلك الوقت ، والميعاد ميعادها واليوم لها كله ، فاذا به يستقبل الصديق مجدى فيفزع منه بادي الأمر ثم يسأله كيف دخل وهل لم ير الغلام الحارس على الباب ، فيخبره بأن الباب بلا غلام ولا خفير ، وبعد محادثة قصيرة يخبره شفيق بأن الساعة ميعاد حضور فتاة تعرف بها حديثا لا يستطيع أن يخبره باسمها لانها من عائلة كبيرة ومنزوجة ثم يرجوه أن يتركه منفرداً لانه لا يريد أن يفضح أمر الفتاة ، ولكن مجدى المهزار الثقيل ذا النفس الذليلة الساقطة يمكث بالرغم من شفيق ضاحكا مستبشراً معللا النفس برؤية تلك الحسناء المنزوجة التي استطاع شفيق أن ياقبها في شبابه فيضطرب شفيق ويحتدم معه واذا بهما يسمعان وقع اقدام فيدفع شفيق مجدى لحجرة النوم و يتقلل باها عليه ويذهب ليستقبل فتاته فاذا بازائر يسرى باشا الذي جاء ليرجو شفيق أن يتنازل عن شراء العزبة ولكن شفيق لا يجد صعوبة في اخراجه من منزله وارجاعه من حيث أتى . ثم يخرج مجدى من مخبئه ويرجوه الاصرع في الخروج فيطالب منه مجدى تمويضا فيعطيه ثلاثة جنيهات يأخذها ويهم

خارجا واذا بالفتاة رتيبة داخله وتكون قبرة عصبية هائلة ، يعلم فيها مجدى أى فتاة استطاع شفيق أن يوقعها فى شباكه ، وتضطرب رتيبة اضطرابا ينم عما شعرت به من وقع الفضيحة والعار ، ويفضب شفيق لأن الظروف أتت على عكس ما يشتهى !

وبعد خروج مجدى يجتهد شفيق فى استرضاء رتيبة مؤكدا لها أن ليس هنالك ثمة فضيحة ولا عار لأن مجدى من عابدى الدرهم وهو لا يخل عليه بما يسكت لسانه ولكن تلك الصدمة الهائلة جعلت رتيبة تصحو برهة من حياها الغرامى فتصيح قائلة : (أنا بسأل نفسى دلوقتى ازاي طلوعتك وجيت ، ازاي فكرت فى انى أخون جوزى) ولكنها تجد ان الذى هيا لها سبيل السقوط هو زوجها فانها وان كانت مذنبه فالذنب الاكبر قد اقترفه زوجها . وهكذا نسمعها وهى تخاطب شفيق : (صحیح أنا بنت طايشه ، دائما كنت أجهل واجبانى ، ولكن جوزى ما عرفش أبدا يرجع لى صوابى ، هو اللى خلانى أشوفك ، هو اللى اداك الفرصة عاشان نجبنى ، هو اللى خلانى أحبك ، هو اللى اسبب فى انى أجبى برجايه لحد بيتك) كلام كله حكم غالبية ، نعرف منه ما كان يجول بنفس تلك الفتاة الضعيفة فى ذلك الوقت المصيب الذى أتت فيه لتبيع شرفها وتلحق بنفسها العار الدائم . لقد اعترفت بخطئها وما أوقعها فيه زوجها من المصائب والحزن ، وكادت تنهض بشرفها الذى لوئته بعض الأدران وعقدت العزيمة على ترك ذلك المكان والرجوع من حيث أتت قاعة من الغنيمة بهذا الدرس الاخلاقى الكبير ، ولكن يمز على شفيق

أن يفشل في ساعة اتصاره النهائية وأن يفات الظبي من عنده وهو ما زال قابضاً عليه بيديه فأقبل عليها يتصيداها من جديد بعذب كلامه نادياً حظه السيء الذي أرسل إليه مجدى في هذه اللحظة ليعكر عليه صفو سعادته ، ثم جعل يحدثها تارة عن حياتها وما فيها من شقاء وامتهان وطوراً يقسم لها بشرفه عن حبه الطاهر النظيف فتقع الفتاة في الشباك مرة أخرى وينتصر الغرام الفاسد على الارادة النسائية الضعيفة وتزول تلك الجملة القوية التي قاتتها عن نفسها : (ازاى افكرت في انى أخون جوزى) ، أجل زال كل شئ ولم يبق في النفس إلا صورة الأحلام الفاسدة ممزوجة بمنظر حياتها محاطة بهالة سوداء من غواية شفيق القاتلة . وبينما هما يقتربان من كوروس الشبانيا يروحان ما بهما من عناء ويدفمان بنفسهما الى عالم اللذة يسمعان وقع خطوات ومشاجرة بين زائر جديد والغلام الصغير

من يكون هذا الزائر وكيف رجع الغلام الصغير الى المنزل بحرس باه ؟ أما الزائر فكان أمين بك زوج رتيبه — زوج الفتاة التي جاءت تخونه مع أعز صديق له ، جاء أمين بك يعود شفيق لأن الرسالة أخبرته بأنه طريق الفراش يشكو صداعاً ومغصاً ولأن حسناءه التي كان ينتظرها لم توف بوعداها ، أما الغلام الصغير حارس الباب فقد رجع الى الدار من السوق حينما صرف آخر مايم عنده .

تضطرب رتيبه اضطراباً عظيماً حينما تعلم بحضور زوجها فيدخلها شفيق على عجل غرفة النوم ويقفل بابها بالمفتاح ، ويحضر أمين بك متناقل

الرأس يترنح ذات اليمين وذات الشمال من تأثير الشراب ، وبعد المصافحة
والكلام يخبر شفيق صديقه بأنه كتب اليه خطاب الاعتذار لأنه لم يرغب
في تكبير صفوه مع حسناؤه . ولكن أمين لا يقتنع بهذا العذر ويدخله
الريب في كلام صديقه ويتفتت يمنة ويسرة فيرى كاسات الشمبانيا
مملوءة ومعدة للشرب فيسأل شفيق ضاحكاً : (وهل عندك حسناء تريد
أن تخفيها عني) فلم يسمع شفيق الا الاعتراف بان عنده حسناء ، وهي
فتاة متزوجة لا يمكنه أن يبوح باسمها ورجاه باظف أن يترك المنزل لأن
الوقت ليس وقته بل وقت الحسناء ، فيضحك أمين ضحكات ثمل مأفون
ويقسم أنه ان يرح المنزل حتى يعلم اسم الحسناء ويدور في الغرفة ضاحكاً
ضاحكاً فيقع بصره على مروحة زوجته وكانت تركتها على احدى المقاعد
فيألتقطها ويفحصها ثم يصيح هازئاً رفيقه ويقول : (أنت تريد أن تخفي
عني اسم عشيقتك والسكنى عرفتها) فيهتز شفيق رعباً ويسأله عن معنى
ذلك فيقول له أمين ان هذه المروحة لشقيقة مجدى ، لأن زوجته ذهبت
الى شيكورييل وقابلت هناك أخت مجدى فاشترتاً مروحتين متماثلتين لم
يكن في المحل غيرها ، فيطمئن شفيق ويحول رعبه ويرجو صديقه أن
يكنم سره مع الفتاة لأنها أخت صديقهما ، فيؤنخه أمين على خيائنه
لصديقه وبعد مناقشة وجدال بين ثمل وصاح يخرج أمين من المنزل وهو
يصيح قائلاً (صعبان على جوزها المغفل !!)

يترك أمين المنزل ويخرج رتيبه من حجرة النوم وهي تمتعة اللون
مترجفة الأعضاء تكاد تسقط من هول الحادثة . فيقترب شفيق منها

ويبدأ مداعبته ولكنها . مداعبة باطلة لا تجدى ولا تنفع . لقد أصبحت
رتبه غيرها منذ لحظة . دخلت ذلك المنزل ساقطة وستخرج منه شريفة
محافظة على عفافها . لقد هيا الله لها حوادثاً هائلة فتحت أعينها المغمضتين
فأرت هوة الخيانة والسقوط فأحمة فالها لتبتلعها الى الأبد فتصيح قائلة :
(آه ياربى ما كنتى بينى وبين الفضيحة الا شبر واحد . أما صحيح كانت
عينيه مقفولة ودلوقتى أنتحجم) وتترك المنزل وهى تقول لشفيق :
(دلوقت عرفت انك راجل دون ، نذل ، جبان ، الوداع . عمرك ما
انت شايف وشى أبداً)

وهكذا ينتهى الفصل الثانى من الرواية أو المرحلة الثانية من حياة
أمين . أما المرحلة الثالثة من حياة أمين وهى الفصل النهائى للرواية ففيها
يختم حياته السافلة — حياة الكوكابين والسكر والنساء وودعها الى
الأبد

يأتى يسرى باشا للمنزل أمين فى اليوم التالى لوقوع الحادثة السابقة
بدعوة من والدته فيقابل الوالدة ثم الابن ويدور بينه وبين الأخير محادثة
عن عزبة أبو (الأحمر) الذى يريد أمين أن يبيعها بثمن بخس لصديقه
شفيق فيرجوه يسرى باشا أن لا يقبل ويبيعها اليه لانه سيردها اليه
كاملة سايمة اذا استرد ثمنها من ربيعها فلا يقبل أمين الا اذا قرضه الباشا
٢٥٠٠ جنيهه فى الحال فيرفض خاله ويصر هو على رأيه ، وفى ذلك
الوقت يحضر الصديق مجدى زائراً فيخالو به أمين ويتحادثان حديث المحزون
والخلاعة بين شم الكوكابين . ثم يطالب مجدى من صديقه جنيناً لأنه

خالى الجيب من المال ويخبره عن غير قصد انه أخذ من شقيق أمس ثلاثة
جنيهات أضعافها على الخمر والنساء فيندمش أمين ويسأله هل قابل
شقيق أمس وكيف كان ذلك وهل لم يسمع في مدة وجوده في منزل
شقيق حركة غير اعتيادية أو همس أو ما أشبه ، ثم يدفع أمين صاحكا
هازناً ظاناً انه يهزأ بصديقه مجدى لانه كان في منزل شقيق ولم يعرف
أن أخته كانت في الوقت نفسه هناك . فيعجب مجدى من ضحك أمين
واسهزائه به ويسأله عن سبب ضحكه فلا يجيبه فيطالب منه أن يخبره
كيف علم بوجود حركة غير اعتيادية وهمس وما أشبه عند شقيق أمس
فيندهش مجدى ويفرق في الضحك هازناً برفيقه الذى كان هناك وكان
يجهل أمر زوجته الساوقة التى كانت تخبره مع صديقه فيعجب أمين من
اندهاش وضحك مجدى ويسأله عن سبب ذلك فيطالب منه الجنيه أولاً
فيعطيه أمين طلبه ولكن مجدى سرعان ما ينال بغيته حتى يريد الهرب
من سؤال حرج لا يستطيع أن يجيبه عنه وكيف يخبر أمين بوجود
زوجته في منزل شقيق . يتحدث أمين ويطالب من مجدى أن يخبره بالحسنى
فلا يرضى فتتأبه نوبة الكوكابين ويجعل يسب ويشتم مجدى متهماً إياه
بالسقوط والنزلة والسرقة ثم تزداد حدته فيقول له جهاراً « هل تعرف
أين كانت أختك بالأمس . انها كانت تخون شرفها عند صديقك شقيق »
فيجتد مجدى مكذبا ذلك ولا يسمعه الا افشاء الحقيقة الهائلة التى يصدق
من هولها أمين

يخرج مجدى مطروداً من منزل صديقه ويهرع أمين فيقابل

زوجته ويسألها بجدّة عما كانت تفعله أمس وفي أي مكان قضت عصر يومها . وبعد جدال عنيف تعترف له بكل شيء . وهنا تبدأ حكمة الرواية تتجلى في كلام الزوجة المدافعة عن نفسها ، المتهمة زوجها بتهمة الاشتراك في جريمتها فنقول في ذلك ما يأتي :

(أنا أعترف بانى مذنبه . اعترف بانى ارتكبت جريمة استحق عليها الموت . لأن الست اللى تحاول انها تخون جوزها أقل ما تستحقه الموت ولكن اعرف انى ما نيش أنا المجرمة الوحيدة . فيه شخص تانى كان يدفنى بأيديه للهوة العميقة اللى كنت رايحه أقع فيها . واعرف انك انت الشخص ده . . . ! عمرك ما خاتنى أشعر بانك جوزى . صحيح أنا كنت طايشه وما كنتش عارفة أقدر حق الزوجية . لكن ربنا مادانيش زوج يهدينى ويورينى الواجب . كان واجب عليك أنك تهدينى وترشدنى للصواب بدال ما تسيينى أهوى وتروح تخبص وتلعب قمار وتسكر وتعمل كل موبقة تزرى بشرفك وبقيمتك .

أنا ما عرفتش شفيق لا فى الدكاكين ولا فى الجزيرة ولا فى مصر الجديدة ولا فى التياترات . عرفته هنا فى بيتك وقدام عينيك . ومين اللى قدمنى له ؟ حضرتك زوجى العزيز اللى شايفاه قدامى دلوقتى يبكى على شرفه وعرضه .)

وهكذا استطاع تيمور أن يخلص كل روايته فى كلام هذه الزوجة الشاكية ، المتهمة ، المدافعة .

يسمع أمين هذا الكلام فيزداد هياجه وتتابه نوبة اختناق حادة

من أثر تعاطيه السكوكايين فيرتدى على الارض وهو يهذى صارخاً باكياً
ثم تفيض روحه بين يدي والدته التمسمة فيقضى السكين على نفسه بنفسه .
ويقف يسرى باشا الرجل العاقل الذي حنكته التجارب يقول واعظاً
ومتحسراً : (ادى آخرتك ياللى ما تحاسبشى على نفسك ولا على شرفك ،
ادى آخرتك ياللى تمشى فى السكة اللى ما يرجعش منها حد . . .)

وتنتهى الرواية بهذا القول

.

والآن وقد قرأت ما يهيمك أيها القارئ عن رواية الهاوية ، عرفت
مضمونها وتمعنت بأشخاصها وتصورت فى مخيلتك مشاهدتها ألا
تشهد لتيemor بتلك القوة الفنية الماثلة التى استطاعت أن تخرج رواية
جمعت فيها قوة التأثير على الجمهور ، وقوة التحليل النفسانى التام وبث
الحكمة العالية والنقد الاخلاقى الصحيح ، واظهار صورة حية ايئمة مصرية
كل ذلك فى دائرة الفن الراقى

بهذا نجحت الهاوية ونجح تيemor . بيتاً كما نصح من قبل حيا م

خاتمة

لقد أتممت الكتابة على محمد تيمور - تاريخ حياته وأعماله -
فأعلن صراحة أنني كتبت ما كتبت كتمقاد لا كأخ . اجتهدت أن
أظهر لمن يعرف محمد تيمور ومن يجمله صورة نفسه وصورة أعماله .
مكتفياً بتلك الصفحات القليلة التي لا أعتبرها في الواقع غير مختصر
ضئيل لا يفي بالمتصود تماماً ولكنها كافية في الوقت الحاضر لأن تعين
القارى على معرفة الفقيه وترشده الى مؤلفاته . فاذا كان هناك نقص
أو زلل فالعصمة لله على كل حال .

محمد تيمور

الكتاب الأول



شؤونكم يومئذ

اهداء الديوان

لروح عائشة تيمور ارفع هذه النفثات

ابن أخيها

محمد نيجور

مقدمة

ما هذه الا انتمشات ضاق بها صدرى فنظقتُ بها شعراً ، فان كانت
تصل الى أعماق قلبك أيها القارىء ، الكريم وأنت تتلوها لنفسك
أكون قد بلغتُ الغاية التي من أجلها طبعتُ هذا الكتاب مـ

محمد نيمور

شعار صاحب الديوان

الشعراء في مصر ينقسمون الى قسمين :
الاول يجبذ المذهب القديم ، والثاني يتمسك بالمذهب الجديد .
أما صاحب الديوان فشعاره :
المذهب القديم جميل ، والمذهب الجديد جميل .
المذهب القديم جنة فيحاء ، والمذهب الجديد جنة فيحاء .
والشاعر طائر لا يعرف داراً ولا موطناً ينتقل من غصن الى غصن
فان راقته له جنة القديم غرد فيها وان أعجب بجنة الجديد سجع
في دوحها .
ولا أعجب لو وجدناه يغني في جنة ثالثة يحل فيها عن نفسه قيود
الفن والقافية

محمد نبوي

شاب يحتضر

فوق سرير الموت نام الذي زال ابتسام العيش عن ثغره
قد ودع الآمال لا يرتجى منها سوى الراحة في قبره
مقطباً ان شتمته خلته ... مستجمعاً ما جال في فكره
يطاب خلا صادقاً واعياً يهدى له ما شاء من سره
يرنو الى أم جفاها الكرى تنتظر المجهول من أمره
يبحث عن صدر اذا ضمه أباد جيش الموت من صدره
كطائر ذى شجن صامت أبعد المقدور عن وكره

الغريب الفقير

يرنو الى البلد الجديد يد كأنه بحر خضم
يلهو الرجاء به كما تلهو به أيدي الندم
متلفتاً عن جانبه ه يخيفه بأس أصم
متذكراً لغة بحر ك شجوه منها النغم
يمشي الهويناً مطرفاً للأرض يدفعه الألم
كم ليلة فاضت دمو ع الحزن منه كالدم
ويهبجه في ليلة من وجدته طيف ألم

لم ينس دار الحب اذ لدياره تلك الدم
ويرى الحقائق عابسا ت والمسرة كالخام
ويخال من فرط الأسى ان الوجود هو العدم

ضحكات طفل

طفل أتاني ضاحكا فرأيت من ضحكاته وجه الحياة تبسما
أصغى لها وكأننى مستقبل فى ظلمة الليل البهيم الأنجما
لو كان يسمها مايك ظالم لبكى على احكامه متندما
أو كان يرسمها المصور خاتما لجمالها وشى الربيع مننما
تحنو لها أوتار قلب مظلم لم ياق فى نور الحقيقة مغنما
والشاعر المطبوع يحسب انها ألحان طير فى الرياض ترنما
وكانها كخزير ماء بارد يطفى به الظمان نيران الظما
وتعيد فى قلب الكبير شبابه وتزیده فى كل يوم أنما
وترد فى بيت الحزين شموسه فسكانه من قبل لم يكن مظاما

الليل

قد أودعته الناس أسرارها كأنه للسر نعم المقر
الحاته ثقيل أهل الهوى وهمس من يحلو لديه السهر
ونوح محزون شكاهمهم يثير شكواه حفيف الشجر
يزيدها البلبل من لحنه ما شاءه البلبل وقت السحر

أسراره نجمل مكنونها
يهتكها البدر إذا ما سفر
في هجمة الليل ومن سره
يستولد الليل عقول البشر
هل يعجب العقل إذا ما رأى
في ظلمة الليل شموس الفكر

في صدره يهجع أهل التقي
ويسهر الصب يناجى القمر
في صدره تضحك بهت الهوى
وضحكها عنوان ذلك الكدر
في صدره يقتل من قدر رأى
في عيشه الضنك وذاق الضجر
يخاله السارق ثوبا إذا
رماه تلقاه عيون البشر
ويجزع الصنديد خوفا إذا
راه بين القبور انتشر
يموت في اليوم ويحيا به
هل يهزأ الليل بحكم القدر؟

سامعة عين

يا قطرة قد اسكنت
في القاب عاصفة الهيام
ذاقت عيوني بعد أن
أرسلت لذات المنام
وطردت من فكر الفتى
المهجور أشباح الحمام
من أى نبع قد بعثت
لعين صب لا تنام
حملتك من دار الهنا
أكف أحلام الغرام
يا وردة من جنة
فيها الطهارة والوثام
كيف ارتضيت لقاء ظا
مة دار ذل وانقسام؟
أحمت في أوراقك البيضاء
أنوار السلام

مادمت الا برهة ما الهجر من طبع الكرام
لك في الحدود بقية عنوان صب مستهام
وبنيت فبرك في قلو ب العاشقين أولى السقام
يامن قصير عمرها لم يأت طيفك في المنام

اللقيط

فوق الترى أبصرته نائماً
عليه نوب أبيض لم أجد
كأنه من حسنه وردة
تلقيه لا يعرف ما يتغنى
يرنو الى ليل طويل الكرى
كأنه والليل من حوله
سفينة تهوى بلا منقذ
قد حرمة الام تحناتها
ينسأه في البؤس أب ظالم
يعيش لا يعرف من أهله
والله عار يا رجال النهى
العدل يامن شاقه وجهه
يئن من جوع وبرد شديد
في طيه أسرار ذلك الوليد
ترشقها الحسنة بين النهود
هل يعرف ابن الامس ماذا يريد
مسترحماً والليل باغ عنيد
وفي ظلام الليل موت اكيد
وبحرها الجائش هذا الوجود
والصدر والثدى ولثم الحدود
في دهره يحظى بعيش سعيد
كأنه فينا شريد طريد
أن يظلم القانون هذا الشهيد
في هذه الدنيا رهين القيود

الترجسة اليانعة

فوق قبر الشاعر

يا زهرة تنمو وتيا نع فوق قبر الشاعر
لا غرو إن غذا شبا بك منه حسن الخاطر
فالشعر يبعث كالزهو ر من الجمال الباهر
هلا حمات لروحه أرج الحبيب المهاجر؟
حرمته صفو حياته الحماظ ظي نافر
فعلام ترى قلبه بسهام لحظ فافر؟
يا بيت شعر من فتى أضجى رهين حفائر
قد أخرجته من الثرى نفثات ذاك الساحر
يا قبلة جاءت من ملك كريم طاهر
نزلت تؤانس في الترا ب شهيد حظ عائر
إني أخالك في النها ر شعاع حب زاهر
وأخال أنك في الدجى عين المحب الساهر
أنت ابتسامه غادة لقدوم صب زائر
تحوى خفايا الحسن تك شفها لعين الناظر

القلب

موضع الوجدان في أجسامنا ودليلا للرزايا والنعم
لم نحكم فيك أسياف العدا وبك المحبوب يا قلب احتكم

لم يخفف عنك نيران الجفا غير دمع فوق خدي انسجم
غير انى قد ايدت الذل اذ انت الذى علمتنى هذا الشمع

رحمة بالقلب يا ربى اذا ما ظلام اليأس بالقلب التطم

يا مقرر الحب يا نبع النهى انت ميدان التصافى والالم
ككتبت أقلام تذكّار الهوى فيك أسرار الغرام المنصرم
لم تنل منك المساوى غير ما نالت النيران من بحر خضم
لم يروّعك خليل خائن اذ وفاء الناس حلم لا يتم

منك سمعدى وشقائى لا تكن قاسياً، اذ انت خصمى والحكم

شجرة على شفا الموت

أوراقها فوق الثرى آمال صب يائس
والساق بين الزرع تح سبه جبين العابس
وكأنها لسوادها شبح الفقير اليائس
مهجورة من طيرها والطير خير مؤانس
فكأنما وكناتها دمن بليل دامس
سكنت وكان حفيفها نغم الحبيب الهامس
صماء لم تعباً لزمه جرة السحاب الراجس

كلا ولا حنت لطيف ر ناح فوق غرائس
كانت تهاب جلالها عين الشجاع الفارس
وغدا ستقطعها وتة اعها عين الفارس

الهرم الاكبر

منكد الحظ كثير الجلد يخاله الرائي خيال الأبد
مسدد النظرة في قومه مهشم المفرق عارى الجسد
لم تبيك الاشجان لكنه مقطب الوجه حليف الكمد
قد أرسل النيل رسولا له يبحث عن مجد قديم فقد
كتاب تاريخ قرأنا به عن مصر أهوالا تهد الجلد
أعادت اللاهى الى رشده وأوقدت في القلب نارا اتقد
ويجتلى الناظر من بابيه في ظلمة الليل شمع الرشده
ومصر لا تعرف الا به كأنه عنوان هذا البلد
لسانه أبكم لكنما نخاله يصرخ فيمن رقد :
« من نام عن نيل العلاما ارتقى ومن مشى في الارض سميا وجد
وصاحب الهمة يعلو بها وكل كسلان عدو ألد »

يطوف في أرجائه صارخا جيش من الارواح جم العدد
أرواح فرعون وأنصاره من شيدوا مجدا متين العدد
أصاعه أبناؤهم بمدحهم وعز مجد ضائع لا يرد

يا ليتنا نرجع مجداً مضى لا تعزب الحيلة عمن يجد

تدوسه الزوار من هابط أو صاعد غر عليه صعد
قد استبدوا ونسوا مجده (كأنما القادر من يستبد)
كأنه لم يك قبر الذى كان اخا مجد بعيد الامل
حق على الزوار ان يسجدوا ياسعد من فى ظله قد سجد

يا دارس التاريخ قف خاشعاً فعمدة التاريخ هذا الاسد
يا باحثاً عن مجد دهر مضى وجدت فى الاهرام ما تفنقده

البلبل الصامت

فارقت ربع الحى بالامس وغدوت طى صفائح الرمس
غادرتنا والليل معتكر والقلب نهب مخالب اليأس
والنفس والهمة وقد لعبت خمر الشقا والنحس بالرأس
مضى زمان كنت مسعده وجاء دهر الهم والتعس
فشربت كأس الحزن مكتئباً حتى جرعت صباية الكأس
آزت قلباً كله شجن سكتته دهرأ ظامة البؤس
آنسته وأزلت وحشته يا ويح ما فى القلب من أنس
وهجرته فبسكاك من جزع متهدماً كالمربع الدرس
علك تشجى فى الثرى طرباً أرواح قوم فى الثرى خرس

قد كنت في البستان بهجته تلهو بما في الجسم من حس
تصدح بالالخان معتبطاً تحرك الاشجان في النفس
يصنعى اليك الكون مستمعاً ما قلت من جهر ومن همس
والحب يسمع منك ما وجبت له قلوب الجن والانس
والبدر في كبد السماء بدا كالملك ذي الجبروت والبأس
لو سمعتك الشمس سائرة لكنت توقف دورة الشمس

قد زاعنى والليل مقبيل يا طير انك فاقد الحس
الحب عرس للأنام وقد فارقه يا زينة العرس
موتك سفر فيه قد كتبوا ما في ممات الطير من درس

نفس الشاعر

من ذا الذي عشق الخيا ل وهام في حب الورى
نصب الزمان له الشرا لك فما اشتكى وبها ازدرى
من ذا الذي يمشى على قم الجبال مفكرا
ويتام في غار الوحو ش ممدداً فوق الترى
أو في القضاة وفيه يه ترش النبات الاخضرا
لم يخش برداً قارصاً فيه ورعداً زمجرا
كلا ولم يخش الصوا عق والسحاب المعطرا
ولغادة الشعر التي وهبه ملكا اكبرا

باع الوجود ومن به ومن الوجود نجيرا
قد عانقته فأسكرت وما تناول مسكرا
من ذا الذي لا يراضى فى الحب ان يتغيرا
واذا رأى ذل الهوى رفض الهوى واستكبرا
عشق الطبيعة يوم ان لبست لباساً أخضرا
والشمس تاشمها كما ثم الكبير الاصغرا
واذا دنا الليل البهيم م وجاء يعثر بالسكرا
يتوسد الصخر الاص م مفكراً متذكرا
من ذا الذى قد هاله دمع الفقير اذا جرى
من ذا الذى يبكى الأما نة والوفا بين الورى
هذا الذى ليست له نفس تباع وتشتري

الشاعر الغضبان

هيئوا لى فى باطن الارض قبرا
فى ظلام القبور راحة نفسى
وادفنوا فى التراب دهبان شعرى
فيه مكنون ما احتواه جنائى
هو بعضى فهل اموت وأنسى
وانثروا فوقه الزهور وحسبى
هى رسل الهوى تذكر قلبى
ودعونى انام تحت التراب
ومن النور شقوتى وعذابى
فوق قلبى المملوء بالأوصاب
وعزير فراق ذاك السكتاب
فى ظلام الحياة نور شبابى
من شذاها منابع الآداب
بشفاه ذوات حسن عذاب

قد رشفنا منها الزمير ولكن قد شربنا من بئمه كأس صاب

...

في اديم الغبراء تذهب عني من حياتي ادران من هم صحابي
هي امي خرجت منها صغيراً واليها بمد الملمات اياي
قبلة من تراب ام حنون هي خير من اثم حلوا الرضاب
وعناق الاحجار في التراب اولى من عناق الاصحاب والاحباب

...

ان فجر الدموع يتلوه عندي يوم ارساتها مساء اكتباب
ما تلا فجرها لمثلي صبح كيف يتلوه وهو رهن المصاب
ضاع نصحي وضاع منه رجائي في صحابي وضاع قبلا عتابي
رب خل في صدره كل غدر وخذاع باقائك بالترحاب
يتبدى من عينه وهو يرنو في ظلام الريا لظي الارتباب
لا ينيل الوفي في العيش الا ما ينيل الظمان لمع السراب
لا يفرك من صديق خوون اسود قلبه بياض الثياب

...

يا صاحبي ولست اول حر عاندته الاقدار في الاصحاب
قد جهتم اسرار قلب امين فاعذروني ان ضاع فيكم صوابي

النجم الافل

دفنوها في التراب يوم الوفاة فوق فرش من الخصاصورفات
لا أنيس لها سوى وحشة الموات وت وصوت الظلام في الحجرات
وبقايا من همد لا يفيقو ونونوح الارواح في الظلمات
ودموع تجرى على القبر حيرى وأنين يفيض بالحسرات
تركوا آية المحاسن والد لبدار السكون رهن الممات
يلمس التراب جسمها وهو غرض بعد لمس الشفاه بالقبيلات
وترى عينها الظلام وبالام من تلاقى بأجل النظرات
أهى في القبر في ارتياح من الوح دة والبعده حمة اللقنات
أمدهاها من هولها مادهاها من جلال وخشعة وعظاات
أم تراها والقبر ظمان روت ارضه من لآلىء العبرات
أم تراها لاقت من الارض اما وهبت جسمها لذيد السبات
هى في القبر وردة سوف تفنى كيف تحيا الورود في الحفرات
قد غدت والهناء عنها بعيد بين اهل الثرى بغير حماة
أسدل الموت ، والممات ظاوم ، ستره بينها وبين الحياة

ظلام النفس

أسرع وسدد في الطريق ق خطاك ان العيش غدر
أسرع فانى يائس اذ ليس بين الناس بر

أسرع وخذ روحى ولا ترحم فليس لدى صبر
يا موت لا ترحم شبا بى انه والله مر
أمن المصائب لى فؤا د أم من الاحزان عمر؟
ما ذا اقيت من الحيا ة وما بها شىء يسر؟
ان الحياة للمرح والناس اشباح تمر
والعيش عندى صفحة عنوانها لؤم وشر
فن الشدائد للمتا عب للشقا - أين المفر؟

الذكرى

تهز قلبي بعد رقدته كالريح هزت جانب العلم
تمشى الهويتنا فى جوانبه كالنجر يطرق حالك الظلم
ترمى به من نارها شررا فتثير فيه رواقد الهمم
وسمعت منها يوم أن طرقت قلبى رنين الهجر والسقم
فكأنها نبع يفيض بما يحويه قلب الصب من ألم

وتعيد من ماضى ما شهدت عيناي من يؤس ومن ندم
وتضيقه من بعد ظلمته فكأنها تحيي من عدم
وكانه صحراء مجذبة ظلمتى انطار الصيب العرم
وكانها نهر تغمدتها بالجوود من ساسله الشيم
أوجنة الماضى قد انبثقت منها لنفسى زهرة العدم

أمس واليوم

زمن الأانس تولى وانقضى حاملا ما كان لي من أمل
مرّ كالسهم ووافى غيره فشر بنا الصاب بعد العسل
هيجت ذكراه قاي مثاما هيج الصب نواح البلبل
لم أزل أشعر بالوجد الذي أشعاه نار تلك القبل
كل ما نهواه بمضى عاجلا ليته يمشي بنا في مهل
كل شيء حائل عن شكاه تلك فينا سنة الأزل

سلب الدهر هنائي اني لفعال الدهر لم أمثل
عقبي الاخوان إذ قد جهلوا اني عن غيهم في شغل
أأقضى العمر أرجو ودهم بين عذر منهم أو عذل
أنا بين الناس طير صادح نأح في عرصات الطلل
أنا ذاك الليث لا تغضبه وثبات الذئب وقت الكال

إبه يا دنيا أما من ساعة ألتقى فيها بنور الأمل
أودع التمس حياتي صحفاً خطها من دمي المنهمل
أبنو الدنيا هم الأوهام أم أنا فيهم لم أكن بالرجل
هاكم السعد بهم متصل وبثلي بعد لم يتصل
راحة الانسان من كد ومن نصب يوم انقضاء الأجل

الليل أقبل

الليل أقبل والمنام حرام
لا تسب بين العين نور رجائها
روح يروعهما الأسي ويشيرها
اليأس رائدها وتلك مشيئة
ما العيش إلا عبدة مهراقة
داء الحياة له النفوس فريسة
والسعد برق كاذب ومزاره
إنا تكتمنا الحقيقة علنا
يابؤس من لا يستقر فؤاده
نلهو ونضحك للوجود وليتنا
مانحن إلا كالذئاب فميشنا
كل امرئ يلهو بمرض صديقه
وإذا صحت أخاف أنت عدوه
والشر ساطان النفوس كأنه

ما تلك الاخطرات أخى أسي
يقضى سواد الليل برب نجمه
ألف المهوم فإيس ممن يشتكي
هو ذلك الطود الذي كمن الأسي
نضو الفؤاد حياته أسقام
والنجم ليس بصفتيه سلام
للناس حرباً في الفؤاد تقام
في جوفه ما دامت الأيام

الصباح أقبل

قم من سباتك وانظم الاشعارا
لك من شعاع الشمس وحى قادر
ما أنت إلا صوته ترك الألى
تشدوا على فنن الوجود مرتلا
بين القلوب وبين صوتك ألفة
فسكان من نبرات صوتك رحمة
جفت ما قبيهم وكان لبؤسهم
فالبؤس بين الناس طير نائح
فالصبح أقبل والظلام توارى
سب العقول وحير الافكارا
عشقوا الطبيعة ذاهلين سكارى
آياته وتداعب الازهارا
وجدت لها بين القلوب قرارا
جعلت ظلام البائسين نهارا
سيل جرى من دمهم أنهارا
أبكى قلوب البائسين وطارا

تهتز من طرب ولست بمحتس
فكأنما ألقى الزمان قياده
ما تلك الا قبلة الاشعار في
لله در الشمس غازل ضوءها
كست الجبال مع الوهاد سبيكة
فمن الفؤاد محل عمده موهبه
في كل قلب هائم من نورها
يا شمس غادرت الحقول ضحوكة
رقصت لنورك تسهر در ضاهه
خمر الشفاه ولا خلمت عذارا
طوعا لوحيك لا يريد فرارا
نغر الصباح تزيد أنوارا
لناظرين الطير والاشجارا
من عجد والنهر سال نضارا
وعن الطبيعة تكشف الأسرارا
أمل الوصال يحرك الأوتارا
وتركت أمواج البحار حيارى
عنها وقامت تبسط الاعذارا

التيت فوق الغاب ثوبك فانبرى فيه النسيم يجاوز الاطيارا
طرب المحب اشدوها متبسما للشمس وازداد الوقور وقارا

حى الصباح ومددأ حسناته وانس الهموم وصاحب الاقدارا
واذا مررت على الغدير فتقف به تلفيه قد تحذ الزهور شمارا
فاركم وهال للطبيبة خاشعاً واذكر هناك الواحد القهارا

سلطان الليل

أنا يا ايل أناجى منك سلطاناً رحيم

من بنى جسر الأمانى فوق أمواج الهموم
واحتدى من كاس ودى خمره الخلل الحميم
يطفى النار اذا ما هاجنى الذكر الأليم
يرسل الرحمة تنفى قوة الشوق القديم
صادق الوعد كريم وعلى الود مقيم
هو لى خيل أمين ولأفكارى نديم

أنا فى الدنيا وحيد ولى الناس خصوم
راقهم ان جد أمر برق غدر لا يدوم
ورأيت الغدر نارا ورأوا فيه التميم

هدموا بنيان ودي واتمجت منه الرسوم
ومليك الليل بر هو لي أم رؤوم
هو لي خل أمين ولأفكارى نديم

أنا من أدراڤ صحبي طاهر القلب سليم
أجد اللذات تنرى إن دنا الليل البهيم
فأرى وحيي طروبا بين هالات النجوم
منشداً شعري واني لست أدري ما يروم
ومليك الليل يدني من في خمر النسيم
هو لي خل أمين ولأفكارى نديم

لا أرى في الصبح إلا كل غدار أئيم
وأرى في الليل سعدي يحمل الخير العميم
هو في عيني نقي ناصع صافي الأديم
وبه صحبي كثير بعد ان كنت اليتيم
ومليك الليل يحيي ما غدا مني رميم
هو لي خل أمين ولأفكارى نديم

أنا يا ليل أناجسي منك ساطا نار حيم

الفجر الاول

لمحمد علي بمصر

غريب بهدي الدار لىكنى اذا
تلوح لعيني والظلام ترددت
فيشدد منى العزم والناس نوم
إرادة نفسى من عصيرك انبها
اذا خاننى صبرى أخالك واقفا
فأرجع للجلى وبى منك شملة
يتيم ولىكنى همام فليس لى
شغوف بمن تملى المخاطر قدره
لئن كنت أمياً فاست بجمعهم
أصيح بصوت المجد فى كل ساعة
وقفت كأنى للميون سحابة
فدهرى أمام العزم منى كأنه
ستكتب فى سفر الحياة وقائى
ألا أيها النمل الذى فاض خيره
أرى فيك يا امرأة تنسى صورة
وياهرماً ترنو الى مايبيا

رأيتك خلت الدار مهبط ابانى
ججاوله ماشئت فى أعين الرانى
عن المجد تلهى نفسهم خمره الداء
لنورك ظلمى فارو غابة أحشائى
تعيد رجائى من سنك بايماء
تغير طريقى فى منابت آرائى
من الاهل الالباس بدد أعدائى
فسيان صبغى إن هممت وامسائى
عن العلم إن العلم مصدر نعمائى
وما أذنى يوم النداء بصماء
اذا هزها ربح تفيض بأنواء
غريق وذلك العزم أمواج دأماء
وتقرأ أهل الارض معجز انبائى
على أمة مهتومة الحق معطاء
من الجسد نهدينى لمنبيع سرانى
ندانى وفى أحشائه سر عليانى

وما هو إلا مثل عزمي تجسمت
كلانا منى الأيام في مصر خالد
لقد كنت قبل اليوم عن مصر نائياً
فيا بلداً يجرى به النيل ضاحكا
لئن ناصب المقذور نفسي حروبه
فما أنا ممن يرغم الدهر أنفه
سيخضل منك الزرع بعد مماته
وعدتك مجداً لم تر العين مثله
نواصيه حتى بات يستلقت الرائي
له إن دنا ليل منارة أضواني
فها أنا في مصر ولست الفتى النائي
ويهتز جذلاً نأ يحاول ارضائي
وهشم من عزمي بوأتر امضائي
ولا أنا ممن يستكين للأواء
ويخضب ظهر الأرض في كل صحراء
وسوف ترى عينك يا مصر ايفائي

النهاية

وقفت كليو بئرا تنظر لانطونيوس يحارب اوكتافوس وخافت
الهمزيمة فعزمت على الاتحار وهالها ان تموت وحيدة فأرسلت لانطونيوس
تخبره بموتها فبكى وطمن نفسه بخنجره ومات شهيد غرامه فلما وافاها
خبر اتحاره أسامت نفسها للثعبان وماتت قبل أن يأسرها اوكتاف .
يا ظلام النفس رفقاً بالألى
ظلم الدهر وقدماء ظلموا
رقدوا في ساحة الهم وقد
كانت الدنيا لهم تبتم
قد طوى الدهر سماء لمعت
لهم من قبل فيها أنجم
جفت الحمر ففى الكأس دم
وكذا الدنيا خمور قدم
تكسوا الطرف وقد لاحت لهم
صور عن سعدهم تزدحم
ندموا عما جنت أيديهم
حيث لا ينفع يوماً ندم

فهو كالليث يبكي يائساً وحرام أن يضام الضيفم
أما الدمع اسان ناطق يتولى قاب من لا يرحم
غير أن الدهر سيف حده قاطع فيه القضاء المبرم



وقفت في ساحة القصر وقد وقفت فيه قدنيا تظلم
ترسل الدمع على الخلد دماً والأسي في رأسها برنطم
لا ترى في يومها السعد وقد حجب السعد غمام مرزم
فاذا الصبح أتاها ضاحكا هالها منه سواد أقم
وإذا الزهر رنا مبتسما وجدت في الزهر نارا تضرم
تسمع الجيش يلبى ربه ليس في الجيش أصم أبكم
كل مغوار يرى الروح فدى لبسالاد في حماها يكرم
وترى الاعداء هبوا للوغى وعلى النصر جميعاً أقسموا
زمر ماجت كبحر مزبد قادها من لاردي يقتحم
أسد لا يرهب الموت وهل يرهب الموت الجري، المقدم
فكان الأرض ميدان به كل حي نائر منتقم
خافت العقبي وما الخوف سوى صارم يقطر منه الألم
هي بين النصر والامر غدت شجاً قد غاب عنه الكلام
أسامت لاشك قاباً هالماً فهو من أظفاره لا يسلم
نادت الموت وما هابته اذ كل عيش بالردى يجتم



كان أنظنيوس صباً مغرماً فانتفضى الحب ومات المغرم
مات والآلام تستهدفه والأسى يلهو به والتهم
مات مكلوم الحشا منتجراً ناظراً طورا وطورا يندم
هو والخنجير في أحشائه شبح لليأس يعلوه الدم
جاءه نعى التي فارقها حية يسمى اليها الكرم
لم تكن ماتت ولكن هالها موتها والعيب حتى ينعم
أين من ضحى لها أوطانه لم يعض القاب منه الندم
صانها للحب لا يرعى سوى عهدده ذلك الاثيم المجرم
خان روما مستبداً ناسيا إن ركن الحق لا ينهدم



كيف تحياربه الحمن وقد مات من كانت به تعصم
عقها الاعوان في نكبتها مثلاً للغدر ياوليهم .
ليس في الناس وفي صادق فهم ان ماتت الدنيا هم
ايه كليو بطره اليوم انتقضت عنك آمال وزالت أمم
أنت في القصر خيال زائل وهو في العين خيف مظلم
أنت والارقم يرنو جانعاً حية يرنو اليها أرقم
لا تظني ان في حسنك ما يسجد الليث له يسترحم
إن أوكتاف جرى قادر وله النيل ومصر منعم
وجمال العهر ماض ذاهب وجمال الطهر لا ينعدم
وابتداء الحى منا عدم وختام الحى منا عدم

خوفو فرعون مصر

وأسان وأنا غير شاعر بمرور الساعات صدى
ما آويهم القديم عما تبقى له من رنين أصواتهم
(هوجو)

نظرت الى الاكوان نظرة معتد
هزئت باسرار القضاة وحكمه
أطيمعك قواد الجيوش جيمها
كأنك والارواح حولك سجداً
رسول للمنايا ترسل الروح في الوري
اذ شئت صار الصبح أسود حالكا
وان شئت صار الليل أبيض ناصباً
وان شئت يغدو سيد القوم عبدهم
وقابلك حار العتل في كنهه سره
وما الرعد الا صوت فرعون هاجه
وما البرق الا نظرة منه أومضت
وما الريح الا زفرة من زفيره
فيالك من ملك اذا هم أبرقت
ينقب عن ذكر العواقب جهده
ودانت لك الارواح في قبضة اليد
كأنك تدري ما سينفذ في القيد
ويخشاك يا فرعون كل مسود
وما كانت الارواح قبل بسجد
وتخضع قلب الصابر المتجد
يضل قواد الناسك المتعبد
يسير على أنواره كل مهتد
وان شئت يغدو العبد أكبر سيد
ورأسك رأس الاسود المتوقد
من الناس ذو جرم على الناس يعتدى
بليل من الالهوال أقم أسود
تروح على الصحراء طورا وتعتدى
نواجذ عزرائيل يوم التواعد
وما ذاق يوم الفتك طعم التردد

أمت على الصحراء قبرك خالدًا
بنى لك اهرامًا كأن صخورها
بناها بلا أجر سوى الجهد والطوى
كأن العذارى حول اهرامك التي
وما النيل الا دمعه من جرت به
وقفت لدى الاهرام تصرخ غاضبًا
وقومك يا فرعون حولك خشع
ولم تدر ما يخفى الزمان لاهله
سقى نفسك الكأس الاخيرة بعدما
قضيت ولم ينفعك ما كنت جامعا
سللت سيوف البغي جذلان ضاحكا
فأغضيت طرفاً تحرق الصخر ناراً



وأعمدت سيف الظلم في الغمد. رغما
وساويت تربة الارض لم تمنع الردى
تناجيك أرواح الضحايا وقد بدا
وما عهدت من قبل دمك جارياً
وشعبك أضحى يوم موتك صاحباً
يهلل جذلاناً ويهتز ضاحكا
وآلقك في الصحراء طعمة جائع

وما كان من قبل الممات بمغمد
وكان الردى من قبل طوع المهند
لها منك عجز الحاكم المتشدد
ولا عرفت منك الخضوع لاصيد
كبحر من الاقوام مرغ ومزبد
ولولا جلال الموت هزك باليد
من الوحش والعقبان في كل فدغد

حرمت من القبر الذي كنت ربه
وما هو الا نار شعبك ناله
وما كان ذا الحرمان قصد المشيد
جزاء وفاقاً فاحتمل ونجده



أناجيك يا فرعون لو كنت سامعاً
وما الشعر الا وحى نفس كريمة
(وبأنيك بالاخبار من لم تزود)
لها في مجال الشعر أعظم مقصد
فان كنت يا فرعون في القبر ظامثا
لما قيل من شعر الحقيقة فاشهد
بأنى قلت الحق لم أخش لائماً
وما خفت ذا بأس ولم أتودد

حكم الحب

قلت الفجر ونور الروض فاح
وتولى الليل من وجه الصباح
(انى يا جسر مهضوم الجناح
ايس لى يا جسر للعبس طاح)
قد حسبت الهم كأساً فيه راح
بمد أن القيت في الحب السلاح)
فأجاب الفجر بالحق الصراح
(لانطل شكواك من تلك الجراح)
كن اليك الشجو تستجد النواح
فشقاء الناس في الحب مباح)



قلت للصبح ولى الصبح اباسم
وعيونى فى هواها لم تم
وفؤادى عضه ناب الألم
وجرى دمي كما تجرى الدميم
(انى يا صبح صب ما اجترم
حافظ فى الحب ما اتقضى الذمم)
فأجاب الصبح والحب حكم
(كن أسيراً للذى فيك احتكم)
ليس لابن الحب عندى معتصم
اذ هناء الناس فى الحب حلم)



قلت لليل وقد وافى الظلام وانبرى للناس سلطات المنام
وارتدى البدر جلايب الغيام مثل وجهه باسم خلف لثام
(اننى يا ليل صب لا ينام وحرام اننى فيك أضام)
فأجاب الليل والناس نيام (لا يلام الحسن والصب يلام
ليس هجر الناس فى الحب حرام فاحتمل بلواك ان عز المرام)



قلت للموت وقد ضاع الامل وانقضى صبرى وما وافى الاجل
وعرفت المهجر قدماً والعزل وحرمت الشهد من تلك القبل
(أنت ياموت دواء للعالم وأنا ياموت ظل منتقل)
فأجاب الموت والقباب امثال (حكم الحب فقل لى ما العمل
ليس لابن اليأس عنه مرتحل قد غدا اليأس لذى اليأس أمل)

خواطر الوحدة

سكن الليل وقلبي نائر
وعيونى لا تنام
وانقضى صبرى وحظى عار
وشجونى والظلام
نسجت للقباب ثوب الألم



أسمع الألحان من موج البحار

وأناجى كل نجم
وظلام الليل مسدول الخمار
لا يداجى نضوم
فهو أم لضحايا السقم

أنت يا ليل صديق الشاعر
قد شهدنا كل حسن
صاغه فيك ابتسام الصابر
فابتسمنا تحت غصن
وعرفنا الصبر بعد السأم

* *

يابنات البحر قد عز المنال
فألام لانالاق
من تهادت فوق أواج الخيال
وعلام في المآق
سفتك دمع الهوى المنصرم

* *

إيه يا من لا ترى صورتها
في المنام أين أنت
أنت يا من ، إن دنت ، شيمتها

ان أضام قد جنوت
فوجودى قد غدا كالعدم

الدار الحزينة

مر الشاعر على دار كانت مهد هواه مخاطبها :

دار الهوى وعلالة المتعالم هل أنت باعثة الغرام الأول ؟
قد ذقت فيك من الصفاء كؤوسه دهرًا وعشت عن الوجود بمعزل
ألهو وأهزأ بالزمان وصرفه والغدر في طي الزمان المقبل
صفرت بك الريح الجوح لعلها ترى غراما فيك لم يتبدل
ضرب الفراق عليك سودخيامة وسقاك من يمانه كأس الخنظل
نعق الغراب بساحة لك طالما في الليل أطربها نشيد البابل
وأنا ببابك واقف متأمل فيما دهاك وهل يفيد تأملي
الزهر حولك قد علت كآبة يشكو النوى ظمان لم يقبل
يرنو الى وقد أفاق هنيهة يحنو على ذلك الخيال المقبل
ويئن فيك الحب أنه عاشق قد كنت في عينيه أطيّب منزل
وعليك من هجر الأحية مسحة تبدو لعين الشاعر المتأمل
تترنح الأشجار فيك كأنما يهوى بها داء الفراق المعضل
ذبلت زهور مانسيت جمالها والحب طى أضالعي لم يذبل
والماء جف وكان يجرى ضاحكا متدفقا كعزيمة المستبسل
أرويك بالدمع الغزير لو انه يحيا النبات بفيض دمعى المرسل

يا غرقة الحب القديم تحية
يا غرقة الحب القديم تحية
باطلما شاهدت خير موافق
هلا ترين تفجعي وتلهفي
مالي أسائلك السعادة والهنا
مالي أرتل عند بابك خاشعاً
أبكى كما يبكى اليتيم وقد بدا
وأحن للزمن القديم مردداً
وأرى ونار الذكر تأكل مهجتي
أني وقتت عليك سيل مدامي
مالي أراك حزيناً للمجتي
قد طال فيك ظلام ليل الليل
للحب بين معانق ومقبل
أوتسمين شكايي وتذلي
وظلام هذي الدار لم يتحول
آي الغرام كراهب مقبل
مني نذير الشر للمستقبل
سرى وأعبس للزمان المقبل
فعل النوى يجيئك المنهل
فاذا وهبت لك الحشا فتقبلي

الضحايا

أسمع في الليل نواح الألى
يبكون والرحمة في سجنها
تن والاعلال في جيدها
يمشون واليأس امام لهم
والبوأس يشي خلفهم، والأسى
نلمح في أعينهم جذوة
سميرهم شعري وقد جاءكم
وسوف لا يسمع شكواهم
رماهم المقدور فاستقاموا
مشاولة الاعضاء تسترحم
وساجن الرحمة لا يرحم
يقودهم والحب يبكيهم
يهزم والناس لا تعلم
من نار يأس في الحشا تصرم
لينقل الشكوى لكم عنهم
من يجس المال ولا يندم

لا يعرف اللاأواء إلا فتى تذيقه الأيام ما يؤلم
سيان في عين الفتى المدعى ماء جرى فوق الثرى أو دم

يلومنى قومي

يلومنى قومي على حبها واللوم لا يجدى ولا ينفع
يرمونى بالضعف لسكرتهم لم يجرعوا الكأس التي أجرع
وما دروا أن الهوى قاهر قضاؤه في الناس لا يدفع
ولا رأوا أسطر هجرانها تخطها في خدى الادمع
ولا رأوني في ظلام الدجى وقد نبا عن جسمي المضجع
أبت لليل هوى خالداً والليل لا يخنو ولا يسمع
أردد الأشعار في جوفه كطائر في سجنه يسجع
أعلل النفس بنيل المنا والصب بالآمال لا يقنع
انى فتى لم يدر طعم السكرى ان يهجع المونور لا يهجع
وان شدا الليل في دوحه يذوب وجداً قلبه الموجه

صبرا فؤادى

صبراً فؤادى صبراً فأنت بالصبر أحرى
كانت أمانيك بيضاً فأضحت اليوم غبرا
وكنت كالماء عذبا واليوم أصبحت جبرا
أضافك الهم حتى ألفت همك دهرا

والحب قيد ثقيل وقد عهدناك حرا
والحب ذل وقد ما أبيت للذات أمرا
والناس أخذان غدر وأنت بالناس أدري
رضيت حب فتاة تبديل اليسر عسرا
لها فؤاد جديب العار فيه استقرا
تسقيك باللحظ خمرا حتى تمايل سكرنا
والدمع في مقاتليها ستر يحجب سرا
والإبتسام تراه فتحسب الورد شعرا
يخفي عن العين كيدا منه المطامع تترى
فكيف نهوى إليها وأنت أرفع قدرا
تصبو لها من قديم وما صبوت لاخرى
يدب فيك هواها فيملأ القلب سحرا
فكيف تبعد عنها وقد جهلت المقررا
وأنت صب عليل من حبها لست تبرا
فت، فؤادي انى وجدت عيشى مرا
نشدتك الله نفسا عاشت على الضيم بكرا

ويك قلبي

ويك قلبي متى أراك صؤولا بعد ان كنت مستكينا عيلا
حانديك الاقدار بعد التصافي ورواك الهوى فصبرا جميلا

قد ضللت السبيل طوعا وما كنت
ت قديما تفضل ذلك السبيلا
قد أطأت المقام في دار ذل
كيف ترضى المقام فيها طويلا
غرك الحب وهو برق ككذوب
فتصبر انى وددت الرحيلا
كيف تنسى وقد خلقت أيباً
أن للمجد صولة لن تزولا
نحن نأبى يا قلب تلك الدنايا
فكفنا في الحب قالا وقيلا
نحن قوم على العلاء فطرنا
لا تكن للعلاء ذاك المزبلا
أنت أولى بالانتصار اذا ما
جرد الحب سيفه المسالولا
ليس عاراً اذا قضيت شريفاً
انما العار أن تعيش ذليلا

الشفق

أنت دمع النهار في صفحة الكو
ن يحى في الليل سرّاً خفياً
أنت دار الأسى وقد ما وجدنا
فيك للشعر مهبطاً أديا
أنت كنز للحب أودع فيه
حملك الشعر حبه العذريا
صامت أنت تسمع الطير في الرو
ض يغنى للنيل لنا شجيا
يسمع الليل حين تبدو أنينا
لنهار قضى حزينا شقيا
أنا أبكى وأنت تبكى وقد ما
قد بكينا هذا الغرام سويا
ست تبكى الوجود والناس لكن
أنت أبكى خاف النخيل عليا

الطائر السجين

طائر فوق الغصون خاشع الطرف العليل
هو في سجن الشجون لا يرى عنه بديل

كلما هز الغرام منه شوقا للحبيب
جاءه طيف السقام يقرع القاب الكئيب

قام في الليل البهيم يملأ الليل نواح
هو واحب الظلوم ريشة بين الرياح

ان شدا بين الحقول هب في الروض النسيم
ومضى فوق التلول يحمل الذكر الأليم

صوته ، والدمع يجري حائراً فوق الخدود
فاضحا لليل سرى ، بعض أنات الوجود

عله ، لما استردا أمل القاب وطاراء
شبح الهجر تبسدا ساعة ثم تواري

خاته رمز غرامي لا يسا ثوب الظلام
نابشاً قبر سقامي صائحاً أين المنام

طائر العشاق ، صبراً إن نأى عنك المرام
قد بلوت الناس طراً فعلى الحب السلام

قم على الغصن وغن واهتك السر الدفين
ردد الاحزان عني يا صدى القلب الحزين

عرش الحداد

اني بنيت لمن أحب وللهوى عرش الحداد
عرشا قوائمه الهمو م وتاجه شوك القتاد
والدمع فيض نواله يجرى على جثث العباد
واليأس كوكبه المضي ء لتائه حران صادى
من أمه مسترهما أصمت حشاشته العوادى
كالليل مسود الجوا نح لا يحن لذى سهاد

* * *

هذا هو العرش الذى حطته هذا فؤادى

استعطاف

حبيبتى نحن قوم لا نغيرهم
عاشوا على الضيم أحراراً غطارفة
لا يأبهون لذى يحلش يناوئهم
يحمون عرضهم فى كل ملجئة
المجد رائدهم والصدق شيمتهم
فكيف ننقض عهداً فى محبتكم
والحب ان هاجه بعد وموجدة
صرف الزمان فان عادهم صبروا
سيان ان ملكوا الدنيا أو افتقروا
يغشى ديارهم والليل معتكر
ما خانهم فى النزال القلب والبصر
والحب عندهم يحلو به العمر
وكيف نعرض عن حبها قدر
فانه النار لا تبقى ولا تذر

حبيبتى والأسى فى القاب مكتمن
انى وربك لا أساو الهوى أبداً
ان تنكرى سهد عيني فى الغرام اذا
ان كنت أنظم فيك الشعر مرحلاً
اليك أرسل آياتى التى نطقت
لا تأخذينى بأقوال الوشاة ولى
قلب ترامت به الأشجان تسايه
لو كنت أركب أهوال الحياة لكم
قد كان لى أمل فى العيش مكتمل
جودى بعفو يعيد الروح فى جسدى
يفشيه دمع على الخدين ينهمر
وكيف أساو ومالى عنك مصطبهر
جن الظلام فمعد الأنجم الخبير
فذاك وحى فؤادى جاء يعتذر
عما تكتمه الآمال والفكر
قلب يحبك ما فى صفوه كيدر
صفاءه وبه الآمال تحضر
ففى غرام الغوانى يركب الخطر
أودى به الهجر والتبريح والذكر
بعد الملمات فمك المغو ينتظر

صورة من صور الليل

الدم الناكل

وقنت تبكى وما من سامع
لا ترى فى خمة الليل اذا
تصدع الظلام منها صرخة
تقرع الصدر وفى القاب أسى
تظلم الوجه بكف أسود
واذا ما صرخت جاوبها
هى والأقدار تجرى حولها
غير آذان الظلام الأقم
نظرت ، غير قبور جثم
خرجت من قلبها المنهدم
شق ذلك القاب شق الجلم
وتناجى جثة المحترم
من قم الأقدار صوت المدم
جثة فى موجهها المنتظم

يارجال الشعر قوموا وانظروا
تلك أم أودعت مكرهه
وجئت تبكى على جثته
خففوا الوطأ لثلاثا تزعموا
تحت هذا التراب نامت أنفـس
فانظروا مقبرة في طيها
واسمعوا من بابها وعظمة
صـورة للبائس المنهزم
طفها المحبوب جوف الرجم
ودموع الموت لم تتسجم
شبح اليأس وطيف الألم
في خبوت من عظام ودم
يرقد المبصر في جنب العمى
واعبدوا فيها جلال القدم

زفرات الشباب

يراجع قلبي بشهه كلما دنا
وما ارهق الطيف الزيارة بعدما
دنا غير هيَّاب وراح محملا
وطالغنى منه الرجاء هنيهة
ولا أنا أسلو في الهوى من أحبه
فظورا ترى وجهي بشوشاً وتارة
وما زلت أستنشى الرياح لعانى
نأى عن ديارى بعد أن خاف الاسى
فهل رحمة في القلب يطفى بردها
فؤاد اذا التاث الصديق رأيته
يقيم على عهد الوفاء حياته
خيالك في ليل تغيب كواكبه
أعل فؤادا كاد يندك جانبه
من العين دمعاً لا تجف سوا كبه
فلما مضى مات الرجاء وصاحبه
ولا يرحم القاب المدنف سالبه
يطوف على وجهي من الهم راسبه
أشم شذنا من هاجر لا أقاربه
لقلي وهل يحنو على القاب غاصبه
أوار فؤاد حطمته مصائبه
يسابق وفد الريح شتى مصائبه
ويزور عن دار الغواية جانبه

رماه الهوى من قبل أن يعرف الهوى
فأرخص دمه ما كان بالامس غاليا
ويا أيها البيت الذى فيه ظلاله
لقد كنت مأتوس الديار فما الذى
عداك الاولى صانوك من نكبة البلى
سماك ماث الودق فى كل ساعة
أرى كوكب الآمال يبعد نوره
وأصبحت مقطوع الرجاء فتارة
وما سمعتى فى العيش الا مصابه
تقربت أهل الارض فى كل بلدة
أبت له ما حفز الحب فى الحشا
فيا قاب صبراً فالخفاق مرة
ويا من يرى فى العيش أمنا وراحة

فمزيته والحب كثير نوابه
وقام به صوت الإباء يعاتبه
رييت وكم حنت الى ملاحبه
رماك به دهر تدب عقابه
فمن فيك القساء ومن ذا أخاطبه
وحياك وحى الشعر بيض كواعبه
وليل الاسى والهم تدنو غياهبه
ينالبنى دهرى وطورا أغالبه
ولا أنا أرجو اليوم ما أنا طالبه
فلم أر بين الناس خالعا أصاحبه
ورثق من صفو تداعت جوانبه
ويا نفس ليس الحب قرنا أحاره
هنيئا لك الكاس الذى أنت شاربه

اعتذار

أرسل الشاعر هذه القصيدة من الاسكندرية الى صديق له فى مصر
يمتدح عن تأخير الخطابات

يا حافظا للود فى غيبتى
أنت الذى علمت قلبى الوفا
ذلت لى الصعب فلم أبتس
هل لك أن تصفح عن هفوتى
وكنت لى عوننا على كرتى
يوما ، وكنت النور فى الظلمة

كم ليلة قضيتها ساهراً
أخالني والهـم لا يـنـثـي
أو جثة القى بها نحسها
أبث ليل هوى باطنا
وطيفك المحبوب لي صاحب
يشير في النفس بقايا القوى
وكنت مثلي ذا هوى خالد
تحمل من نار الهوى جرة
وكم تشا كينا الهوى في الدجى
نسير والألام في أترنا
حتى إذا ولت جيوش الدجى
نعود للدار على بعدها
نغالب الدهر على أمره
يا صاحبي انى أخوك الذى
لم أنس أياما لنا حلوة
كأنها والسعد من حولها
أو نعمة الرحمن حفت بها
وهل أغض الطرف عن صاحبي

فوق فراش الحزن والحسرة
عنى ، غريب الأهل والجيرة
في لجة الآلام والوحدة
وأدمعى تهمل من مقلتي
يـحـجـب طيف الهجر والتسوة
ويرجع المفقود من عزتي
عشت أسير القد والنظرة
يا ويحها للنفس من جمرة
وليس غير اليأس من منصت
وتتبع العبرة بالعبرة
والفجر مثل الشيب في اللمة
بعد اللتيا يا أخى واللى
في حبنا والدهر ذو مرة
ما زال ذا عهد وذا ذمة
لهفى على أيامنا الحلوة
أنعام ييض الخور في الجنة
ملائك الرضوان والرحمة
وأنت من قومي ومن أسرني

هنا اذا ما كنت في نزهة أخالني أروح في ضيعتي

أمتى الهوبنا ضاحكا لآعيا وأعبد الرحمن في عزلى
والبحر يرغى مزيداً هائجاً كضيمهم همّ إلى وثبة
والقلب في أمن وفي راحة يا خير من يصفح عن هفوتى

الجرح الاول

حياة حاولها مر وقلب خانه الصبر
ونفس في يد الاوجا ع لان لبؤسها الصخر
حابت الدهر أظطره وفيه الخير والشر
فلم أر في الورى خلاصا يشد بمنسله الأزر
وكيف يلد لي عيش ولى خصم هو الدهر
يفل حديد بادرى وليس لعمله عذر
وهل تصفو مشارعه ويصحب غيبه اليسر
وتحت ردائه احتجبت يد في كفها الفدر
فبين النفس من قدم وبين طلابه وتر
أرى الايام مظامة يديه بليلها الحر
فلا هم^(١) ولا عزم ولا نهى ولا أمر
عواصف همّة سكنت حواها البر والبحر
أبامل قلب مبتئس وأيام الهوى غير
ويشئى في جوانحه زفير رهوه جمر

يظل الليل مرتجفا وما في قلبه زعر
كمزوود تروءه ليال ما لها فجر
وأيام مضت عنا وليس لطيفها نشر
مضت عنا برونقها وولى خلفها العمر
وهيفاء اذا خطرت مشى في أثرها الكبر
هضم الكشح فاتنة كان حدينها سجر
وألمها وتلمنى وفوق رؤسنا الطهر
نأت عنى فلا عجب اذا ما هاجنى الذكر
وعاج خيالها سحراً وآنس وحدتى الشعر
رمت أيدى النوى ظلما فؤاداً غصنه نضر
الا فى ذمة الرح من نفس حرة بكر

كما تشائين

كان ذلك الغرام سهلاً وصعباً
كلما رمت هجرها واصلتني
أنت فتاة ولكن قلبى
فاذا شئت كان حبي سهلاً
وجفاء من غير ذنب وقرباً
واذا رمت وصاماً تتأبى
لم أجد مثله على الصعب قلباً
واذا شئت كان حبي حرباً

عشنا تبكى

أنت كالطائر تشدو كلما
هتف التذكار بالقلب السكوت
عشنا تبكى على العهد القديم
لا يعيد الدمع أيام النعيم

حطمت صبرك غارات النوى ودعاك الهجر المذكور الأليم
كلما أرسلت أنات الهوى سكنت في هجعة الليل اليبيم
تسهر الليل وترجو غفوة أبنام الليل مولود الهموم

ليلة

وليلة حائرة النجم قد هددت فيها اليأس من عزمي
قضيتها والدمع لى مدد فكأنه نوب على جسمي
وكان قلبي كلما هممت عيني ، خضم موجه همي
قد نحت فيها لا أرى عضدا نوح اليتيم يصيح بأبي

مولود الهموم

أكان الهوى الا الدموع سوابق على الخد والنيران بين الأضالع
وبأس وآلام ووجد ولوعة وشوق الى وجه الحبيب المخادع
لقد كان لى فيمن أحب مطامع فأخمد مجدى نار تلك المطامع
ولكننى ما زلت أعبد حسنها واذا كره إن مر سرب السواجع
تأنعت نوب الليل والليل صامت فما راعنى هوج الرياح الزعازع
ولا هالنى دمع السحاب وقد سقى وأحي موات الزرع سيل مدايعي
أرى أننى فى الحب أرضى ملامتى واسمع ما لا ترتضيه مسامعي
وأجزع من صرف الزمان وغدره وما كنت تلقاء الخطوب بجازع
وأرغب فى جوف الليل إلى نجومها وأعجب من تلك العيون الهواجع

وما السهد يدنى من تنأى خيالها
ولا أنا أرض الوصل وهو بليتى
ولا الدمع فى شرع الغرام بشافع
ولا الهجر والهجران فيه فواجعى
ومولود هاتيك الهموم القواطع
اعلى طفل اليأس والبؤس والشقا

أنا وهى

معارضة قصيدة البارودى (هو البين حتى لا سلام ولا رد)

سلام عليها لا لقاء ولا ود
يعز على نفسى الأبية أنها
ولا دمة فى العين يدفعها الوجد
ترق لمن أضحت وليس لها عهد
كان الهوى سيف وقابى له غمد
وراء الهوى يرنو الى فأرتد
الى الهجر مجد لا يعادله مجد
على الناس تغدو والقضاء لها وفد
تفرغت الموتى وجاوبها الرعد
تثور ، ولى قلب هو الحجر الصلد
فأوله جد وآخره جد
فليس لنا عن كتم نيرانه بد
سواء لدينا القرب فى الحب والبعد
وما النكث الاشيمة الغيد ياهند
تحاربى فيها لحاظك والقدر
ويسمع منى الليل صوتاً اذا دوى
وأغدو ولى نفس اذا رامها الهوى
وليس الهوى الا المحامد والعلى
فان عبثت بالحب هيفاء كاعب
نعيش فلا يهتاجنا الشوق والجوى
تعير نى انى نكثت عهدى
تريدين أن أقضى بدارك ساعة

ولسكنني آيت أن لا أزورها
أما وبين الحر والله شاهد
فلا تحسبي أني أميل مع الهوى
تولى زمان كنت فيه أهاهوى
أكفكف من دمي سوابقه التي
أحمل أشواق الرياح تلهفاً
كأنني غريق والظلام كأنه
وكنت إذا لاقيتها بعد فرقة
ألف على خصر الحبيبة ساعدي
مضى ذلك العهد القديم وما انقضت
ويا قاب لا تجزع فالدهر دولة
ويا ابني قومي وقد جد جدكم
تألى على فعل المكلام بعد ما
ذروه الى العالياه يرق سماها

وان كان فيها السعد يعقبها السعد
أقدلذ لي الشوق المبرح والصد
وأرخصي عنائي للدموع التي تبدو
أناجي نجوم الليل والليل مسود
تروح أسي في صفحة الخد أو تغدو
اليك فتذريها الرياح التي تمدو
خضم وأنفاسي هي الجزر والمد
تجرعت فيها اليأس ليس له حد
وألتهمها وأخذت يلمسه الخد
مطالب حب ليس يحصرها عد
وما أنت يا قولي جبان ولا وعد
اليكم فتى ان خانه الدهر يشتد
تفانس عنها يوم قامت به هند
فقد ردت الأقدار من غيب الوجد

حياة الخاطر

يا حية تنساب في خاطري
رميت بي في هوة لم تكن
جعلت مجدي طعمة للهوى
عاديت من أجلي كل الوري
هدمت صبر الأسد الصابر
من قبل داراً للفتى الشاعر
دعي سبيل المجد للعابر
فمن ترى بين الوري ناصر

وهل أرى نور الهدى بعد ما
عصيت في حبك بيض المنى
يا بؤرة الآمال ماذا الذى
وأنت قبر والمنى جثة
وأنت يا قلب اما ترعوى
قد غرك الحسن وفيه الردى
والحسن ان أودى به أهله
قد كنت مهجوراً فكنا هاجرا
لا تبتئس واخلع لباس الهوى
أطفأت نور الحق في ناظرى
طوعا لحب غادر جائر
أرجو غداً من حظى العائر
غسانها من دمعى الحائر
ولست قاب الفاجر الداعر
اذ ليس خافى الحسن كالظاهر
يفعدو قذى فى مقلة الناظر
فالنصر والاسعاد للهاجر
والبس رداء الأمل الناظر

أنت !!

أنت . أنت التى سرت فى عروقى
نظرة منك قد أسرت بها القفا
نظرة منك القت الرعب فيه
وابتسام من فيك يشرق بالسم
ليس هذا الا طلاء تولى
عرفتك القلوب بالجوود لكن
ما صفا قلبك الخلى ولكن
انت أظهرت لى الوفاء وانى
فانزعى عنك ذا القناع ليبدو
منك يوم اللقاء خمر جمالك
ب فبانت له صماب وصالك
رعب حب يقوده للهالك
يد لقلب صبا وعذب مقالك
مسحه للعيون طول مسالك
لم أنل منك غير نار مطالك
قلبي الواله السقيم صغا لك
لم أجد فيك ما يعزز ذلك
لبنى الحب ما خفى من فعالك

حاربته منك الخيانة والغد ر لعمرى انى صريع نزالك
غير أنى عتدت الوية النعد ر فكأن الهجران يوم قتالك
شيعتى العفو للذى خان عهدى وكثير من حالهم مثل حالك

ليلى طويل

ليلى طويل ما له آخر يعم قلبى بجره الزاخر
ومقاتى ترعى نجوم السما ينهل منها دمعى الخائر
أأ كتم الوجيد الذى هاجه منها ابتسام حسنه جائر
إن أنشدت يصفى اليها الهوى كأنها فى روضه طائر
فم هو النبع الذى يستقى منه الهوى والشعر والخاطر
آصدنى عنها فلا أنثى وقد رماني لحظها الفاتر
فان نست من عاش فى حبها عبداً فأنى للهوى ذاكر
نصيبى الهجران فى حبها ياشد ما يلتقى الفتى الشاعر

حياتى

حياتى هى الحب والحب دبنى والحب قضيت عمرى شقيا
آمانى فى الحب شىء كثير وما نلت يا قوم فى الحب شيا
عذابى كبير ولولا عذابى لما كنت صبأ عفيفاً تقيا
ولى فى الهوى عفة لا تجارى ونفس ترى الموت حلوا هنيا
ففسيم الملامة بامن ياروم ولولا الغرام لما كنت حيا

ارجوحة اللاعب

أشكروا الهوى للأمل الخائب يا ويحه للنفس من صاحب
كأننى بين الهوى والمنى يوم النوى ارجوحة اللاعب

هديتى

أهدى الى الدمع الهتون والى التنهد والانىين
والى الزفير وناره والى التهاف والحنسين
والى الشهيق وصرخة ال مفعجوع والقلب الحزين
ماكنت أكنم فى الهوى وأذوق فى ظل السكون

الريح

اعلك ، والآمال حيرى كايمة ، لسان الاسى فى الليل يهتك اسرارى
اعلك صوت الغيب أو صيحة الهوى ترددعها الاقدار ، أو وحي أشعارى

احن الى الاوجاع

خايلى ما الهجران شيمة معشر بنيت على آمالمهم صرح آمالى
وأودعتهم سرى الذى كان قباهم دفينا كأننى كنت ذاك الفتى الخالى
وشا طرتهم فى العيش لذته التى تقضت كحلهم فى صفحة الببال
هنا أشرب الكاس التى خالط الابى سلاقتها بالدمع نم عن الحال
أحن الى الاوجاع طوعا وانما يحن الى الاوجاع فى الحب امثالى

الظبي النافر

مال عني ومضى غاضبا ظبي النفا
لم اطق حبس دوعي يوم ولي مرضا
تارة يرضى وطور را التقيمه . ميفضا
كان لا يألف غ يرى . اله قد اعرضنا
لائمي واللوم حـ حق انما الحب قضا
لم اجد غير حبيبي عن حبيبي عوضا
فاحتمل ياقلب انني لست اشكو مضضا
ليتة لو كنت اذ نبت تناسي ما مضى
واتاني باسمـ شيقا . متفضا
وارتمى بين ذرا عي مجيبا بالرضى

أخاف

أخاف الشمس توقظ في فؤادي
أخاف البدر في الظلمات ينفي
أخاف الحب ان الحب داء
أخاف الود والاصحاب اني
أخاف النفس أن ترضى بيخزل
أخاف السمعة والبؤساء حولي
أخاف من الوجود وما حواه
عرامة ذلك الرجل العنيد
لذيذ النوم عن عين العميد
يقل القلب صيغ من الحديد
اعاف الرى من خمر العبيد
إذا ناديتها يا نفس جودي
يسامون العذاب من السعيد
ومما سوف أفعل في الوجود

أنا وأنتِ

بالقاب من جفنيكِ سهم وبه من الهجران سقم
هذه ابتسامات الحياة ة لها على خديكِ وسم
أنا للهوى ذو هممة ولنغيره أعمى أصم
وسهرت ليلى والجننا ن بغير ذكركِ لا يلم
وكتمت أمرى في الهوى والدمع عن حلى يتم
والشاعر المطبوع من مطبوعه سقم وهم
تم الوصال لنغيره وله وصالك لا يتم

- اماءة -

الشاعر يخاطب امه

اماه قوى واسمعى اماه مالك لا تجيبى
أرأيت دمع محاجزى وسممت يا أمى نجيبى
هل راع قلبك ما لقيت من النوائب والكروب
ان الوجود صحيفة ملأى بأسرار القلوب
خلفتنى اللهم في ه وللشدائد والخطوب

..

اماه انى قد طرق ت حماك فى اليوم العصيب
أبكى على سمعدى كما يبكى الغريب على الغريب

يمضي الصباح ولست أعـ لم منه اسرار الغروب
بأس الحياة إذا جها نأكنه ذا الكون العجيب
إن المصائب ريشة تلهو باوتار القلوب
أفنى الغرام تجلدى وفقدت في أهلى طيبي
هذا جناح ابى عاى وما جنيت على حبيب

نفثة مصدر

قأى ترامت به الشجون والدمع فاضت به العيون
هوى بي اليأس من غرامى وعدة اليأس الزفير
والليل لا ينجلى بصبح والنوم عن مقلتى تقور
ياحبذا الموت من صديق فى حبه صادق أمين

لا يخفق القلب فى حماه ولا ترى العين من هويت
وينقضى الهجر والعذاب واليأس والشوق والهيام
وترقد النفس فى ظلام يحبىء من بعده ظلام
هذا هو السعد يارفاقى ياليتنى فى غد أموت

أموت فى زهرة الشباب كالغصن أودت به السموم
وهل يعيش الفتى إذا ما لم يبق فى حبه رجاء
والمرء إن خاله هواه فميشه والردى سواء

والزهر في عينه قتاد والشمس في عينه نيام

ويابل الروض ان تغنى والناس في دورهم رقود
يخاله اليوم صارخات وخلقها السهد والدموع
والسعد عن نفسه بعيد والدمع في خده نجيع
والنار في قلبه تالظي وقلبه ان خبت وقود

في ذمة الله نفس حر عاشت على الضيم لانهان
ماراقها في الحياة عيش ولا رعى عهدا صديق
رأت خيار الوري ذنبا يقودها الغدر والعقوق
أودى بها الهجر والزمان لعلها في الثرى تصان

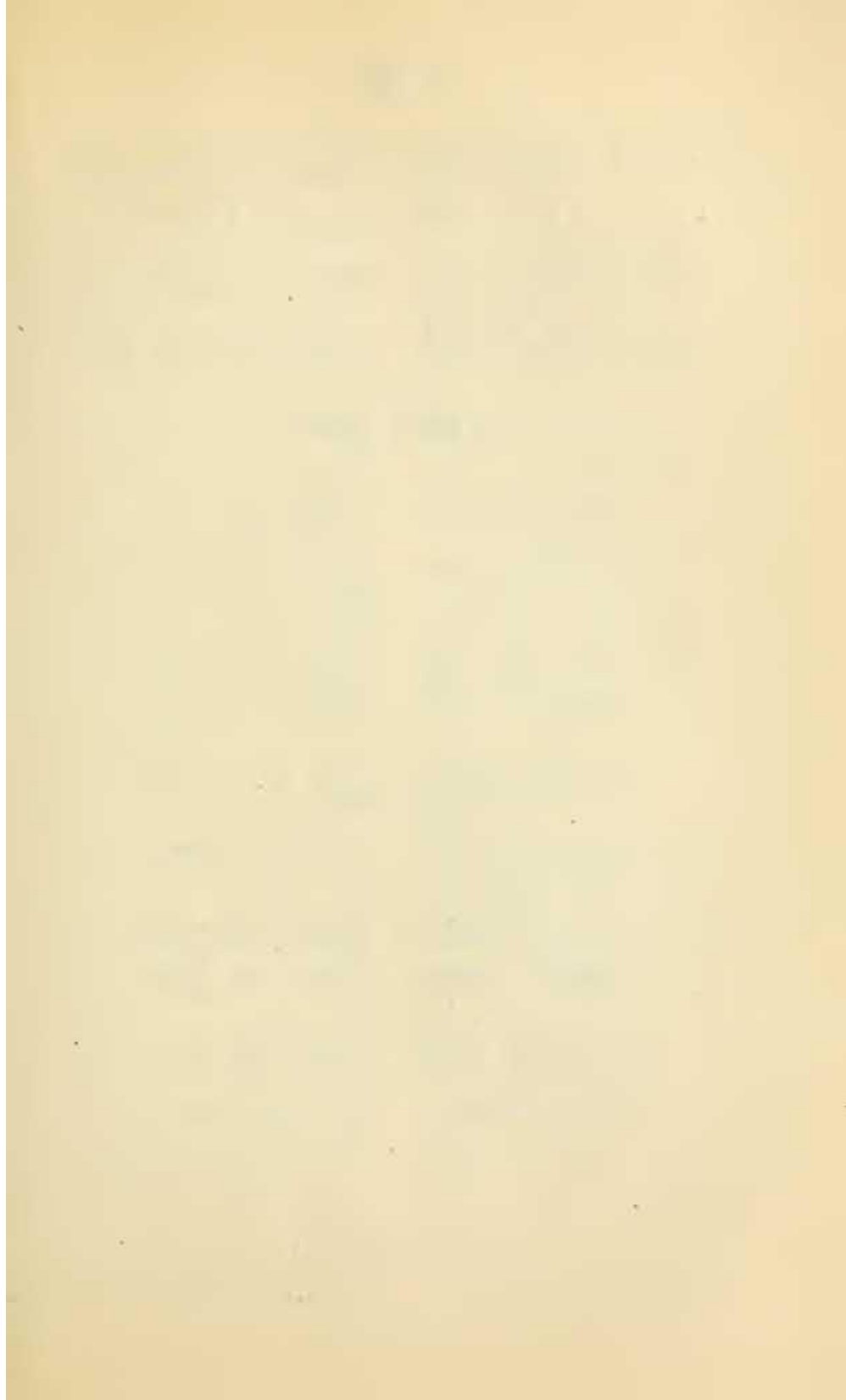
ياقصر الهاجر

أضم في الاحشاء شخص الذي ذرفت دمع العين في حبه
بالله قل لي يا مقر الهوى هل يسأل المحبوب عن صبه
ياقصر خبرني وكن صادقا عن سر ما يحظر في لبه
أثار حربا هو لها ظاهر والقلب لا يسلم من حربه
ياقصر لا أعلم ماذا جرى حتى أطات اليوم في حجبه
ما زال قلبي هائلا مدنفاً مسترحما يبحث عن ذنبه
يبكى هوام ناسيا أهله وقومه والحر من صحبه
ياقصر كن خير رسول لمن أصبح عز القلب في قربه

عليك من هجرانه مسحة يعرفها المنكوب في حبه
لا حاقك المسكروه في قربه ولا رماك الدهر من صعبه
يامن غدا الصمت له عادة قلبي يزيد الصمت في كربه
فكن كرينا اننى صابر فالجود كل الجود من ربه

دمع الشفق

فوق حدود الظلمة تبدو دموع الشفق
قد حملوها لوعتي وباءات الارق
أرنو اليها شاكيا فعل النوى بالجسد
مسترحما مستجديا بقيه للجسد
كأنها فوق الربى طيف الاسبى والسقم
يخط في سحر الصبا ما في الحشا من ألم
والشعر في أحزانه يسكب كأس الأمل
يحمل في اكفانه غوامض المستقبل
ابسه في وحدتي انات قلب مغرم
يشكرو له هجر التي يوم اللقا لم ترحم



الكتاب الثاني



أبوجذر

مقالات من الشعر المنثور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا
أما كنا لنكون من الساجدين

عودة الموجهة

في مثل هذا اليوم من العام الماضي وقفت أمام هذه الأمواج
المضطربة أشبهما بانفاسي الحارة ودوعي المهمة
وقفت أمامها وقففة العاشق الذي استوجد الوجد ضلوعه وبري
الشوق عظمه وأودعتها رسالتي التي كتبته أقلام الصبر بمداد الدموع .
أودعتها الرسالة وأنا أترنح كالشارب التمل يقعد بي اليأس ويدفعني
الرجاء والأمل . وما ألد قطرات الأمل الباردة على نيران النفس الهالجة !
تركت الشاطئ ، بعد أن غادرته تلك الموجهة الشائخة وكلتي حنين
لتلك الديار النائية وذلك العش الساكن الذي كنت آوى إليه مع
عصفورتي المهادثة الجميلة

هناك كانت تكلاًنا عين الحب وتحرسنا يد العفة والطهارة وهناك
شربت مع من أحب كأساً لا أنسى لذتها الى الأبد . مكثت سنة وأنا
تواق للاجابة أنتظر رد الرسالة وقد ظمأت نفسي للقائهم واهتاجني
الشوق اليهم ، ولكني وطنت نفسي على الصبر وتجلدت على ماضى الحزن
الى أن مضى العام ودنا يوم اللقاء فذهبت بالأمس للشاطئ عند غروب
الشمس في المسكان المعين وانتظرت الموجهة وأنا كالريشة في مهب الريح
ورأسي كالضباب الأسود يسمع فيه برق الأمل ثم ينطفى

وما لبثت برهة حتى رأيت الموجة كالطود الشامخ بهزها الريح
فتضطرب وترغى وتربد

عرفت الموجة من بين اخواتها فهلمت نفسي لمرآها ووقفتم
كالمصعوق لا أبدى حراكا

رأيتها تدنو فدنوت اليها ومددت يدي كالمسائل المحروم فأذا بي أقرأ
على صحيفة وجهها سطرًا كتبته يد النسيان الناعمة وسجلته مخالب اليأس
فرجعت خطوتين الى الوراء وهويت يجسهي على الرمل وصرخت
صرخة تراجعت أمامها الامواج
ومكثت برهة وأنا لا أعى شيئًا . .

لقد انطفأ ذلك السراج الوهاج سراج غرامي . لقد بادت تلك
الاحلام التي رافقتها أحلامي . لقد أسدل النسيان ستارة على ماضي
هيامي . . وهي . . هي الآن تعيش سعيدة مع سواي تشاطره هناء
الحياة وتذوق معه أفويق الحب والسعادة

ليهنأ ذلك القاب الوديع بطيبات هذه الحياة وليجد مع من أحله
في سويدائه برد السرور ولذة الغبطة والهناء

أما أنا فسا بقى لهيف القاب كاسف الوجه أفترش الهم وأتوسد القلق
واثن تجرعت غصص الكرب وعالجت برحاء الابی فسا بقى على عهد
الوفاء لا تمنحني من مخيأتي صحيفة الذكرى حتى الموت

. مكثت أمام الموجة مدة طويلة وأنا حائر الطرف مدله العقل
مستطار الفؤاد وما لبثت أن عرفت أصواتًا أعرفها تناديني . هو لاء هم

رفقة . من المصطافين مثلي كنت في غنى عن لقائهم في تلك الساعة .
نادوني وأعادوا النداء ، ولكنني ابتعدت عنهم وأنا أسير على غير هدى حتى
وصات الى بقعة لا أرى فيها الا رمالا صفراء وسماء زرقاء .

هناك جلستُ على الرمل وأسندتُ رأسي بيدي وبكيت . وما
زالت تسح جفوني بدموعها الماطلة وأنا أن أنين الشكلى الى أن
انتصف الليل .

(رأس البر ١١ أغسطس سنة ١٩١٦)

متى أنساها

هي معى فى كل مكان . فى كل جزء من أجزاء فكرى الملتهب ،
فى كل ذرة من ذرات قلبى الممزق ، فى كل نهر من أنهار دمعى المرسل .
مازلت أراها تمدو خلفى وقد ساقها القدر المحتوم ، مازلت أشعر
بذراعيمها تطوق عنقى ، وبقباها تحرق جلدى ، وبأنفاسها الحارة توقظ
فى القلب شيطان الحب الرجيم .

هي معى فى كل مكان . أراها فى الليل وقد ران الكرى على
جفونى فأقوم من الفراش مذعوراً ، وأراها فى الفجر وقد تفتحت عيون
السكائنات لقدوم الضياء فأرجع لبيتى مهوراً ، وأراها فى الصباح تبجتر

بين أشعة الشمس الزاهرة فأحس بحرارة الوجد آتمشى في أنحائي ،
وبشظايا الهجر تاتهب في أحشائي

هي معي في كل مكان . أشم أرجحها مع نسيم السجر ، وأسمع صوتها
مع أناشيد الطيور الصادحة على أفنان الشجر ، وأرى وجهها في صفحة
الجدول العذب الذي ينقع الظمان منه غلته ، وفي مرآة السماء الصافية
التي ينبعث منها للشاعر وحى الشعر تكمل رأسه زهور الابدية

هي معي في كل مكان . متى أنزع عن وجهي قناع حجبها الكثيف ؟
متى لا ترى عيناي شبح غدرها الخيف ؟ متى تسكن في زوايا قلبي عاصفة
الحب والهيام ؟ متى لا أسمع من نفسي أنين الوجد والسقام ؟ متى ألمح في
سماء حياتي برق الأمل الصادق ؟ متى أزبل من طريقي الموانع
والعوائق ؟ متى تذبثق من حدائق نفسي زهور الحقائق ؟

هي معي في كل مكان . ان طرت في الجو رأيتها بين طيات ضبابه
الاسود ، وان غصت في جوف الماء لاقيتها في قاعه العميق ، وإن
تبخرت في الهواء إستنشقتني لأسمع دقات قلبها الخؤون . وإن سكنت
القبور أنت لتضع أشواك اليأس على قمم القبور . هي معي في النعيم
والشقاء في اليقظة والنوم ، في الوحدة والسكون ، في الحياة والموت .
هي معي في كل مكان .

(نشوه ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٦)

الماضي^(١)

« ما الماضي الاقرب ان يخفق بين الجوانح »
« هنري باتاي »

الانسان سائح أعمى يمشى على غير هدى تقوده الأنانية في الحياة .
فان استأنس من نفسه القوة والبأس داس في مشيته بجذائه الضخم الآفا
من الضعفاء . وإن خارت عزيمته دون إدراك غايته وأستشعر بالتعسف
يتهمشى في أنحائه انخذ لنفسه الحيطه وتنحى عن حذاء القوى لكييد له
خفية ويمكر به علانية حتى إذا سنجت له الفرصة دفع به من قمة العز
والغنى الى هاوية الدل والفقر وأصبح بعده قويا ذا مرة يدوس بجذائه
الجديد من شاطره البؤس والشقاء أيام تعاسته

والحب جزء من الطهارة منتشر في الهواء يسكن بيثة من الوجود
خصيصة به فاذا مر بها الانسان ولا مندوحة له عن ذلك واستنشق فيها
عبير الحب وافتحت عيناه بأصابع الحب النارية ورأى نور الفضيلة ساطعاً
يبهر بصره خلع عنه رداء الرذيلة وعاش دهرًا شريف النفس طاهر

(١) هذه المقالة فاتحة مقالات عنوانها حديث غرام كان المؤلف يرغب

أن يتمها فلم يفعل . ولم تظهر غير هذه القطعة وعنوانها الماضي

القلب ثم لا يلبث أن يقطع تلك البيئة الطاهرة ويدخل في ظلمات الحياة ينهش فيها الطمع قلبه النقي ويمزق الفساد لحمه الناعم ناسياً ذلك النور الساطع الذي أضاء قلبه الأسود حيناً من الدهر .

تلك حال سواد الناس لا يعبأون بماضيهم حلواً كان أو مرراً ينسون ما لا قوه فيه من ألم أصلي ضلوعهم وأرخص جوانحهم . تمر أمامهم الحوادث وكلها عبر فكأنها ما مرت وكأن الحياة أمامهم دار لهو وطرب لا يذوقون فيها إلا الملذات أما الآلام فحرام أن تدخل قلوبهم والآلام هي من نعم الله على الناس لأنها الباعث الأكبر على المحبة والشفقة ومن عاش دون أن يتألم فوجوده عدم . وما أحلى هذه السويغات التي يقضيها الانسان في مكان منعزل لا يؤانسه فيه الا سكون الطبيعة يقطعه من آونة لأخرى خرير المياه وزقزقة المصافير . هناك يتذكر الانسان ماضيه فتمر أمامه صور مختلفة منقوشة بريشة الذكرى على صحيفة روحه .

والماضي وإن عده الناس أحلاماً في أحلام فهو جزء من الحقيقة فكما أنك لا تعيش بدون طعام تأكله وماء تشربه وهواء تنفسه فأنت أيضاً في حاجة لتلك الساعات الساكنة التي تستسلم فيها للذكرى اذ الحياة كما قال شكسبير مصنوعة من أقمشة الأحلام

أكتب للناس هذه الحادثة الغرامية ولا أريد بذلك أن يقف كبيرهم وصغيرهم على أسرار قلب حزين لم ينبض غير عشرين ربيعاً ثم أسكتته يد التعاسة فسكت ، ولكنني أود أن أعتز على تمس مثل يسكب

• معى على قبر هذا القاب الطاهر دموعه الحارة وتشاكي سويبا نكبات
الدهر .

(٥ يناير سنة ١٩١٧)

الشاعر والليل

الشاعر - أيه أيها الليل الأقم ! أين مفتاح بابك الجهنمي ؟ أود
أن أنام في فنائك المخيف متوسداً عتبتك الزرقاء التي بنتها يد البؤس
من دموع الايتام . هناك أسكب دموعي فتطير في الفضاء شظايا نضي ،
الأفق الحالك .

الليل - قف أيها الشاعر فما أنت إلا طفل ساذج . أنك ما زلت
تبسم لنور النجم وتضحك لبزوغ الشمس ، وترقص مع الجيوش
المنتصرة . وتهزأ من ألحان البؤس التي تردها الشفاه الظامئة ، وتأنف
من أن تغسل جسمك الملمهب في نهر الدموع .

الشاعر - أيه أيها الليل ! أين عباءتك السوداء تلتحف بها أفكاري
المستعملة وتسير تحت لوأتها الى قرار الهاوية . هناك أصرخ صرختي الهاائلة
أمام الأشلاء المبعثرة فتجفل النجوم في القبة الزرقاء . وترتعد الشمس في
عرشها العاوى .

الليل - أيها الشاعر . حاشا لمن هو . مثلي عميق القاب بعيد النور

أن يفسح لك في أبحاثه طريقاً لا تثبت فيه غير الأشواك القاطعة لتدوسه
بأقدامك الناعمة. أنى أخشى أن تعود من حيث أتيت وحرام على
الحقيقة التي سكنت سويداء قلبي أن تراك خائباً حائراً تستجدي النور
أشعته الزاهرة .

الشاعر - ايه أيها الليل ! أين جوادك الأدم أم تطيه ناهباً به سماء
انلانهاية حيث أسمع أناشيد الآلهة ترددها ملائكة الرحمة فوق تلك
الأفنان التي يرقص خيالها في ضوء القمر .

الليل - ايه أيها الشاعر الحائر ! ان قناعي الأسود لم تنسج خيوطه
غير يد الآلام ، وان نفسي الحائرة لا تهبط بعد أن هاجها التطام الدماء
بالدماء . وان عيني الساهرة لا تنام لأنها لا تقع إلا على ظل القبور
الشاهقة حيث دفن البشر جثث الحب والامانة والوفاء .

الشاعر - ايه أيها الليل العميق ! دعني أرتشف أفوايقك التي
انصرفت عنها نفوس الناس . دعني أنشد في جوفك الصامت انشودتي
تتناقلها الرياح من واد الى واد وتستحيل من أجلها رمال الصجرء ضباباً
كثيفاً يكلل جبين السماء .

الليل - أنا ذلك الغار الذي لم يصل بعد لنهايته انسان . إذا مشيت
فيه قادتك اشباح الموتى واحاطت بك الاحلام المزعجة . على بابك كتب
اليأس كلمته التي يرن صداها في الفضاء وفي قاعه انبثقت شجرته التي
ينفث نسيمها المتهب سمومه القاتلة .

الشاعر - وأنا ابنك أيها الليل . ان أنفاسي المستعرة سكرى بأريج

أفلاك الهائلة . فأين كأسك أجرع منها جرعتي الأولى والأخيرة .
خذني الى أحضانك الشاسعة وضمني الى قلبك العامت . أنتزع من
جسمي البالي تلك النفس الخالدة وأمزج عصيرها الطاهر بخمرك المسكر .
الليل - أنا تلك الصحراء ذات الرمال اللينة . التي وسمت
الأفكار المهالجة . والتي غاصت فيها الشياطين التمردة . والتي خيم عليها
ضباب كثيف متلاطم حطم سراج الشمس الوهاج فانطفأت أمامه
جذوتها المشتعلة .

الشاعر - وأنا بعضك أيها الليل أضحك من سلطان الطمع
وأدوس بأقدامى شيطان الأثرة والأنانية . اليك قيثارتى التي أخذت
عودها من أشجارك واليك روحى التي نجاها من أنوار الحياة سوادك
المنتشر .

الليل - أنا تلك السماء الخالية من الكواكب التي نبع فيها سيل
الخيال مغرقاً عقول الذين اصطفتهم الأبدية ليحملوا على اكتافهم العريضة
عرشها الثابت .

الشاعر - وأنا ذلك المولود الصغير الذي ألقته به أمه عند ذلك
النبع المبارك خمله التيار الشديد وما زال يقذف به الى حيث تقف المطامع
الإنسانية وينبثق فجر الحقيقة .

الليل - تعال أيها الشاعر وضع فمك الصغير على شفاهي الملتهية
لأنفث فيه أتفاسى النارية فتلتهطها أحشاؤك الظامئة . خذ صولجانى

وأمسك به في يدك تخضع لك سفينة الرياح فتركبها لتعدو خلفك الاغاثة
وتهرب أمامك القسوة .

الشاعر - أنت أيها الليل إله الرحمة وانا لسانك الناطق . انت
أنشودة الحب وأنا منشدها . انت سيف الحق وأنا شاهره الذي لا ينام .
تعال معي نجول جولتنا لتنهزم أمامنا جيوش الدماء التي أثار حربها
نور الحياة .

(٢٦ يناير سنة ١٩١٧)

حب البقاء

انظر الامواج الهائجة تملو وتهيط ، وانظر للسماء وقد ابست رداؤها
الأسود ، وأسمع زحجرة البحر ترن في الفضاء كما يسمع المسافر في الصحراء
زئير الليث وعواء الذئب .

ونفسي الشائرة تنظر للسكون من وراء ضباب الألم . وعيناي
الغائرتان يامع فيهما نور مخيف كما يامع برق اليأس في ليل الهموم ، وتملو
شفتاي ابتسامة السخرية .

لا أبتسم لا ابتسام الربيع ولا أبكي لدموع الشتاء ولا تهزني نشوة

الأمم ولا تخيفني خاطرات اليأس وما قلبي الا قبر مظلم رقدت فيه
عراس الأمانى تمر برؤوسها الخاوية أحلام الماضى .

تسير الناس امامى كأنها الأعيب تنحرك ، ورحمتاه للناسم . هم
ضحايا تتزاحم أمام مقصلة الطامع : فهم والانعام سواء ، وأنا ما زلت
واقفا أمام البحر كالتمثال غير أنى أهتز من آونة الى أخرى كلما لاح فوق
الامواج الغاضبة فجر الشباب .

اليوم يوم عصب قامت فيه الرياح وقعدت ، وهددت وصرخت .
فلزمت الأطباء الخدور تنظر من وراء السجف لثورة العناصر وتسمع من
خاف الجدران دوى الرياح وقصف الرعود . ولكنى أرى أمامى خيال
من أهوى شاحب اللون مسدل الشعور ماداً يديه الناحيتين يدعونى الى
قرار البحر وهو يتهم وبرقص مع الامواج .

علام أنا محجم عن لقاءه ولا يبعثنى عنه غير شاطئ البحر ؟ علام
لا يدفعنى اليه الشوق القديم والنار المتأججة بعد أن أسمعتنى الامواج
أحزان الموتى فطربت لها كما يطرب الغريب فى منقاه لالحان وطنه ترتانها
العصافير على الاغصان عند الغروب .

حب البقاء ! آه . ما زلت ممسكا بتلايبه وان سكن اليأس قلبى
وتلك على نفسى . حب البقاء ! آه . هو علة الوجود ، هو اللذة التى لأجها

تنبض القلوب . حب البقاء ! آه . لاجله تنألم ولاجله نشقى ولاجله
لا نترك الحياة إلا مرغمين
(٦ ابريل سنة ١٩١٧)

حديث زهرة

- ١ -

ما أجمل الربيع الذي وُلدتُ فيه ، وما أجمل الشمس التي أبتزغ في
الصباح فتعلاً جسمي حرارة ، وما أجمل سلم القصر الكبير الذي
نشأت في حديقته أرى الناس تصعد اليه وهم ينظرون الى نظرة إعجاب
وتارة يتسمون ابتسامة حلوة لذيدة أرقص لها طرباً وأميل تيهاً ودلالاً .
وإذا مشى رب الدار في الحديقة يقف امامي ويمد يده اليّ ثم تأخذه
الشفقة على جمالي الغائن فيسير في طريقه وهو يتسم . وما رب الدار الا
رجل من سرة القوم وأغنيائهم . منيع الحوزة عزيز الجانب قطع من الحياة
مرحلة كبيرة ولكنه ما زال غض الآهات صبيح الوجه .

أنا بيضاء اللون جميلة الشكل تبللني قطرات الندى في الفجر وتنعشني
أشعة الشمس في الصباح وتؤلمني حرارتها في منتصف النهار . وإذا مر بي
النسيم وقد مالت الشمس للغروب أشعر بلذة غريبة ويدب النعاس في
أجفاني فأذا أقبل الليل أنام نوماً هادئاً لطيفاً الى أن توقظني قطرات

الندى وهى تتساقط على غلائقى البيضاء . أنا فى هذه الحديقة زهرة
الحسن والجمال

- ٢ -

استيقظت فى فجر اليوم فوجدت أمى شابا وضىء الطلعة رقيق
القشرة يترقرق فى وجهه ماء الجمال يئن ويبكى ويمشى فى الحديقة مشية
الخائر اليائس ثم يعود الى ويقف أمامى وهو ساهى الطرف قلق الخاطر .
مسكين أيها الشاب الجميل . ما الذى استوقد صدرك ومزق أحشاءك
وعلام أنت متلف القلب ناكس البصر ؟ . . . ومن أنت ؟ . . .
لا تجيب أيها الشاب لقد عرفتك . أنت ابن رب الدار . أنت غنى ابن
غنى وسرى ابن سرى ، تسكن القصر المشيف وتلبس الحرير وتنام على
الدمقس فعلام تبكى وتنتحب ؟ . . . ما الذى تفعله أيها الشاب . . .
قف لا تتقدم . . . لا تمد يدك الى . حرام أن تقطفنى وأنا فى ربيع العمر
صبراً أيها الشاب انتظر .

ولكنه لم يأبه لقولى ، لقد مديده الى وقطع ساقى الجميل وصعدنى
على السلم ثم دخل غرفته وهناك بلانى بدموعه الحارة فامتزجت دموعه
بقطرات الندى .

- ٣ -

ثم أشرقت الشمس فوضعتنى على صدره وغادرتنا الدار معاً وأنا لا
أعلم الى أين يسوقنا القدر . ثم وصلنا لينا كبير اجتزنا بابه ودخاننا فناه
وهناك سمعت صغيراً ورأيت دخاناً فعامت أننا فى محطة كبيرة ومشى

الشاب على افريز المحطة وهو يحمانى على صدره وكان ينظر تارة الى الارض وطوراً الى السماء ويخرج ساعته من جيبه وينظر فيها ثم نشط من عقاله وعم يستقبل شخصاً لم تر عينى أجل منه .

وحدقت نظرى فى الشخص القادم فوجدته فتاة رقيقة ناعمة هيفاء القوام سمراء الوجه تلوح عليها ديباجة الحسن وينبعث من عينيها بريق العفاف والطهر .

ثم تعانقا فشمعت باهيب تلك النار التى كانت تتأجج فى صدريهما وافترقا خشية أن تحرقنى تلك النار . وركبت الفتاة فى عربة من عربات القطار فنزعنى الشاب من صدره وأعطانى للفتاة وهو يقول (اليك هديتى ، اليك زهرة الحب ، اليك نبع الذكرى والوفاء) فأمسكت بي ووضعتنى فى صدرها .

ثم دق الحارس الناقوس وسمعنا صفير القاطرة تتأهب للرحيل فسالت دموع الفتى والفتاة وتعانقا مرة أخرى ثم سار القطار بين المروج الخضراء .

كنت فى حديقة القصر زهرة الحسن والجمال فأصبحت على صدر الفتاة زهرة الحب ونبع الذكرى والوفاء .

جاست الفتاة فى غرفة من غرف العربة وهى تلتصقنى وتضمنى وتبللنى بدموعها ولم يكن فى الغرفة سوانا فحدثتني الفتاة قائلة . (يا زهرة الحب ويا نبع الذكرى والوفاء . لقد حكم الدهر بينى وبين

من أحب لفراق أخاله أدياء، هو غني وأنا فقيرة هو سعيد وأنا تامة
وحرام أن أهدم سعادته وأحطم آمالي عليه . ولكنني صادقة الوعد كريمة
المهد وسوف أفى له بمهدي . تلك يمين بررت بها . وأمنيتها على
الصدق) .

ثم وقف القطار في محطات كثيرة الى أن وصل الى محطة صغيرة
نزات فيها الفتاة وهي نحمانى على صدرها

وسارت في طريقها الى أن وصلت الى دار حقيرة صعدت سلمها
فتقابلتها امرأة عجوز وتعامتا عناقا طويلا ثم قالت الفتاة (لقد أتيت
يا خالتي اليك وفي دارك القى عصا ترحالى . لم أنجح في المدينة فأثرت
أن أعمل هنا في البلدة الصغيرة) ومكثتا يتحدثان الى أن أقبل الليل وآوى
كل الى مضجعه . مسكينة تلك الفتاة لعلها يتيمة لا أب لها ولا أم

مر يومان على هذا الحادث فدخات الفتاة في نرفتها وهي صاحكة
السن وفي يدها مكتوب

ثم انتزعتني من لفائف القطن التي وضعتني فيها خوفا على أن أذبل
وأمويت وقرأت أمامي الخطاب ثم قالت (يا زهرة الحب ويا نبع الذكرى
والوفاء ، هالك كتاب من أحب . انه يقيم على وعده وحاشا لمثله أن
يفدرني) ثم تنهدت وسحت أجفانها بالدموع وقالت (أمل لا يطول .
هو غني وأنا فقيرة ، هو سعيد وأنا تامة وحرام أن أهدم سعادته وأحطم

آمال أنيه) ثم جلست القر فضاء وقالت (أين أنت يا أمي أين أنت يا أبي)
وأعادتنى الى لفائف القطن وخرجت من العرفة
مسكينة تلك الفتاة أنها حقاً يتيمة لا أب لها ولا أم

- ٦ -

لبثنا ثلاثة اشهر والخطابات لا تنقطع ، تارة تسمعنى الفتاة خطابات
حبيبها وطوراً تتلوع على خطاباتهما قبل ان تضمها فى صندوق البريد ، ثم
دخات غرفتها فى صبيحة يوم من الايام وقالت لى بعد أن انتزعتنى من
لفائف القطن (يا زهرة الحب ونبع الذكرى والوفاء ، بدأ الحبيب أن
يعمل الكتابة . لقد تأخر خطابه وقديماً يتولى النسيان نكث العمود)
ثم بكت وارسلت زفراتها وسمعت شبيهة ما يتردد فى صدرها الخافق .
مسكينة تلك الفتاة لقد بدأت أن تستيقظ من حلمها اللذيذ .

- ٧ -

ومضت ثلاثة أشهر أخرى فدخات الفتاة فى غرفتها وقالت لى
(يا زهرة ال . . . ونبع الذكرى والوفاء . معذرة ايها الزهرة الذاباة اذا
إذالم أدعك بزهرة الحب فقد جف عوده وتهدمت اركانها . لقد نسى
الحبيب غرامه ونكث عهده وما قلب الرجل إلا كاطائر يتنقل من
غصن الى غصن) .

ولم تبك الفتاة ولكنى رأيت وجهها أصفر اللون وصدرها يعالو
ويهبط وقرأت فى عينيها سطاراً خطته يد الألم الصامت والهم الدفين .
مسكينة تلك الفتاة لقد انقضى حلمها اللذيذ .

- ٨ -

أنا لا أسكن الآن لفائف القطن ولكني أسكن صدر الفتاة .
إنها لا تفارق سريرها الآن . لقد دب في جسدها النحول وغارت عينها
الجميلتان وخفت صوتها الساحر وأصبحت كالجنسة الهامدة لا تتحرك
إلا إذا مدت يديها إلى التستشق من غلائي الذابلة ببقية أريج ذلك
الحب القديم .

- ٩ -

اليوم ناحت النائمات ودوى في المنزل الصغير صراخ تلك الخالة
المسكينة . اليوم حملوا جثة الفتاة وساروا بنعشها بين الحقول إلى أن
وصلوا إلى المقبرة وهناك وضعوا القمأة في حفرة مظلمة ووضعوني على
صدرها ثم أهالوا التراب علينا .

ونثروا على القبر زهوراً قليلة ولكنهم بللوه بدموع كثيرة
(١٦ يناير سنة ١٩١٩)

الهرم الأكبر

يطل على القاهرة من شاهق كأنه رسول مجدها القديم .
على صخور العابسة ، وعلى رماله الصفراء كتب الدهر بمخالبه
السوداء تاريخ مصر .

وهشم الجبهة منعض العينين يلتحف السكون والجلال .
هو تمثال الحقيقة حلوة كانت أو مرة .
منه عرفنا مجد مصر القديم ومن بابه نسمع أناتها المتتابعة .
عارى الجسد أسمر اللون يحمل في صدره آلام الأيام .
لم يضق صدره بالمصائب ولم تذرف محاجر دموع الأواء .
ثابت الجأش لم يتحول عن مكانه القديم ولم تسلب بعد دماؤه الحمرء .

في سفحه تشعر النفس بالهيبية والحزن .
هناك تذهب الأم الثاكل لتندب أولادها .
وهناك يذهب العاشق ليبيكى عشيقته .
وهناك يجلس الشاعر على صخر أصم يذكر مجد بلاده الضائع .

عليه مسحة من الجمال لا يعرفها إلا كل فنى .
منه تستمد أنفس المجاهدين قوة هائلة .
ومنه ينبثق على مصر في جنح الليل شعاع الأمل .
هو كتاب الوطنية .
على صفحته الأولى كتبت الحقيقة من ذهب : مصر المصريين
(١٣ نوفمبر سنة ١٩١٩)

الكتاب الثالث

الأدب والاجتماع

مجموعه مقالات أدبية واجتماعية

مكتبة
عبدالله بن
عبدالله بن
عبدالله بن
عبدالله بن

الخوف من الحياة

مصر بلد شرق دخله الاورباويون ودخله مهم تدبهم الغربى .
واقدا أحس أهله بذلك التيار الجارف فأرادوا مقاومته جهدهم فضعفت
همتهم وكلت عزيمتهم ولم ينفعهم ما ورثوه عن آبائهم من التجارب ،
ففقهموا أن ما بين أيديهم من العلوم وبالأخص العلوم العملية لا ينفعهم
للمجارة هؤلاء القوم ولهذا أرادوا أن يقفوا على كنوز الافرنج فبادروا
بارسال أولادهم الى أوروبا ليقتطفوا ثمار العلم ويعودوا بها الى بلادهم

ولقد انتشر المصريون في انكلترا واسكتلندا وفرنسا انتشاراً هائلاً
حتى انه أصبحت لا تخلو كلية واحدة منهم . ولهذا أماننا ابلادنا خيراً
عاجلاً وسائناً الله تحقيق هذه الآمال

واكن نجم ذلك الامل الكبير بدأ بالافول لان الباحثين
عن الحقيقة وجدوا أن الحركة الجديدة المباركة لم تمش الا في ثلاث طرق
كثير عدد من مملكتها من المصريين

أصبحنا لا نذهب لاوروبا لتعلم ما فقدته بلادنا من العلوم النفيسة
بل نحن نحمل متاع السفر وشدائد الغربة لنكون أطباء أو مهندسين
أو قضائين فقط ورغبتنا الكبرى في ذلك أن نجد لنا مركزاً في
الحكومة يضمن لنا مستقبلاً لا تحفه متاع الحياة

هذا هو المرض الجديد الذي حل بنفوسنا وأصبح عقبة كئوداً
في سبيل تقدمنا ونجاحنا

ماتت في نفوسنا عزيمة المخاطرة في الحياة . ولهذا أردنا أن تعلم
عاماً بعيداً عن كل المجهودات الشخصية ولقد استاصل في نفوسنا حب
التوظف في الحكومة لانا أصبحنا نخاف جهاد الحياة

قصرنا همتنا على تعلم القضاء والطب والهندسة لاستفادنا بأن
الحكومة تفتح أبوابها إذا أتيناها حاملين شهادات هذه العلوم ونسينا أن
بلادنا التي تنألم من تعاستها والتي ترزح تحت أحمال الشقاء تستغيث
صارخة ولكننا نضع أصابعنا في آذاننا كي لا نسمع أنينها وذلك لانا أصبحنا
نخاف الحياة .

الرجل خالق في هذه الحياة ليعمل فإن نجح استحق الثناء والفخر
وان خسر كان جزاؤه اللوم وهو في الحالتين سعيد لان التمس هو من
قضى حياته دون أن يمدحه أو يلامه أحد . ولقد قال عن هذه الفئة دانتى
الشاعر التليانى الشهير « هؤلاء قوم قد طردتهم الجنة لانهم يتسدون
جمالها ولم يقبلهم الجحيم لان مجرميها يفتخرون بهم » ولقد كتب عنهم
هنرى برود السكاتب الروائى الفرنسى الشهير « الحياة دار عراق وموارد
الرزق فيها كثيرة ولكننا لم نعرف بعد كل هذه الموارد أو نحن نتعافل
عنها لانا نخشى أن نسلك الطرق التي توصانا اليها لانها محفوفة بالاختار
والمخاوف ولهذا تركناها لقوم غيرنا سلكها منهم الا كثرون فوصلوا
الى أمنيتهم وفازوا بمطلوبهم »

في أوروبا مدارس لم يدخلها مصري بعد أو دخلها القليلون . لا نجد
أحداً منا يدرس الكيمياء العملية أو الكهرباء أو علوم الهندسة والزراعة
أو العلوم الفلسفية وكاننا لا نريد أن نتعلم هذه العلوم النفيسة لانا نخشى
أن لا نعيش بها في مصر وذلك لأنه ليست لنا ثقة بنفسنا ولأننا
لا نقدم على عمل لا تدفعنا اليه الحكومة .

حرام على نفس المصري أن تكون محرومة من الاقنمام بلا
مساعدة من كبير . حرام على المصري أن يخاف الحياة ولا خوف من
الحياة . أصبحنا نلتصق بالتوظيف حتى أن من درس منا التجارة بحث له
عن خدمة في بنك مع أن أخاه السوري يسافر الى أمريكا ويشتمغل ولا
يخاف الحياة . ومن درس منا الزراعة يسأل كل يوم عن اليوم الذي ستنشأ
فيه نظارة الزراعة بدل أن يقضى وقته في أرض له أو في أخرى
يستأجرها ليعمل فيها تجارياً التي تثمر له يوماً ما ثمرة تعود عليه وعلى
وطنه بالنفع العميم .

تجد الأب منا يود أن لا يفارقه ابنه وتجد الابن لا يبحث عن كسب
رزقه خارج بلده . يظن المصري أن حب وطنه هو المكوث فيه وبعد
الاباء أبناءم الذين يتركونهم للعمل في بلد غير بلادهم خائنين الوطنيين والدين
كارهين عوائد بلادهم عاشقين قوماً لا ينتسبون اليهم .

ثمانون في المائة منا في أوروبا يدرسون الحقوق والاقتصاد والسياسة
وبلادنا أشد احتياجاً للعلوم العملية منها لهذه العلوم . أنا لا أريد أن أتترك
العلوم الادبية ولكني أريد أن أتعنى بالعلوم العملية أيضاً حتى تتقدم حالة

بلادنا الزراعية والتجارية والمالية وهذا ما قلته رئيس جمهورية الصين يواى
شى كاي عن أهل بلده فى حديث له مع أحد مراسلى جريدة الطان
وكانه تكلم عن لسان المصريين لان هذا الداء الذى تفشى بيننا قد تفشى
من قبل بينهم . قال : « أنا لا أفكر فى ترك الآداب كلية ولكن أجد
الآن أن ثمانين فى المائة من شباننا يدرسون القوانين والعلوم السياسية
وبها يضيعون أوقاتهم فيما لا فائدة منه . فالواجب على الجمهورية أن ترمى
بأنظارها الى الاشياء العملية كالعلوم الصناعية مثلا وذلك لزيادة ثروة
البلاد خصوصا فى أراض كأرضى الصين تكثر فيها الكنوز »

أجل إن البلد الذى تبطل فيه الحركة الأدبية يكون كالجسم الذى
يعيش بلا قلب يحس ويشعر . ولهذا وجب على كل أمة أن تكون لها
هذه الحركة ولكنه لا يجب أن يتسبب عنها التقاليد والخوف من
الخورض فى مضمار الحياة ثم الشكوى بعد ذلك من أن الاجنبى اغتصب
البلاد وأدارها ونهب ثروتها وخيراتها واستخرج كنوزها
لم نجد كل الشركات فى مصر اجنبية ؟ لانا نخاف أن ننشى لأنفسنا
شركات . ولماذا نجد أموالنا فى أيدي الافرنج ؟ لأنه ليست لنا مصارف
وطنية

نحن ندافع عن أنفسنا كما يدافع العاجز عن نفسه فيكثر كلامنا
ويقل عملنا . والأجنبى لا يتكلم ولكنه يعمل وعمله خير سلاح يدفع
به غاراتنا

ربما ظن البعض انى أدافع عن الافرنج أو انى عاشق لهم متفان فى

نحبهم والله يعلم أنى أدافع عن الحقيقة وأبسطها أمام أعيننا كي نشعر يوماً بتأخرنا فيه من التأخر والتقهقر لمحب من نؤمننا العميق مرة واحدة ونعمل لمجاراة الاجنبي ثم للفوز عليه . فمتى تحقق هذه الآمال ومتى يرمى المصرى وزراء ظهره السككلى ومتى يتقدم على الحياة غير هياب لاخطارها ومتى يقال عنه أنه لا يخاف الحياة ؟؟

(ليون ٧ نوفمبر سنة ١٩١٣)

الافكار القديمة والحديثة

فلان يمشق الكتب القديمة ولا يتصفح سواها يتغنى في المجالس بما تحويه بطونها ويستشهد في كتاباته بجليل حكمها فهو في نظر الناس عالم فاضل مطبوع على البيان متفنن في ضروب الخطاب . إن تكلم كان بسيط اللسان رحيب المجال وإن كتب كان مليح الفصول رائق الفقر . ان آتيته برأى يخالف رأيه أو غرت صدره واقتدحت غضبه قرماك بالجهل والتمدى على العلماء السالفين الذين لا تالحق آثارهم ولا يشق غبارهم . وإن جئته برأى جديد لم يسمع به أحد من قبل قال عنه أنه غامض مبهم تخامرة فيه الشكوك وتجاذبه الظنون . هذا هو شأن كثير من علمائنا الاجلاء الذين نشأوا في جو القديم فعز عليهم أن يطرق آذانهم الجديد . يظنون أن آباءنا وأجدادنا عاشوا في عصر كان العلم فيه زاهراً خرام

علينا نحن أبناء عم أن نقض رأيا اتفقوا عليه وأن نجادلهم في قضية أثبتوا
صحتها في كتبهم فليلق كل منا سلاحه أمام أدلتهم وبراهينهم مهما كان
وثيق الحججة شديد اللداد .

وفلان يحترم آراء السالفين ويحل أعمالهم وسعيهم في تحقيق كل ما
وقع تحت عيونهم ولكنه يود أن يكون له بعض ما كان لهم من
الحرية في البحث والتنقيب حتى يحىء الرأي الصائب ويموت الرأي
الواهن مهما تسابرت أهواء الناس على صحته . كل له الحرية في البحث
وليس من العار أن يأتي الانسان بفكرة شجدة لها غرار رأيه واثبت
له غيره أنها غير صحيحة وانما العار كل العار أن يستقصي الانسان في
البحث عن رأي جديد ثم يرضن به على قومه أو يضرب عنه صفحا لأنه
جديد لم يتفق على صحته أحد من السالفين .

لم يزل العلم في جو الطفولة بالرغم مما أتى به علماء الماضي والحاضر
والحقيقة التي اتفقنا عليها ما زالت تحيط بها الشكوك والظنون فأنت
تمسكنا بالتقديم كنا كمن يريد أن يوقف تيار العلم أو كمن يتنجس عن العمل
لسواه فيدبقه الى التحقيق والبحث قوم آخرون ويرجع هو وقومه
القمقري أمام أقدام الآخرين وانه لعار علينا في القرن العشرين أن لا
نفيق من رقدتنا الطويلة بعد أن رأينا ما صنعاه الغربيون في سبيل احياء
العلوم وتحقيق كل غامض فيها .

لا نزاع في أن الفكرة الجديدة جميلة وإن كانت غير صائبة . أنت
بلا شك تستبجح الجديد لأنك تفاجأ به تلى غرة قبل أن تأخذ له عدتك

وتسحب له ذيلك والكذلك في حل من أن تصدغه وتستورضحه وتغاب فيه خواطرك حتى تفرق في البحث فتقف على مكان الضعف والقوة فيه وتكون حينئذ حراً في قبوله أو رفضه .

وأى خطر يدام الأمة إن هي فوجئت بأراء جديدة ؟
لا مشاحة في أن كل رأى صائب يبقى رغم أنف كل مستهجن له وأن كل رأى فاسد يضمحل ويموت وينسى مهما كان معززاً ومهما اتعدي صاحبه في ضلاله وغلا في جهالته . لا تخف إن عاش الرأى الواهن حقبة من الدهر لأنه يعيش وهو مهتد الى أن يتغلب عليه الرأى الصائب وما الدنيا إلا ميدان عراك يتصارع فيها أصحاب الحقيقة ومحبذو الجهالة والله نصير الحق فلا يلبث كل ذى صواب أن يفوز ولا يلبث كل ذى خطأ أن يلقى عناءه ويقصر عن باطله فتظهر الحقيقة ناصعة للناظرين .

١٠ أغسطس سنة ١٩١٧

المجمع اللغوى

يقرأ الاجنبى ليتعلم ويتعلم المصرى ليقرأ وفي ذلك ما يدعو المصرى لاعمال الفكرة حتى يرتقى بانتميه الى مصاف اللغات الاجنبية . ويجد الاجنبى لسكل مخترع جديد كلمة يستعملها في كلامه وكتاباتاه بعد أن يصفاها لسانه ، ويقف المصرى حيال ذلك وقفة العاجز لا حول له ولا

قوة ، فيعمد لوضع كل كلمة جديدة بين قوسين إذا جاءت ضمن كتاباته .
تلك هي الصعوبات التي تعثور طريق كل كاتب مصري والتي من
أجلها ألف المجمع اللغوي جاء ما تحت لوائه المعمم والمطربش والتي تأمل
أن يزيلها في القريب العاجل .

فكر المفكرون قبل ذلك وتضاربت في ذلك الافكار والآراء
فمنهم من ذهب بفكره بعيداً واراد تغيير الجروف العربية الى حروف
افرنكية تسمح بكتابة الحرف المتحرك *Voyelle* حتى لا يجد القارئ
صعوبة في القراءة فيقرأ صحيحاً ثم يتكلم صحيحاً .

لا مشاحة في أن الفكرة صائبة ولا مشاحة أيضا في أنها ضربة
قاضية على الشخصية المصرية التي يسمى اليها كل وطني صادق الوطنية
ولهذا قوبلت تلك الفكرة المضرة المفيدة بالاعراض وحق لنا أن
نعرض عنها ونضرب بها عرض الحائط .

ومن المفكرين من فكر في كتابة الحرف المتحرك المصري وأعنى
به الـ « أ ، و ، ي » فنكتب كلمة (كتب) مثلا هكذا (كاتابا) وإذا
صادفنا كلمة كانت تكتب فيها هذه الاحرف الثلاثة من قبل وضعنا
المدة كما يضع الافرنج الـ (Accent) فنكتب مثلا كلمة (كتاب)
هكذا (كيتاب) ونكتب كلمة (محفوظ) هكذا (ما محفوظ) وبهذا
يتسنى لنا أن نكتب كما نتكلم وأن نقرأ صحيحاً ثم نتكلم صحيحاً .

ومن المفكرين من فكر في وضع الشكل في كل ما نكتب ومنهم
من فكر في وضع الشكل على الأحرف التي يلبس على القارئ نطقها

فلو صادفنا مثلا كلمة (خاوى) وقفنا ونحن لا نعرف أنطقها بضم
الخاء أو بكسرها فلا بأس اذن من وضع الكسرة تحت الخاء حتى
ننطقها صحيحا .

كل هذه الأفكار صائبة سيفكر فيها المجمع الجديد وينتخب منها
الأسهل والأصح بل وسيفكر أيضا في آراء جديدة ربما كانت أسهل
مثالا وأقرب للصواب والصحة .

أما مسألة الالفاظ الجديدة المأهولة التي تخالو منها اللغة العربية
فأما لنا باب الاشتقاق و باب التعريب وعندنا من الكلمات القديمة
المهجورة ما يصح أن نطابقه على كل لفظ جديد لا نجد له مرادفا عربيا
على أنى لا أريد أن نأبى استعمال اللفظ الأفرنجي اذا صقله اللسان وفي
القرآن دليل ساطع على صحة قولى اذ فيه من الالفاظ الفارسية ما يسوغ
استعمال اللفظ الأفرنجي وليس يعار على اللغة العربية وان كانت أغنى
اللغات وأوسعها أن تدخل فيها الالفاظ الجديدة الأفرنجية ، وما من لغة
حية قائمة بنفسها دون احتياجها لمعونة اللغات الأخرى . وعلام تنف أمام
اللفظ الأفرنجي نعاذبه ونأبى استعماله بعد أن صقله اللسان . اللغة هي ما
يتكلم به اللسان فله اذا نستعمل اللفظ المهجور ونأبى استعمال اللفظ السهل
ان كان إفرنجيا .

أنا لا أقول بهجر الالفاظ القديمة ويا حبذا لو بحثنا عنها وعرضناها
على الكتاب والجمهور فان صادفت استحسانا أستعمات وان عجزت
الدوق أهمات .

فواجب المجمع العلمى حياىل ذلك أن ينتقى اللفظ الذى يرضاه الجمهور وإلا أعرض الناس عن الفاظه وكان عمله بلا فائدة ولا نفع وكم من كلمة افرنسية كانت من لغة (الآرجو) أدخلها المجمع العلمى الافرنسى فى القاموس وأصبحت افرنسية يستعملها الكتآب والشاعر .
ويا حبذا لو أرسل الله لمصر كتآباً محبوباً تقرأ رواياته الناس أجمعون يستعمل الالفاظ التى صقلها اللسان والالفاظ السهلة القديمة حتى يعود عليها القارىء وبآلفها بعد نفوره .

هذا ما يتحدث به الناس فى المنتديات وفى بيوتهم ويا حبذا لو ضم المجمع بين أعضائه المشرع والطبيب والمهندس والزراعى والتجارى حتى يتعاون الاعضاء على وضع الالفاظ الجديدة العلمية ويكون وضعها صحيحاً لا تشوبه شائبة .

هذا ما أردت كتابته على صفحات السنور وبانى آمل أن نجد فى المجمع المصرى أمنية كل محب لبلادده غيور على لغته وليس هذا ببعيد على أعضاء النادى الكرام .

١٨ يونيو سنة ١٩١٧

شخصيتنا

يقولون عن المصرى أنه عاجز عن القيام بعمل هام تحفه المخاطر ؛ وإن أقدم عليه لا يلبث أن يرجع القهقرى بعد أن يسير فى طريقه قليلا

تاركا مشروعه في يد الأهمال ثم الموت . هذا ما يقال عن المصري في كل بلد وهذا ما أثبتته التجارب ، وإنها حقيقة مرة تؤلم النفوس الحية ولكننا لا نسمنا إلا الاقرار بها لأن الأقرار بالضعف قوة ربما نتجت نتيجة حسنة تعود بالخير والمنفعة . تقول الناس عن المصري ذلك ومنهم من يجد السبب في الجهل الضارب أطا به على سواد المصريين ومنهم من يجده في تأثير الطقس على نفوس المصريين ومنهم من يجده في غير ذلك . وقل من يجده في جهل المصري لشخصيته و جهل الشخصية هو الباعث الأقوى على عدم الاعتماد على النفس وعلى الاتكال على الغير والاتكال على الغير يسوق المرء الى هوة الموت الأدبي التي ترقد فيها النفوس رعدة طويلة لا تستيقظ بعدها لأى عمل نافع

ليس الجهل هو السبب في فشل المصري فكم من أمة جاهلة ارتقت تدريجيا الى مصاف غيرها من الأمم المتعلمة وليس الطقس هو السبب في خمول المصري وكسله وكيف يكون الطقس سبب ذلك والأجنبي يعيش معنا تحت السماء التي تظللنا ولكنه يعمل ونحن ننام

نحن قوم انا تاريخ جمعنا نعيش به في بقعة من الأرض حدودها معاومة للأجنبي وللوطني . ولنا لغة واحدة تتفاهم بها ، بل ولا جسامنا لون واحد يكاد يكون عاماً ، فنحن إذا أمة حية تعرف ما عليها وما لها ويحق لكل فرد من أفرادها أن تعرف أنه مصري يعيش لمصر ويحيى من أجلها ، حتى إذا عرف ذلك كل المعرفة أمكنه أن يعتمد على نفسه في أى عمل يقوم به . هذا مع الأسف ما ينجمه عامة المصريين أسا الشبيهة

منهم فقد ابتدأت في فهم ذلك بل في خلع ذلك الرداء الرث وارتداء تلك الحلة الجديدة الجميلة التي يحق لهم أن يترينوا بها في كل عمل يعمون بادائه لأنفسهم أو لوطنهم وأداء العمل الشخصي بما يقضى به الواجب هو في الحقيقة أداء جزء من العمل الذي يتطلبه الوطن .

ربما كان في فهم الشيبية المصرية للشخصية المصرية بعض من التقايد والتصنع ولكنه إن لم يتحول عاجلا إلى طيبة محمودة وغريزة في النفس فسوف يتحول آجلا في نفوس أبناء هذه الشيبية ويصبح غريزة تصحب النفوس من ساعة أن ترى العيون نور السماء .

هذا ما أريد كتابته للشيبية بل هذا ما ألفت أنظار الكتاب له حتى تبلغ بهم مصر غايتها المنشودة
(١٠ أغسطس سنة ١٩١٨)

أمرأؤنا (١)

كان لمنشور الأمراء في الأسبوع الماضي وقع جميل في صدور الناس جميعاً كبيرهم وصغيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، رفيعهم ووضيعهم . وجدنا أمتنا المصرية قد انتعشت منها القلوب ساعة تلاوة المنشور ووجدنا الجرائد

(١) كتب هذا المقال بمناسبة انضمام أمراء البيت السلطاني لصف

ينشر البرقيات من جميع أنحاء القطر ثم قرأنا برقية عميد الوطنية سعد باشا
زغلول يهنئ فيها الأمة بهذا الفوز الجديد الذي أثبت للعالم أجمع أننا كتلة
واحدة لا تؤثر فيها المؤثرات ولا تتغلب عليها الصعوبات والعقبات .

نحن لا نندعش لفرح الأمة وإعتباطها بذلك المنشور الكريم ولا
ندعش لما قامت به سلالة البطل الكبير محمد علي منقذ مصر من الدمار
والخراب .

أجل نحن لا نندعش لكل ذلك ولكننا ندعش لامر آخر وهو
أننا نرى الأمراء في كل بقعة من بقاع الأرض بمعزل عن بني جلدتهم ،
يعيشون عيشة لا تتفق مع روح الديمقراطية التي أصبحت دين للناس
في العالم المتقدم ، ويصاحبون جماعة من جو لا يلائم الجو الذي تعيش
فيه بقية الناس ، ويضمنون على وطنهم بالخدمات التي ربنا يعجز غيرهم
عن أدائها . فهم في واد والناس في واد .

هذا هو المعروف عن الأمراء أما أمراءنا فقد جاء منشورهم طبق
مرام الأمة بل رأينا فيه روح الديمقراطية تجلي للعيون كالشمس في
رابعة النهار .

اليوم نفتخر بأننا ديمقراطيون جميعاً متحد سويًا وتكاتف في سبيل
تحرير مصر تلك البلد التي لم يرتكب أهلها جريمة غير حبهم لها وتفانيهم
في خدمتها .

أما أمراءنا فقد أثبتوا للعالم أنهم مصريون قبل كل شيء وكيف لا

يكونون كذلك وقد تنفسوا هواء مصر وأكوا طعام مصر وشربوا مياه مصر . فوقفوا حياتهم على خدمة مصر بعد أن ضموها صدورهم لصدور الشعب والشعب يفدى صدورهم بأرواحه .

هذه هي سلالة محمد علي الذي جاء الى مصر ليتخذها موطناً يعمل ويكد لا تقاذه من الدمار ، هذه هي سلالة محمد علي الذي نبغ منها ابراهيم القائد الحربى الذى هزم الأتراك فى ربوع الشام وخلص لمصر مجداً لا يساويه مجد والتى نبغ منها اسماعيل الذى أدخل التمدن الحديث الى مصر ولذا قال (اليوم أعد بلدى جزءاً من أوروبا) .

ونحن لا نسمعنا فى هذا المقام إلا أن نهنى أمتنا المصرية بفوزها الجديد ونهى أمراءنا الكرام بما نالوه من الثقة فى نفوس الأمة ولتحي مصر وليحي الأمراء وليحي الاستقلال التام

(١٥ يناير سنة ١٩٢٠)

العام الجديد

نستقبل العام الجديد بقلوب قوية وأوجه باسمته مستبشرة يملوها الفرح والسرور . وكيف لا يكون أمرنا كذلك وقد اتفقت كلمتنا واتحدت قلوبنا وظهرت شخصيتنا المصرية أمام الأمم واضحة جلية تحمل فى يدها علم مصرى ، علم الاخاء والثبات والحرية والاستقلال .

اليوم باسم انا نغفر الامل من بعيد فعسى أن يكون عامنا الجديد
تتحقق فيه أمنيتنا فيبسم لنا نغفر الامل من قريب .

ولقد عشنا نحن المصريين حيناً من الدهر بغير أمل ، لأننا كنا لا
نعتمد على أنفسنا ونخاف الثبات في كل أعمالنا . ولرب قائل يقول وهل
يعيش الانسان من غير أمل ؟ الطفل في حجر أمه يأمل أن ترضعه نديها ،
والصبي في مكتبه يأمل أن يخرج الى الهواء الطلق ليلهو مع رفقة ،
والشاب يأمل أن يقترن بمن يحب ، والرجل يأمل أن يكتسب ما يقوم
بأود أسرته ، والشيخ يأمل أن يرى أولاده قد سلكوا في حياتهم طريقاً
شريعافاً يرفع أسماءهم الى أوج المجد فيعلمو شأنه أيضاً ويموت قريح العين
باسم الثغر . فالامل غريزة في النفس والمصرى أيضاً ذا أمل في الحياة .
ونحن لا ننكر ذلك ، وهل ننكر الحقيقة التي تراها العين وتكاد
تلمسها اليد ؟ ولكننا لا نتكلم في هذا المقال عن الامل الشخصي الذي
لا يعود على صاحبه إلا بالفوز الشخصي أيضاً . ولكننا نتكلم عن أمل
المجموع ، عن أمل الامة بأسرها ، ذلك الامل الفتي الناهض الذي يهز
القلوب دفعة واحدة . فان تحقق ، وجدت الوجود من الاسكندرية الى
اسوان باسمه مشرقة تقرأ فيها آيات السرور والغبطة .

هذا هو الامل الكبير الذي كنا نجهله حيناً من الدهر ، وما جهلناه
إلا لأننا كنا لا نعتمد على أنفسنا ولا بركن المصرى منا الى أخيه
المصرى . وويل هذا الامل لا يتحقق إلا بالثبات ، وأين هو الثبات اذا
كانت القلوب متنافرة لا تقر على رأى .

هذه هي صفحة ماضينا ، ذلك الماضي الاسود الذي كنا ننام فيه على فراش من حرير خبأوا لنا في ثناياه الشوك ، والذي كنا نشرب فيه كأساً من العسل خلطوا لنا فيه السم . عشنا حقبة من الدهر ونحن على هذا الحال لا يخرج أماننا عن دائرة حاجياتنا الشخصية ، لهذا لم نعرف غير الفشل في جميع مشاريعنا ولهذا سرنا بأنفسنا الى حافة الهاوية تلك الهاوية العميقة التي تموت فيها الشخصية بعد ان كانت يانعة زاهرة ، وكاد أن يسدل الدهر ستاره الكثيف علينا وعلى تاريخنا الزاهر ، ذلك التاريخ القديم المجيد ، الذي تجلى فيه شخصيتنا من عهد ميناء أول ملوك مصر الى عهد اسماعيل خديوها الأسبق . ذلك التاريخ تنطق صفحاته بما لا يقينا في حياتنا من سعادة تنشرح لها الصدور وتقر لها العيون ، ومن الألم تتأف لها القلوب لازالتها ومحوها ، وما السعادة والألم إلا الرباط الحيوى الذى تقوم به الامم الى ذروة المجد .

أما الآن فقد اعتمادنا على أنفسنا وتأخينا بعد أن تصافت قلوبنا ، وعرفنا أن الألم الذى يعذيب المصرى فى أى بلد من بلاد الله يهتز له فؤاد المصرى فى أى بلد آخر . اليوم عرفنا الأمل الكبير ذلك الأمل الذى يرتكز على الاعتماد على النفس وعلى الثبات لهذا تجدنا سائرين فى طريق هذا الأمل ونحن واثقون من الفوز والنجاح وكيف لا ننجح ولا نفوز وقد قادتنا شخصيتنا فى هذا الطريق .

اليوم عرفنا بل أردنا أن نضحى وآماننا الشخصية فى سبيل ذلك الأمل الكبير ، أمل الامة بأسرها . وما أجمل أن نشرب الماء الآسن

ونأكل الخبز الاسود ، وننام في العراء ، وإذا وجدنا كلمة منا قد اتفقت ،
وقالوا بنا قد تأخت ، وآمالنا قد تحققت .
حقق الله الآمال .

(٨ يناير سنة ١٩٢٠)

نظرات في تاريخ مصر

(النيل في عهد الفراعنة)

تجلس في بيتك بين أهلك وأهلك وأهلك بعد أن تناول
معهم غذاءك ، تجلس جلسة طالب الراحة وتستسلم للتفكير وأنت
منشرح القلب مثلوج الصدر . لا ترى حولك من يعكر صفوك بعد
أن ملأت معدتك الجائعة من طعام أبتنته أرض مصر - والطعام هو
الغاية التي من أجلها يعمل الانسان ويكد - وما مصر التي تنبت هذا
الطعام إلا هدية النيل . فالنيل مصدر نعمتك ومنبع حياتك ولولاه لما
رأت عينك نور السماء . فما أجل أن نتحدث قليلا عن تاريخ ذلك النهر
الذي تفيض مياهه ذهباً عليك وعلى من تضيف من الاجانب .
عشنا حاول أجدادك الاقدمون الذين تجسد تماثيلهم في دار الآثار
وترى آثارهم . بعثرة في صعيد مصر أن يعرفوا منبع النيل . وعشنا حاولت
جيوشهم الظافرة أن تصل الى هذا المنبع وهي تقفني آثار القبائل

السوداء أو الخوشيت Khoushite ومارأوا فيه إلا نهراً عظيماً يشق
صعيد بلادهم فيجني أمواتها وكنزاً عظيماً لا يفرغ ذهبه فعبدوه وأطلقوا
عليه اسم المعبود حابي Hapi وحق لهم أن يعبدوا أباهم البر الرحيم . أما
الكهنة فلم تضق حيلتهم عن معرفة نبع نهرهم أستغفر الله بل بحرقهم لأن
أجدادنا كانوا يطلقون على النيل اسم البحر بدل النهر تجيلاً لشأنه
وتعظيماً لقدسه . تصور الكهنة — وقد أخطأوا في تصورهم — منبع
النيل في السماء ورأوا فيه مرآة تنعكس فيها مياه اللانهاية . تلك
المياه التي تجرى عليها سفن الآلهة . وظنوا أن النيل يبتدئ في الأرض
بين جزيرتي الابلقتين Elephantine وفيابه (أنس الوجود) Philae
من بين صخور الشلال الاول ، ولم يعجبوا لقيضانه في كل حول وكيف
يعجبون له وقد اعتقدوا أن مياه هذا الفيضان ما هي إلا دموع
المعبود ايزيس Isis أما الناس فقد خبطوا في أمر منبع النيل خبط عشواء
ودارت على سنتهم قصة لا نعلم مصدرها قالوا فيها أن البحارة المصريين
وصلوا وهم مسافرون الى مناجم الفراعنة الى منبع النيل في بلاد پوانيت
Pouanite أما تجار العرب في القرون الوسطى فقد توهموا أن النيل يتصل
بالحيط الهندي هذا هو اعتقاد الكهنة والناس وتجار العرب أيام الفراعنة
ونحن لا نرى فيما اعتقدوه إلا أوهاماً لا حقيقة لها بعد أن عرفنا اليوم
من أي نبع ينبع النيل .

أما الوجه البحري وهو ما نطابق عليه اسم الدلتا فقد كانت تغمره
مياه البحر الابيض . وما كان لمديرية الشرقية والدقهلية والمنوفية والغربية

والبحيرة أثر في الوجود بل كانت تلك القطعة من الأرض بجزراً عجايباً
تلتطم أواجه وتضل فيه السفن . أما مصب النيل فكان في شمال الأرض
التي بنى فيها أجدادنا فيما بعد مدينة منف وكان البحر الأبيض المتوسط
ياتطم مع الصحراء التي أقام فيها خوفو وكفرم ومنقرع الاهرامات . ثم
حمل النيل مع مرور السنين والاعوام الى هذا المثلث المائي طميه في كل عام
فتكونت جزر قليلة تحوت الى أرض تكثر فيها المستنقعات ثم نشأت
الدلتا من العدم وانقسم النيل فيها الى ثلاثة فروع تبتدىء من بلدة اسمها
كيريكسور Kerkusore الأول اسمه بيلوسياك Pélusiaque . متخذاً
طريق الشمال الشرقي الى صحراء الشام والثاني كانوبيك Canopique
متخذاً طريق الشمال الغربي الى صحراء ليبيا والثالث اسمه سيبنيتيك
Sebénnytique وكان يشق الدلتا الى قسمين متساويين ويصب في البحر
الأبيض ونشأ عن هذه الفروع فروع أخرى طبيعية وصناعية يتراوح
عددها بين السبعة والاربعة عشر .

أما مساحة كدلتا في نعلم ٢٣٠٠ كيلومتر مربع وتزيد تلك
المساحة في كل عام . واستنتج المؤرخون أن تكونها تم في مدة سبع
مائة وأربعين قرناً قياساً على أن الدلتا تزيد مساحتها متراً في كل عام وأن
هذا التكوين تم قبل ارتقاء منسا أول ملك مصر عرش بلاده بقرون
عديدة ويؤمن البعض أن هذا التكوين تم قبل أن يفتد الى مصر
الجنس المصري .

هذا هو تاريخ صغير لنهر النيل أيام القراعته أكتبه لمواطني ايفقوا

عليه وينتشوه على صدورهم إذ النيل كان وما زال وان يزال الى الأبد
كثرهم الذي به يحبون وبغيره لا يكون لهم أثر في الوجود ما

(١ يناير سنة ١٩٣٠)

الوطن^(١)

وطنك أيها المصري هو تلك الارض التي تعيش عليها والتي تمتد
من الاسكندرية الى اسوان . هذا هو الوطن إذا أردت أن ترى فيه غير
بقعة من الارض تأكل عراتها وتنفس هوائها وتضم رجاها عظامك
إذا فاضت روحك الى بارئها .

في جوف هذه الارض ينام مينا ورهسيس ومحمد على وفوق هذه
الارض ترى الأهرام وأبا الهول وتلك الآثار القديمة التي تفتخر بها مصر
فليس الوطن إذاً هو بقعة الارض بحسب بل هو تاريخك أيضاً ذلك
التاريخ الذي يضم شتاتك والذي ترى لأجدادك في بطونه صفحات
طاهرات .

وإذا نظرت أيها المصري لمواطنيك ألا تجد لهم لغة حية يتكلمون

(١) كتبت هذه المقالة في وقت احتفال المصريين بعيد الاستقلال

الموافق ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ .

بها ويكتبون . ما يحول في خواطرهم ألا ترى لهم لو نأخذ خصيصاً يبشرتهم
ألا تسمع لكلامهم نعمة مصرية تفرقهم عن السورى والغربى بل عن
جميع سكان الارض .

هذه حقيقة لا نزاع فيها .

وتراهم أيضاً . تنفق المشارب متحدى الاميال يسمعون لهدير النيل
أحياناً لا يعجب بها غيرهم . من الناس ويرون في زرقة سماهم جمالا غاب
عن أهل الأرض جميعاً فاللغة واللون والنعمة والمشارب والاميال وألحان
النيل وزرقة السماء كل هذه الاشياء هى الوطن أيضاً .

تراهم لا ينسون مصائبهم وآلامهم وإذا حلت بوادهم نعمة من
نعم الله قاموا جميعاً مع اختلاف دياناتهم يشكرون الله على ما أولاهم به
من نعم . وما النعم والمصائب التى تحمل بهم إلا رابطة قوية تربطهم ببعض
وهى أيضاً وطنهم العزيز .

فوطنك أيها المصرى ليس هو بقعة الارض التى تدبش عليها بل هو
كل ما يهيجس بخاطرك ويبرمجيتك من هو اجس السعادة والآلام .
من أجل ذلك قت أيها المصرى فى الثالث عشر من شهر نوفمبر
اتحتفل بعيد استقلالك خُسناً فعات .

ومن أجل ذلك ما زالت تعمل لنيل استقلالك ومن أجل ذلك
تحي وتموت .

والسفور وهو جريدة مصرية قبل أن تكون خصيصاً بالفنون
والآداب والاجتماع تحبب أمتها العزيزة وتقف فى صفها وتسال الله أن

يبارك الحركة المصرية ويمدها بروح من عنده ليظهر الحق واضحا جليا
وينقضى عهد الكاذب والألاعيب السياسية وتنال مصر استقلالها
التام .

(نوفمبر سنة ١٩١٩)

مدرسة القضاء الشرعي

فوجئ العلماء والادباء والكتاب والطلاب بين معمم ومطربش بخبر
كان المقطم أول من أذاعه ثم تناقلته الجرائد ألا وهو خبر مشروع اغلاق
مدرسة القضاء الشرعي . رددت الافواه ذلك الخبر فارتدت له الوجوه
وخفقت الافئدة وأصبح أمر اغلاق ذلك المعهد العلمي حديث الناس
في بيوتهم وأنديتهم وعلى القهاوى ولا نغالى لو قلنا في الطرق أيضا وفي
مركبات الترام .

وكتبت الجرائد كثيرا عنه ناشرة احتجاجات الطلبة ويسرنا أن
نرى في طليمة من كتب واحتج طلبة الازهر الشريف وسافر لمقابلة
دولة الرئيس ومعالي وزير الحقاينة وفد من أماتذة المدرسة .
وعادوا دون أن يقفوا على بيان صريح يروى غاتهم ويطفى أوارهم

(١) كتب المؤلف هذه المقالة على أثر اشاعة تداولتها الصحف بشأن

اغلاق مدرسة القضاء الشرعي .

هذا هو ما خص ما حدث ونحن نكتب اليوم حيا ل هذا الموضوع كالمعتاد .
أراد المرحوم الشيخ محمد عبده إصلاح الأزهر الشريف وحاول
تحقيق أمنيته ولكن الظروف حالت بينه وبين ما يريد . وليس لنا الآن
أن نبحث في سبب فشله خشية الخروج عن الغاية التي نرمى اليها في مقالنا .
ولما رأى المرحوم المفتي أن لا سبيل الى اصلاح الأزهر ففكر في إنشاء
مدرسة القضاء الشرعي وسعى لذلك ولكن المنية وافته قبل تحقيق غايته .
بيد أن المشروع لم يمت بموته بل ظل حيا في قلوب تلاميذه فلما تولى أمر
وزارة المعارف صاحب المعالي سعد زغلول باشا كانت أول حسنة من
حسنته الكثيرة هي إنشاء مدرسة القضاء . فانتقى لها خيرة الاساتذة
ووضع لها برنامجا يشمل العلوم الدينية والكونية وطلت المدرسة في عهده
وبعد منادرتة المعارف كعبية لطلاب العلم وأخرجت للأمة مجموعة من
خيرة أبنائها علما وأدبا ارتقت مناصب القضاء الشرعي وبرهنت عن
كفاءة كبيرة هي وأختها مجموعة الأزهر الشريف . فأى ضرر يعود على
الامة أو على القضاء من بقاء هذا المعهد الديني ورجال الأزهر الشريف
لا يرون فيه اعتداء على حقوقهم أو سلبا لها ! يقولون أن الأزهر الشريف
به عشرة آلاف طالب وأن مدرسة القضاء لا يزيد عدد طلابها عن أربعمئة
وأنها تعد جزءا من الأزهر الشريف فإذا أصلح الأزهر كانت الأمة في
غنى عن مدرسة القضاء وهذا هو سر تفكير الوزارة في مشروع اغلاق
المدرسة ونحن لانرى فيما يقولونه الصواب . هب أن الامر كما يقولون
فأى ضرر يعود على الامة إذا زاد عدد طلاب الأزهر بهذه النسبة

الصغيرة في معهد آخر بل أى ضرر يعود على الأمة لو فكر ولاية الامور
في إنشاء معهد ديني ثالث ثم رابع ثم خامس . . . بل أى ضرر على الامة
لو أنشأت الحكومة في كل عاصمة من عواصم المديرية مدارس للطب
والهندسة والزراعة والحقوق . يا حبيذا لو تحقق ذلك ورأينا العلم تزدهر
رياضه في كل بلد من بلاد مصر بل في كل قرية من قرأها . نحن نعلم
أن البناء صعب وأن الهدم سهل ، ومن الهين هدم مدرسة القضاء ولكنه
من الصعب بناء مدرسة أخرى . فإذا أغلقوا المدرسة اليوم ورأوا فيما
بعد الحاجة ماسة لها لا قوا الصعوبات في بنائها من جديد فنكون قد
خسرنا خسارة كبرى نحن في غنى عنها . أما ما يقولونه من أن الوزارة
لا تريد أن تكاف نفسها مصاريف لا فائدة منها فنحن نجل الوزارة عن
ذلك وهي التي زادت مرتبات الموظفين وتنازات عن جزء من أرباحها
في شركة الترام . فعات الوزارة ذلك إرضاء للجمهور وجدير بها أيضا أن
تفعل أكثر من ذلك إرضاء للعلماء والادباء والطلبة وهم زهرة الجمهور
المصرى . أما إشاعة أن الوزارة تريد إغلاق المدرسة انتقاما من ناظرها
فنحن نجل الوزارة عن ذلك . هما كانت وزارة ادارية أو سياسية أو ادارية
وسياسية معا .

وأمامنا الزمن وهو كفيف بتحقيق آمالنا

(٦ نوفمبر سنة ١٩١٩)

بول آدم

قليل من بنى مصر من يعرف الرواى الشهير بول آدم ويرجع ذلك لقلة من يعرف اللغات الاجنبية من أبناء هذا البلد الامين . أما الفئة التى درست تلك اللغات فقليل أيضاً من اخص منها بالآداب الغربية فلم نجد من بينها من أقدم على تعريب إحدى روايات هذا الكاتب الفاضل الذى يعده النقاد فى فرنسا من أئمة الروائيين . وواجب الصحافة الادبية أن تكتب لقرائها عن أئمة الكتاب فى كل بلد وعلى الاخص اذا اختطف الموت أحدهم فى الساعة التى نرى فيها أبناء جلدته فى أشد الحاجة لقراءة كتبه الجديدة .

من أجل هذا كتبنا هذا المقال .

توفى بول آدم فى صبيحة اليوم الثانى من شهر يناير وذهب ضحية الحمى الاسبانية التى لم تشفق منذ عام بأدمون رومان شاعر القرن العشرين . فالحق الرواى بالشاعر وابست فرنسا عليهمما الحداد . توفى بول آدم غير بالغ من العمر السابعة والخمسين فبكاه رجال الادب فى العالم أجمع وعدوا موته خسارة كبيرة على الآداب الفرنسية وقد قل عنه المسير دومينيك برجا فى مجلة أوروبا الجديدة (اليوم فقدنا أكفأ رواى فى القرن العشرين) .

لم يكن يدور بخلد بول آدم أيام كان فتى أنه سيصبح يوماً ما رواى

كبيراً وذلك لشدة ميله للسياحة والتدريج ذوود بعد وفاته بأن فقيدهم
كان يأمل أن يصبح يوماً ما مكتشفاً يجوب البلاد البعيدة والاقطار
النائية. بيد أن الجوال الذي نشأ فيه والتعاليم التي ربيت عليها نفسه حدث
به الى احترام القلم فكتب رواياته العديدة ولكنه كان ينتهز الفرص
ليغادر بلده الى بلاد أخرى يدرس حياتها الاجتماعية وحالة أهلها الخلقية
واشتهر برواياته الادبية شهرة كبيرة فأجله النقاد ورأوا فيه رجلاً يكاد
يساوي بلزالك شهرة ومجداً .

بدأ بول آدم حياته الادبية بالسير على آثار الروائي الكبير أميل
زولا صاحب المذهب الذي يطلقون عليه اسم (ناووراليست) وهو
المذهب الذي تتعمد فيه الكاتب وصف حياة الانسان بما فيها من عيوب
وقاذورات وصفاً يشمئز منه القارئ ولا تغالى لو قلنا يخجل منه الشيخ
الجرم . كتب بول آدم روايته الاولى (الجسر الناعم) مسالكاً طريق
(الناووراليست) فعده الكتاب عميد المذهب بمد زولا . ولكنه لم
يلت طويلاً في هذا السبيل وكتب روايته (عام كلاريس) مبتعداً فيها
عن مذهب زولا ومتقرباً من المذهب الرمزي Symboliste . جاءت
روايته وفيها مزيج من المذهبيين . ثم خلع عنه رداء المذهب الاول
وارتدى لباس المذهب الثاني وكتب رواياته (معركة هود . القوة
ابن استرايتز . تحت شمس يوليه . الحيلة . الثعبان الاسود) ولكنه لم
يسلك في المذهب الرمزي طريق الخيال فحسب بل سار خلف الحقيقة
أيضاً في كثير مما كتبه وما رواياته غير مجموعة من الافكار الواقعية في

قلب رومى ، واشتهر بقدرته فى تصوير ما تراه عينه فى عصرنا الحاضر
وما قرأنا فى بطون الكتب عن العصور السالفة .

ولم يقتصر على القسم الروائى الأدبى بل عالج باب التمثيل فكتب
روايته التمثيلية الأولى (الخريف) مع المسيو جبرائيل مورى وله من
العمر احدى وثلاثين سنة وصف فيها صورة حياة اعمال مضر بين انتهى
إضرابهم بسفك الدماء ثم كتب روايته التمثيلية الثانية (النحاس) مع
المسيو أندريه بيكار وهى صورة جليلة واضحة للحالة المالية فى أوروبا ثم
قدم للكوميدي فرانسيز روايته (ليويت) ولكنها لم تنجح إذ لم تمثل
إلا تسعة وعشرين مرة . ومات وهو يؤلف مع المسيو جبرائيل مورى
رواية اسمها (تانيت) .

ونحن نقدم للأمة الفرنسية تمازى الأمة المصرية ونأسف معها
لفقد هذا الكاتب العظيم .

المواكب

لجبران خليل جبران

ذهبت منذ أيام الزيارة صديق الفاضل أميل افندى زيدان صاحب
« الهلال » فوجدت بين يديه كتاب « المواكب » وكنت فى شوق
كبير للاطلاع عليه فسألته أن يبرئني إياه فأجاب سؤلى وجمت الكتاب

للبيت ولما فرغت من تلاوته فت للقلم لأكتب هذا المقال الصغير عن ذلك الكتاب النفيس شارحاً للكتّاب ما أحدثه جبران افندى في الأدب العربي من التغيير والتبديل وجبران افندى من كتّاب العربية وشعرائها الذين انتهجوا لأنفسهم منهجاً جديداً تجلت فيه شخصيتهم كالشمس في رابعة النهار .

جبران افندى خليل جبران شاب سوري غادر مسقط رأسه الى أميركا كما فعل كثير من السوريين وعاش في وطنه الجديد الى يومنا هذا محترفاً حرفة القلم فكتب في جرائده أميركا السورية وما لبث أن عرفه قراء العربية في كل بقعة من بقاع الأرض . عرفوه كاتباً بعد ان قرأوا كتبه «الأجنحة المتكسرة والأرواح المتمردة ودمعة وابتسامة ويوحنا المجنون» ثم عرفوه شاعراً بعد ان قرأوا كتابه الجديد «المواكب» ولكننا لانرى فيما كتبه جبران افندى من نثر وشعر غير قصائد خيالية أو حاشاها اليه خياله الراقى وروحه الثائرة المتمردة فهو في نظرنا شاعر وما نثره المتداول بين أيدينا الا قصائد منشورة لم يجاره فيها شاعر آخر . وإلى القارى شيئاً من نثره بل من شعره المنشور (خيم الليل بجنحه فوق المدينة وأبسها الثلج ثوبا وهزم البرد ابن آدم من الاسواق فاخْتبأ في أوكاره وقامت الرياح تتأوه بين المساكن كحُوبن وقف بين القبور الرخامية يرثى فريسة الموت) ألا يرى القارى في هذه الجمل المتناسقة التي يطلق عليها القراء كلمة نثر شعراً خيالياً يهز أوتار القلب ويوقظ النفس النائمة ؟

هذا هو الأمر الاول الذي نراه فيما كتبه جبران ولم يكتف بأن

يكون شاعرًا خيالياً ينظم القصائد المنثورة ويودعها ما بقلبه من ثورة وألم
وما في ما آقيه من دموع وما في نفسه الطاهرة من سحق على العالم الانساني
وما فيه من أوهام وكاذب بل عمد الى أسلوب جديد . إلا بالاستعارات
والرموز لم يقتف فيه آثار أي كاتب قديم ولا تغالى في القول لو قلنا أنه
نسيج وحده وقريع دهره في هذا الباب . فاذا أتيت لأى قارى جملة
من عمل جبران غير مذيلة باسمه اقال لك على الفور هذه جملة من عمل جبران .
هذا هو الأمر الثانى الذى نراه فيما كتبه جبران . ولم يكتب جبران
بأن يكون شاعرًا خيالياً ذا أسلوب جديد ولكنه سار فى كل ما يكتب
وراء شخصيته ، وقابل من كتاب العربية من هو على هذه الصورة .
تراه لا يكتب الا ما يعتقد ولا يخط على القرطاس إلا ما يوحى اليه
وحيه وإن خالف فى ذلك ما يعتقد القراء والكتاب . لهذا ترى شخصيته
واضحة جلية فى جميع كتبه ، فهو فى هذا الباب كبير لوتى من كتاب
العرب .

هذا هو الأمر الثالث الذى نراه فيما كتبه جبران .
وابتدا جبران حياته الأدبية بدموع وابتسامات . ظل يذرف الدمع
على آلام الانسانية ويبتسم لجمال الطبيعة الى أن مرت عشرة سنين من
حياته القلبية تكونت فيها نفسه واضطربت فيها ثورة قلبه فوجدناه
فيما بعد ، متمرداً ، ساخطاً صارخاً ، يصيح بين ضجيج العميان ويحدق
فى الشمس بعينيه المفتوحتين ويتف بين القبور الصامتة وتلى قم الجبال
الشاهقة لينشد قصائده الخالدة . والسكتنا نرى بين غيومه السوداء برق

الأمل ونسمع من رعدة القاصف صوت الرحمة ونشعر عند ما تهب عواصفه
بمخالوة الحب ، حب الحياة المهادنة الساكنة التي تجلي فيها الطبيعة وينصب
فيها ميزان العدل .

هذا هو الأمر الرابع الذي نراه فيما كتبه جبران .

كتاب المواكب

ثم عالج جبران باب الشعر الموزون المقفى فكتب كتابه « المواكب »
وهو الكتاب الذي من أجله نكتب هذا المقال .

الأشياء التي تسترعى النظر عند رؤية الكتاب : إذا أمسكت
بكتاب المواكب في يدك وقابت صفحاته بدا لك لأول وهلة أمر غريب
لم تره عينك من قبل بين صفحات الكتب العربية المؤلفة في عصرنا
الجديد ألا وهو أنك ترى لأول مرة كتاباً عربياً جديداً في قالب خيالي
منظوماً من أوله لآخره . وقد كنا نعيب على شعرائنا الشرقيين إيثارهم
القديم على الجديد لأننا لم نجد لهم غير قصائد ساروا فيها على طريقة
الشعراء السالفين دون أن يتكروا لهم طريقة جديدة . أما اليوم فقد أتى
جبران بما كنا في حاجة له . ولم يقتصر جبران على اختيار موضوع فلسفي
نظمه في قصيدة طويلة ولكنه فعل أكثر من ذلك باختياره القوافي
المتعددة والأوزان المختلفة يخالف بذلك الشرعة القديمة وابتكر طريقة
جديدة نأمل أن يتبعه فيها الشعراء الشرقيون .

وهناك أمر آخر يسترعى نظرك عند رؤية الكتاب ألا وهو الصور
العديدة التي نقشها يد الكاتب مصورا أما كتبه في كتابه . لا تنكر أننا
رأينا كتباً عصرية مملوءة بصور فوتوغرافية ولاكننا لم نجد كتاباً حلاه
مؤلفه بصور مبتكرة من مخيلته نقشها يده لتصوير ما أملاه عليه ضميره .
ونظرة منا لهذه الصور تكفي لأن تثبت لنا قدرة الكاتب وعمق برهته
في فن التصوير واقد قرأنا عنه أنه سافر خصيصا لباريس لدرس هذا الفن
وشهد له كبار المصورين في فرنسا بالتبوغ .

غرض المؤلف من تأليف الكتاب :

أراد جبران بتأليف هذا الكتاب نقد المجتمع البشرى وما حواه
من عادات وشرائع وقوانين . لم يجد جبران في المجتمع الانساني إلا
أكاذيب تفضل الناس عن الطريق السوى وما الطريق السوى إلا العودة
إلى الطبيعة وبساطتها ؛ تلك البساطة التي لا تكاف الناس شيئا بل تقرهم
بعضهم من بعض وتجو من نفوسهم . الصقته بها حياة المجتمع وقوانينه
من الأدراة والأوهام وما أجمل قوله

ليت شعري أى نفع في اجتماع وزحام
وجسدال وضجيج . . واحتجاج وخصام :

يرى جبران في المجتمع الانساني قوانين وعادات يسود بها البعض
ويدل بها الآخرون . فأين إذا سعادة النفس وهناء القاب والناس كالذئاب
لا تسمى إلا في ضرر غيرها فالسعيد في الحياة هو من بنى له قصر أعلى
قبور اخوانه المساكين الذين داسهم بأقدامه الضخمة دون أن يرحمهم أو

تأخذه بهم الشفقة والحنو . أما في الغاب حيث تجلي الطبيعة وتجاس
البساطة عل عرش الرحمة والتأخي فالحياة فيها كما قال .

ليس في الغابات راع لا ولا فيها القطيع
فالشتا يمشى ولكن لا يجاريه الربيع
خُلقَ الناس عبيداً الذي يأبى الخضوع
فاذا ما هب يوماً سائراً سار الجميع
أعطى الناي وغن فالتنا برعى العقول
وأنين الناي أبقى من مجيد وذليل

واختار جبران لتصوير فكرته شخصين الأول شيخ عاش في
المدينة طول عمره وخبر ما فيها من العادات والقوانين والشرائع والأوهام
والأكاذيب ثم خرج إلى الغاب بعد تجربته وخبرته ليستريح من وعناء
سفرته الطويلة التي قضاها جاثلاً في أنحاء المدينة . فيلتقي في الغاب بشاب
لم تر عيناه غير أشجار الغاب ولم يتنفس غير هوائه الطاق ولم يسمع غير
ألحان طيورهِ . فالأول شيخ ضامر التجاليد محدوب الظهر مرتجف
الأنامل والثاني فتى جميل الصورة قوى البنية حاملاً نايه في يده ليحيي
الطبيعة بأناشيده الخالدة . يلتقي الرجلان في الغاب ويبدى كل منهما
آراءه في الحياة . الأول لم يجد في حياة المجتمع الانساني غير التشاؤم
والسقاء والثاني لم يجد في حياة الغاب غير السعادة والهناء . هذا هو
مخلص ما أراد جبران إثباته في كتابه ومن هذه المحاور الشيقة التي
خطتها يده تظهر لك آراؤه الفلسفية في الحياة وفي الشرائع والاديان .

على أنه لا يقصد في كتابه أن يدعو الناس الى عيشة الغاب وهجر المدن
ولكنه يريد أن يتبسط الناس في حياتهم وأن يتركوا الروابط الكاذبة
التي تربطهم في مجتمعنا البشري وما الغاب الذي كتب عنه جبران إلا
رمز البساطة لا ينتج عنها إلا الهناء والسعادة .

قيمة الكتاب : لابالغ في القول لو قلنا أن الكتاب هو من خيرة
ما أخرج للناس في عهدنا الحاضر فقيمة تجلي عبقرية جبران وفيه نسمع
صراخ وحيد القادر ذلك الوحي الالهي المتورد الذي ظهر لنسا في هذا
الكتاب ساخطا على قوائين البشر على لسان الفتى ابن الغاب بمسد أن
يشرحها ويحلها على لسان الشيخ ، شيخ المدينة .

جبران كتب لنا هذا الكتاب متمجاً خطة جديدة في أسلوبه
الشعري وشارحا لنا أفكاراً فلسفية جديدة أيضاً ولقد نجح نجاحاً كبيراً
ينبسط عليه كل أديب .

نقد الكتاب : حاول جبران اخندي أن يأتي في نثره بأسلوب جديد
فنجح نجاحاً كبيراً ثم حاول أن يأتي لنا بأسلوب جديد في شعره فنجح
ولكنه لم ينجح النجاح الذي يريده له كل محب لشعره شعوف بما تخطفه
يده . فتراكيبه في النظم غير متناسقة كما هي في النثر ولكن ذلك لا ينقص
من قيمة الكتاب ونحن على يقين تام أن ضعف أسلوبه في النظم سيزول
على مر الايام وسوف يكتب لنا الكاتب فيما بعد كتباً منظومة خالية من
كل وهن ويكفيها منه الآن شاعريته الكبيرة وعبقريته التي ليس لها

حد ووحية المتمرد الذي يغور في خفايا القلوب ليضيء ظلماتها ويفرج عنا
الهموم والكروب .

أمثلة من شعره :

على لسان الشيخ :

الخير في الناس مصنوع إذا جبروا والشر في الناس لا يقنى وإن قبروا
وأكثر الناس آلات تحركها أصابع الدهر يوماً تم تنكسر
فلا تقولن هذا عالم علم ولا تقولن ذلك السيد الوقر
فأفضل الناس قطعان يسير بها صوت الرعاة ومن لم يمش يندر

على لسان القتي .

ليس في الغابات حزن

لا ولا فيها الهموم

فاذا هب نسيم

لم تجيء معه السموم

ليس حزن النفس إلا

ظل وهم لا يدوم

وغيوم النفس تبدوا

من ثناياها النجوم

أعطى الناي وغن فالغنا يحو المحن

وأنين الناي يبقى بعد أن يفنى الزمن

على لسان الشيخ

والدين في الناس حقل ليس يزرعه غير الأولى لهم في زرعه وطر
من أمل بنعيم انخلد مبشر ومن جهول يخاف النار تستمر
فالقوم لولا عقاب البعث ما عبدوا رباً ولو لا الثواب المرئجي كفروا
كأنما الدين ضرب من متاجرهم ان واضبوربحوا أو أهملوا خسروا

ومن أحسن ما قاله قوله على لسان الفتى :

ليس في الغابات سكر
من خيال أو مدام
فالسواقى ليس فيها
غير إكسير الغمام
إنما التخدير ندى
وحليب اللانمام
فاذا شاخوا وماتوا
بلغوا سن الفطام

أعطني الناي وغن فالغنا خير الشراب
وأنين الناي يبقى بعد أن تفتى الرضاب

وليس لنا في الخاتمة إلا أن نقول أن جبران أفندي جبران عبقرى
في نثره وعبقرى في شعره وعبقرى في صورته ونحن نتصح لجميع القراء

أن يقرأوا كتبته ليعرفوا مذهبه الجديد في الأدب ويقفوا على أفكاره
السامية وينشدوا معه قصائده الخالدة من
(٢٥ ديسمبر سنة ١٩١٩)

شوقي (١)

أحمد في الانبياء وأحمد في الشعراء
(صادق عنبر)

من منا لا يعرف الشاعر الكبير أحمد شوقي ؟
من منا لم يقرأ قصائده الخالدة وحكمه الغالية . ومن منا لم ير بعين
الخيال صورته الطبيعية التي صورها لنا وحيه الالهى في قصائده العامرة ؟
الطفل في مدرسته يحفظ عن ظهر قلب آياته الرشيقه والشاب في
رونق شبابه يترنم بقصائده الغزلية والشيخ الذي أروعته الهرم يتلو حكمه
إذا أوى الى خلوته لينظر للحياة نظراته الفلسفية فيقول
خاقنا للحياة والمات ومن هذين كل الحادثات
هذا هو شاعرنا الكبير أحمد شوقي شاعر مصر ولا تغالى في القول
لو قلنا شاعر الشرق .

كتبت هذه المقالة بمناسبة قرب عودة شوقي بك الشاعر من منفاه
في الأندلس .

شوقى هو أول من وصف الطبيعة من الشعراء المصريين بل هو
أول من أجاد وصفها ولو ضربنا صفحا عن قصائده في باب المديح ولم نقرأ
منها الا الجزء الذى خصه بالغزل والوصف والحكم لرأينا فى شاعرنا
الكبير عبقرىا عظيما لا يجود الزمان بمثله فى كل آن .

مرت على شوقى أطوار عديدة تكونت فيها شاعريته والحال كذلك
مع كل شاعر .

ابتدأ شاعرنا حياته مقلداً شعراء العرب وتقانى فى قراءة المتنبي
فسلك مسلكه ولكنك كنت ترى من خلال قصائده الأولى بصيص
نور جديد نور شخصيته العبقرية ووجهه الالهى .

وكيف لا يكون الامر كذلك وهو القائل :

ما تراها تناست اسمى لما	كثرت فى غرامها الاسماء
إن رأيتى تميل عنى كأن لم	تك بينى وبينها أشياء
نظرة فابتسامة فسلام	فكلام فموعد فلقاء
يوم كنا ولا نسل كيف كنا	تهادى من الهوى ما نشاء
وعاينا من العفاف رقيب	تعبت فى مراسه الاهواء
جاذبتنى توبى العصى وقالت	أتم الناس أيها الشعراء
فاتقوا الله فى قلوب العذارى	فالعذارى قلوبهن هواء

وهو القائل فى قصيدة عن حياة اسماعيل باشا خديوى مصر .

لم ير الناس مثل أيام نعمنا	ك زمانا ولا كبؤسك عهدنا
كنت إن شئت بدّل السعد نحسا	وإذا شئت بدّل النحس سعدا

تمشى القضاء خلف نواهدك حديد الاظفار يطلب صيدا
أنت من مَمَل السعادة لو لم يك ذلك النعيم أخذنا وردا
وهو القائل أيضا في وصف غاب بولون .

يا غاب بولون ولى ذم عليك ولى عهد
زمن تقضى للهوى ولنا بظلك هل يعود
حلم أريد رجوعه ورجوع أحلامي بعيد
وذهب الزمان أعادها هل للشبيبة من يعيد!
وهو القائل أيضا .

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبتم أخلاقهم ذهبوا
لو قارنت هذه الأشعار بأشعاره التى نحي فيها نحو الشعراء الاولين
مقيداً نفسه بسلاسل التقليد دون أن يطلق العنان لعبقريته ووحيه لظهر
لك الفرق الكبير والبون الشاسع . قل لى بربك أيصح أن تنسب لصاحب
الايات التى قرأها الآن تلك الايات الآتية .

سويجمع النيل رفقا بالسويداء فما تطيق أنين المفرد النأى
لله واد كما بهوى الهوى عجب تركت كل خلى فيه ذا داء
وأنت فى الاسر تشكوما تكابده لصخرة من بنى الاعجام صماء
فلو رأيتك بعين السمع لانفجرت وباء مشرق شمس الضاد بالراء
أو قوله مثلا :

لا السهد يدنى اليه ولا السكرى طيف يزور بفضلها مهما سرى
تخذ الدجى وسماءه ونجومه سبلا الى جفنيك لم يرضى الثرى

لقد كان الشاعر في ذلك الطور من حياته قليل الاكتراث
بشخصيته وعبقريته ولهذا كنا نقرأ له الغث والسمين . ثم تحول عن
طريقه القديم وشرع لنفسه خطة جديدة أتى فيها بالمرقص والمعجب
ونجحت فيها . واهيبه العبقريه وارتقى فيها الى سماء الالهة ، آلهة الشعر
بيد أنه لم ينبج من باب المديح فكان ضحية الظروف . والمدح باب من
الشعر لا يصح أن نطابق عليه اسم شعر . ولكن ما آتاه شوقي من
القصائد الخالدة في طوره الثاني غفر له زلته وكيف لا نتجدد من قال :

الرؤوس مائة	في الصدور تحتجب
والنحور قائمة	قاعد بها الوصب
والنهود هامة	والخدود تلتهب
والخصور واهية	بالبنان تجذب

أو من قال :

بعت العدو بكل شهره هجة	وكذا يباع الملك حين يرام
ما زال يبتك في الحصار ويبتنه	ثم الحصون ومثلن عظام
حتى حواك مقابراً ، وحويته	جثثاً ، فلا غبن ولا استدمام

أو من قال :

قف بتلك القصور في اليم غرقى	ممسكا بعضها من الذعر بعضا
كمدارى أخقين في الماء بضاً	سابعات به وأبدن بضاً
مشرفات على الزوال وكانت	مشرفات على الكواكب نهضا
شاب من حولها الزمان وشابت	وشباب الفتون ما زال غدا

ثم أتى على الشاعر الطور الثالث ، الطور الذي نفص فيه يديه من باب المديح كما يخرج البلبل من قفصه ليشدو على الأغصان فيحني الصباح ويداعب النسيم وبذكر الله إذا أتى الليل ردائه الأسود على صفحة السكون . في ذلك الطور طورنا الحالى لا يعرف شوقى غير شخصيته ولا ينظم إلا من أجل شخصيته . ففي هذا الطور يبلغ شوقى ذروة المجد وتسجد الشعراء أمامه معترفين بفضلته وعبقريته . ومن قصائده فى ذلك العهد قصيدته القافية عن النيل وقصيدته التى نظمها من أجل الشبان المتحررين والتى قال فى مطلعها .

ناشئ فى الورد من أيامه حسبه الله أبالورد عشر
سدد السهم الى صدر الصبا ورماه فى حواشيه الغرر
بيد لا تعرف الشر وما صلحت الا لتاهو بالأكر
ولا تنسى أيضا سينيته الجديدة التى ارسل بها من الاندلس والتى يقول فيها .

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى اليه فى الخلد نفسى
والآن سيعود شاعرنا الكبير الى وطنه ، سيرجع البلبل الى عشه . سوف نقرأ عن قريب قصائده الخالدة التى أوحى بها اليه وحيه بين اطلال مدينة العرب فى الاندلس . فلتمنا مصر بشاعرها وامهنا الشاعر بوطنه بعد غربة طويلة حن فيها الى مصر وحننت فيها مصر اليه .

وفاة ألفرد رول

توفي في أواخر شهر أكتوبر سنة ١٩١٩ المصور الشهير ألفرد رول
بالعاش الثانية والسبعين من عمره بعد أن قضى حياة لم يندق فيها غير طعم العمل
ولقد بكاه جميع رجال الفن في باريس بل في فرنسا من شرقها لغربها
ومن جنوبها لشمالها . واتخذ ألفرد رول لنفسه طريقة فنية لم يتبعها فيها أحد
من التلاميذ اللهم الا ابنه مارسيل رول فقد شهد المصورون للولد بأنه
صورة من الوالد في جميع صورته الفنية . وكانت تتجلى شخصيته في طريقته
الفنية وانفرد بتلك الطريقة التي صن بها على المصورين فلم يسمع عنه أنه
قام بتدريسها لأحد ولهذا عاش وحيداً لا تحوم حوله التلاميذ شأن كبار
المصورين وكان جميل الوجه طيب الأخلاق حسن الاحدوتة لم يحتفل
بالمناصب العالية الى أن أتيح له ارتقاء منصب رئاسة جماعة الفنون الاهلية
وقدمات وهو رئيس لهذه الجماعة . ونبغ ألفرد رول في جميع أنواع
التصوير ومن صورته الشهيرة عن الأشخاص صورة هنري روشفور
وصورة المصور نولو وزوجته وصورة جول سيون الكتاب
الاجتماعي الشهير .

ولم يقتصر على هذا النوع من التصوير بل نبغ أيضاً في تصوير
المنظر الطبيعية ومنظر الجنود والجيوش .

أدمون روستان

نعت الينا برقية هافاس الشاعر الدراى الكبير أدمون روستان
إختطفته المنية بمد حياة بيضاء ناصعة قضاها فى سبيل فنه جامعاً بين
الشعر والتمثيل فذهب ضحية الحمى الأندلسية فى الساعة التى خفقت
فيها قلوب الأفراسيين فرحاً بنصرهم العظيم وشوقاً لسماح أشعاره الحماسية
عن فوزهم الكبير . مات الشاعر العبقرى صاحب الصيت الطائر
والشهرة الواسعة تاركاً روايته الخالدة حية تقرأها الناس فى كل مكان
ومن ذا الذى لا يعرف روستان (وسيرانودى بروجراك) خير ما أخرج
للناس فى القرن العشرين بل خير كتاب أخرج المذهب الرومانتيكى
من يوم نشأته الى يومنا هذا . بدأ روستان حياته الادبية فى العشرين
من عمره بديوان من الشعر أطلق عليه اسم (لميزارديز) رأى فيه النقاد
تلك الروح الخائرة التى رأوها فى أشعاره وسماه الاولى . ثم تحول عن الشعر
الى الشعر التمثيلى وألف رواية (لاسماريتين) وأعقبها برواية (لا پرنسس
لوانتين) ثم ألف رواية (ليرومانسك) وظهرت فى رواياته الثلاثة تصوراته
البديعة وخياله السامى وعواطفه الفياضة وما كانت هذه الروايات غير مجموعة
من القصائد التمثيلية التى يلتقى فيها الاحساس بالخيال ثم أخرج للناس رواية
(سيرانودى بروجراك) فى وقت أخذ فيه الكتاب خطا (الراباليزم)
أى الوقائع والحقائق وتمددت فيه الروايات الأجنبية وكثرت روايات
الفودفيل حتى مل الجمهور هذه الانواع وود أن يرى رواية تجمع بين

الحماسة والحب الطاهر والتضحية مع المواقف الهزلية أى رواية من نوع الرومانتيك (نوع شكسبير) فأتاه روستان بروايتة الجديدة ووجد فيها الجمهور أمنيته فأعلى من شأنها عن جدارة واستحقاق وتحديثها الناس في العالمين الاوربي والاميركي وعدها الأذباء خير رواية ظهرت في عالم الأدب بعد رواية (السيد) لشاعر فرنسا الكبير (بيير كورنيل) ثم ألف رواية النسر الصغير عن حياة ابن نابوليون الاول وكتب في مقدمتها بيتين من الشعر معناهما (علم الله أنى لا أهاجم أحداً ولا أذافع عن أحد ولكنى أكتب قصة طفل بائس) . وخير ما في هذه الرواية تلك القصيدة البديعة التى يقولها ابن نابوليون وهو يحلم بواقعة (جرام) سامعاً صراخ المنتصرين وأنين المحتضرين . وسبق تلك القصيدة خالدة رغم أنف الليالى والأيام . تم كتب رواية (شانتكلير) وماهى الادعابة من نوع دعابات شكسبير وذكرى تعيد لقارئها روايات رينارت وقصائد لافونتين وفيها يخرج الممثلون على المسرح فى زى الحيوانات يمثلون حسنات الناس وسيئاتهم ولكنه لم يبلغ فيها ما بلغه فى رواياته السالفة . واشتغل روستان بعد ذلك بتأليف رواية (دون جوان) ولكنه مات قبل اتمامها أو قبل اخراجها للناس .

هذه هى حياة الشاعر الكبير وهى كما ترى حافلة بأكبر المآثر ومن العجيب أن زوجته شاعرة أيضاً . رحم الله روستان الشاعر العبقري والعاقل المجيد وايس لنا حيال هذا المصاب الكبير الا أن نعزى الأمة الافرنسية بفقد رجالها القادر والعالم أجمع بموت شاعره الدرامي العظيم .

شاتوبريان

ليس من السهل على الكاتب أن يبدى رأيه عن رجال الأدب في القرن التاسع عشر لقرب ذلك العهد من وقتنا الحاضر . فسكأنأرى بعيني رأسنا رجال ذلك القرن وكأننا نعاشرهم ونحادثهم . وتاريخ الآداب يقضى بأن يكون بين الناقد ومن يتصدى لنقده زمن طويل . بيد أننا لو سبرنا غور ذلك العهد وبخشنا عن أسرارها بحثاً مستفيضاً لما غاب عنا ذلك التطور الكبير الذى أنتجته الحوادث السياسية والاجتماعية فى آداب اللغة الافرنسية فى ذلك القرن . ونعنى به ما قام به كتاب ذلك العصر من الحركة الجديدة التى قضت على القوانين القديمة بعد أن سلكوا طريقاً جديداً ساروا فيه بأقدام ثابتة ونفس آمنة وراء الخيال والشعور والعوطف وما كان للخيال والشعور قبل ذلك أثر فى آداب اللغة . ونشأ عن ذلك الشعر الوجدانى والروايات وكان للعلوم الحديثة التى ظهرت فى ذلك القرن تأثير كبير على الآداب فسلمك الأدباء مسلك العلماء فى تقرير النظريات وتمحيصها وإثباتها فنشأ علم النقد من العدم ووجد علم التاريخ أساساً ثابتاً يرتكز عليه وتنوعت أساليب اللغة وتعددت مفرداتها وانتقل إليها عدد كبير من مفردات اللغة الانكليزية والألمانية وظهر فى ادابها تأثيرها تين اللغتين . ويجمل بنا أن نقول أن أول من اختط

هذه الشرعة الجديدة وجرى في مضمارها شوطاً بعيداً فسارت على آثاره
جميع الكتاب هو فرانسوا رينيه شاتو بريان كاتب فرنسا العظيم في
القرن التاسع عشر .

ولد شاتو بريان في بلدة سان مالو في الرابع من شهر سبتمبر عام ١٧٦٨
ولما بلغ العشرين أتى باريس دون أن يحظى بقسط وافر من العلوم
والآداب حاملاً بين جنبيه نفساً حزينة كثيفة لا يعلم سر أجزائها وآلامها
وما كان ذلك الحزن العميق الا نتيجة لحياته المضطربة التي قضاها في بلدته
فلما أتى باريس خالط رجال الادب وود أن يقتفى أثرهم ولكنه سافر
لأمريكا عام ١٧٩١ للسياحة وأفادته تلك السياحة كثيراً في تكوين خياله
وانماء عواطفه وعاد الى أوروبا حينما بلغه خبر حروب لويس السادس عشر
ثم سافر الى انكلترا وطبع فيها سنة ١٧٩٧ كتابه عن الثورات . ولم يكن
كتابه ذا قيمة كبيرة بل ولم تظهر فيه أرائه التي اشتهر بها بين مواطنيه
وهي الايمان بالدين المسيحي والتفاني في حب الملكية . وعاد الى فرنسا
عام ١٨٠٠ وطبع فيها روايته (آتالا) عام ١٨٠٢ وروايته (رينيه) ١٨٠٥
وكتابه الشهداء عام ١٨٠٦ وكتابه (الطريق بين باريس والقدس) عام
١٨١١ ثم انتخب في الأكاديمية الافرنسية وألقى في قاعته خطبته التي
ندد فيها بالحكومة وجر عليه ذلك غضب نابليون الأول بعد أن كان
على وئام معه . ولما عاد آل بربون للعرش انحاز لجانبهم واشتغل بالسياسة
ثم اعتزلها عام ١٨٣٠ مكرساً نفسه للكتابة كتابه العظيم (ويموار دور
تومب) دون أن يقلب ظهر المحن لآل البربون .

ولم تنشأ أحزانه النفسانية عن فقر واحتياج لأنه قضى حياة سعيدة في مأمن من نكبات الحياة ولكنه كان ذا نفس حساسة وطبيعة ثائرة وعظمة كبيرة وأناية دائمة . فلم ترق في عينه تلك الحياة السعيدة التي لم ينقصه فيها شيء واحتقر تلك المظاهر الخداعة الكاذبة ولهذا عاش ومات ككئيب النفس يحمل بين جنبيه تلك الأوجاع وتلك الشجون التي ظهرت في جميع ماخطته يده وكان لها تأثير كبير على كُتَّاب ذلك القرن . (رواياته رينيه) : لم يتوخ شاتوبريان في روايته تحليل أخلاق شخص من أشخاص الحياة ولكنه عمده الى درس ما بنفسه من هموم وأوجاع وما كان لهذه الهموم وهذه الأوجاع سبب من الأسباب الخارجية بل كان مصدرها نفسه الهائلة المضطربة . واختار لروايته بطلا سماه رينيه نشأ في جو لم يجد فيه ما تصبو اليه نفسه وساح كثيراً ولكنه لم يستفد من سياحاته شيئاً يذكر ولم يرق في عينه المجتمع الانساني فعمد الى الاتجار بيد أنه لم يقدم عليه لمصيبة كبرى قوضت دعائم قلبه وكانت سبباً في نجاته ولكنها لم تشفه من آلامه وهمومه . وقد شرح شاتوبريان في هذه الرواية حقيقة نفسه بل حقيقة نفوس الكُتَّاب والشعراء في ذلك العهد . ففي تاريخ للحياة الأدبية عام ١٨٠٠ . ولم يكن هذا الداء (داء الهموم والأوجاع من غير سبب) قاصراً على الأدباء في فرنسا فقد وجدناه جلياً واضحاً في رواية فرتر للشاعر الألماني جوته وفي جميع ما دونه الشاعر الانكليزي بيرون من أشعاره العبقرية وفي كتب جان جاك

روسو وغيرهم . وأصبح هذا الداء مذهبا من المذاهب الأدبية وقاعدة من قواعد الهيئة الاجتماعية في ذلك العهد .

(كتابه عبقرية الدين المسيحي La Génie du christianisme)

إذا أردنا البحث عن نظريات شاتوبريان الأدبية التي جعلته رئيسا لمذهب أدبي جديد تحتم علينا أن نقرأ هذا الكتاب لنعرف حقيقةها . فقد شرح فيه شاتوبريان تفوق الدين المسيحي وما أحدثه من الإصلاحات في الاخلاق والعادات والآداب والفنون . وقسم كتابه الى أربعة أقسام خص القسم الثاني والثالث منها بحال الدين المسيحي ونفوذه الكبير . وبرهن فيهما عما أحدثته المسيحية من رقي الشعور والعواطف التي لم يكن لها أثر عند الكتّاب أيام الوثنية . وحال أخلاق الامهات والآباء والابناء والجنود والكهنة في العهدين وأظهر للقارىء الفرق واضحا جليا ، فما كانت قيمة هذا الكتاب ؟

لام النقاد شاتوبريان استعماله المسيحية كآلة لخدمة الفنون والآداب ورأوا فيما كتبه نظرات سطحية عن الدين من غير استقراء في حقيقته ولقد صدق النقاد فيما ارتأوه بيد أن قيمة الكتاب لم تكن بما كتب فيه عن الدين المسيحي بل بما احتواه من المنهج الجديد الذي حتم على الكتّاب أن يتفوضوا أيديهم من غبار الماضي ويسلكوا طريقا جديدا للاداب والفنون وهذا هو سر شهرة الكتاب وإحلاله المقام اللائق به . فهو أول كتاب خط للكتّاب شرعتهم الجديدة .

(كتابه الشهداء) : أراد شاتوبريان أن يكتب كتابا يظهر فيه آراؤه

جلية واضحة في شكل قصيدة منشورة بين فيها تفوق آداب الدين
المسيحي عن آداب الميثولوجيان Mythologie في عهد الوثنية فاختر
عهد الاضطهادات في القرن الرابع أى عهد النضال بين المذهبين المسيحي
والوثني وكتب كتابه الشهداء ولكنه لم ينجح فيه نجاحاً كبيراً لما أتى
به من الخرافات والاكاذيب ولكنه نجح في تحليل أخلاق بعض
أشخاص الكتاب كأيدور Endore وسيمودوسه Cymodocée وفليد
(Vellède) .

(نهضة شاتوبريان) : يعد النقاد شاتوبريان كاتباً قديراً خدم اللغة
الافرنسية خدمة يدونها له التاريخ فهو أول من ابتدع الخيال والتصوير
في النثر بعد أن كان مفتقراً لهما ولكنهم يلومون عليه ما يشعر به القارئ
عند قراءة كتبه بشئ من التجايل في الاسلوب . بيد أنه رغم ذلك بحث
في آلام النفس وأوجاعها وأدخل الخيال والعواطف في النثر وأوجد بما
كتبه الاساس الاول للشعر الوجداني ولهذا أطلق عليه النقاد لقب
مؤسس المذهب الرومانتيكى .

(معرفة بتصرف كبير عن كتاب دوميك)

الكتاب الرابع

مآثره العيون

قطع فصحية مصر



في القطار

صباح ناصع الجبين يجلي عن القلب الحزين ظلماته ويرد للشيخ شبابه
ونسيم عليل ينمش الافئدة ويسرى عن النفس هبوبها . وفي الحديقة
تمایل الأشجار بمنة ويسرة كأنها ترقص اقدم الصباح ، والناس تسير
في الطريق وقد دبت في نفوسهم حرارة العمل وأنا مكتئب النفس أنظر
من النافذة لجمال الطبيعة وأسائل نفسي عن سر اكتئابها فلا أهتدي لشيء ،
تناولت ديوان موسيه وحاوت القراءة فلم أفلح ، فألقيت به على
الخوان وجلست على مقعد واستسلمت للتفكير كأنني فريسة بين مخالب الدهر
مكثت حيناً أفكر ثم نهضت واقفاً وتناولت عصاي وغادرت منزلي
وسرت وأنا لا أعلم الى أي مكان تتودني قدماي الى أن وصلت الى محطة
باب الحديد وهناك وقفت . ففكرت . ففكرت . ففكرت . ففكرت . ففكرت . ففكرت .
وابتعت تذكرة - درجة ثانية - وركبت القطار للضيعة لأقضي فيها
نهارى بأكمله .

جلست في إحدى غرف عربات القطار بجوار النافذة ولم يكن بها
أحد سواي وما لبثت في مكانى قليلاً حتى سمعت صوت بائع الجرائد يطن
في أذني (وادي النيل ، الاهرام ، المقطم) فابتعت احدها واهتمت بالقراءة
وإذا بياب الغرفة قد انفتح ودخل شيخ من المعممين أسمر اللون طويل
القامة نحيف القوام كث اللحية له عينان أوفل أجفانهما الكسل فكانه
لم يستيقظ من نومه بعد . وجلس الاستاذ غير بعيد عني وخلع مراكبه

الأحمر قبل أن يتربع على المقعد ثم بصق على الأرض ثلاثاً ماسحاً شفتيه
بمئذيل أحمر يصلح أن يكون غطاء لطفل صغير. ثم أخرج من جيبه مسبحة
ذات مائة حبة وحبّة وجعل يردد اسم الله والنبي والصحابة والاولياء
والصالحين. خولت نظري عنه فإنا بي أرى في الغرفة شاباً لا أدرى من
أين دخل علينا ولعل اشتغالي برؤية الاستاذ منعى أن أرى الشاب
ساعة دخوله .

نظرت الى الفتى وتبادر لذهني أنه طالب ريفي انتهى من تأدية امتحانه
وهو يعود الى ضيعته ليقضى أجازته بين أهله وقومه . نظر الى الشاب
كما نظرت اليه ثم أخرج من محفظته رواية من روايات مسامرات الشعب
وهم بالقراءة بعد أن حول نظره عني وعن الاستاذ . ونظرت للساعة راجياً
أن يتحرك القطار قبل أن يوافقنا مسافر رابع فاذا بأفندي وضاح الطلعة
حسن الهندام دخل غرفتنا وهو يتبختر في مشيته ويردد أنشودة طالما
سمعتها من باعة الفجل والتمرس . جلس الافندي وهو يتسم واضعاً رجلاً
على رجل بعد أن قرأنا السلام فرددناه رد الغريب على الغريب

وساد السكون في الغرفة والتاميد يقرأ روايته والاستاذ يسبح وهو
غائب عن الوجود والافندي ينظر لملابسه طوراً والمسافر ين تارة أخرى
وأنا أقرأ وادى النيل منتظراً أن يتحرك القطار قبل أن يوافقنا
مسافر خامس .

مكثنا هنيهة لا نتكلم كأننا تنتظر قدوم أحد فانفتح باب الغرفة
ودخل شيخ يباغ الستين أحمر الوجه براق العينين يدل لون بشرته على أنه

ثم ركسى الأصل وكان ممسكا مظلة أكل الدهر عليها وشرب . أما حافة
طربوشه فكانت تصل الى أطراف أذنيه ، وجلس أمامى وهو يتفرس
فى وجوه رفقائه المسافرين كأنه يسألهم من أين هم قادون و إلى أين هم
ذاهبون ثم سمعنا صفير القطارة تنبئ الناس بالمسير ونحرك القطار بعد قليل
يقبل من فيه الى حيث هم قاصدون .

سافر القطار ونحن جلوس لا نتبث بينت شفاه كأننا على رؤوسنا
الطير حتى اقترب من محطة شبرا فأذا بالشركس يحماق فى ثم قال موجهاً
كلامه الى :

هل من أخبار جديدة يا افندى ؟

فقلت له وأنا ممسك الجريدة بيدي - ليس فى أخبار اليوم ما
يستلفت النظر اللهم إلا خبر اهتمام وزارة المعارف بتعميم التعليم ومخاربه
الأمية .

ولم يمهلنى الرجل أن أتم كلامى لانه اختطف الجريدة من يدي
دون أن يستأذنى وابتدأ بقراءة ما يقع تحت عينيه ، ولم يدهشنى ما فعل
لأنى أعلم الناس بحدة الشراكسة . وبعد قليل وصل القطار محطة شبرا
وصعد منها لفرقتنا أحد محمد القايمية وهو رجل ضخم الجثة كبير
الشارب أفطس الأنف له وجه به آثار الجدري تظهر عليه مظاهر
القوة والجهل . جلس العمدة بجوارى بعد أن قرأ سورة الفاتحة وصلى
على النبي ثم سار القطار قاصداً قلوب .

مكث الشركسى قليلا يقرأ الجريدة ثم طواها وألقى بها على الأرض وهو يحرق الأرم وقال .

— يريدون تعميم التعليم ومحاربة الأمية حتى يرتقى الفلاح الى مصاف أسياده، وقد جهلوا أنهم يجنون جنابة كبرى .
فالتقطت الجريدة من الأرض وقلت :

— وأى جنابة؟

— إنك ما زلت شابا لا تعرف العلاج الناجع لتربية الفلاح .

— وأى علاج تقصد؟ وهل من علاج أنجع من التعليم؟

فقطب الشركسى حاجبيه وقال بلهجة الغاضب .

— هناك علاج آخر .

— وما هو؟

فصاح بملء فيه صيحة أفاق لها الاستاذ من نومه وقال :

— السوط . إن السوط لا يكلف الحكومة شيئا أما التعليم فيتطلب

أموالا طائلة ولا تنسى أن الفلاح لا يدعن إلا للضرب لأنه اعتاده من المهد الى اللحد .

وأردت أن أجيب الشركسى ولكن العمدة حفظه الله كفانى

مؤونة الرد فقال للشركسى وهو يتسم ابتسامة صفراء .

— صدقت يا بيه صدقت . ولو كنت تسكن الضياع مثلنا لقلت

أكثر من ذلك . إننا نعانى مع الفلاح ما نعانى لنكبح جماحه ونمنعه عن ارتكاب الجرائم .

فنظر اليه الشركسى نظرة اذتياب وقال :

- حضرتم تسكنون الارياض ؟

- أنا مولود بها يا بيه .

- ما شاء الله .

جرى هذا الحديث والاستاذ يقط في نومه والافندى ذو الهندام الحسن ينظر للملابسه ثم ينظر لنا ويضحك أما التلميذ فكانت تظهر على وجهه سيما الاشمئزاز ولقد هم بالكلام مراراً فلم يمنعه إلا حياؤه وصغره سنه . ولم أطق سكوتاً على ما فاه به الشركسى فقلت له .

- إن الفلاح يا بيه انسان مثلنا وحرام أن لا يحسن الانسان معاملة أخيه الانسان .

فالتفت الى العمدة كأني وجهت اليه الكلام وقال :

- أنا أعلم الناس بالفلاح ولى الشرف أن أكون عمدة في بلد به ألف رجل وإن شئت أن تقف على شئون الفلاح أجيبك . أن الفلاح يا حضرة الافندى لا يفاح معه إلا الضرب ولقد صدق البك فيما قال . وأشار بيده الى الشركسى .

فقال الشركسى وهو يتسم إبتسامة الساخر .

- ولا ينبؤك مثل خبير .

فاستشاط التلميذ غضباً ولم يطق السكوت فقال وهو يرتجف ا

- الفلاح يا حضرة العمدة

فقطعه العمدة قائلاً

— قل « يا سعادة البك » لأني حزت الرتبة الثانية منذ عشرين سنة

فقال التلميذ

— الفلاح يا حضرة العمدة لا يذ عن لاء واء ركم الا بالضرب لانكم
لم تعودوه غير ذلك فلو كنتم أحسنتم صنيعكم معه لسكنتم وجدتم فيه أخوا
يتكاتف معكم ويعاونكم ولكنكم مع الاسف أسأتم اليه فعمد الى الاضرار
بكم نخلصا من اساءتكم . وانه ليدهشني أن تكون فلاحا وتحمي باللائمة
على اخوانك الفلاحين .

فهز العمدة رأسه ونظر للشركسى وقال :

— هذه هي نتائج التعليم

فقال الشركسى :

— نام وقام فوجد نفسه قائم مقام

أما الافندى ذو الهندام الحسن فانه فهقه ضاحكا وصفق بيديه

وقال للتلميذ — برافو يا أفندى برافو برافو

فنظر اليه الشركسى وقد انتفخت أوداجه وتعسر عليه التنفس وقال :

— ومن تكون أنت ؟

— ابن الحظ والانس يا أنس .

وضحك عدة ضحكات متواليات .

فلم يبق في قوس الشركسى منزع فصاح وهو يبصق على الارض

طورا وعلى جبة الاستاذ وعلى حذاء العمدة نارة

— أدبسىس . بس فلاح .

ثم سكت وسكت الحاضرون وأوشكت أن تهبط العاصفة لولا
أن التفت العمدة للأستاذ وقال :

— أنت خير الحاكمين يا سيدنا فاحكم لنا في هذه القضية . فهز
الأستاذ رأسه وتحنح وبعق على الأرض وقال :
— وما هي القضية لأحكم فيها بأذن الله جل وعلا
— هل التعليم أفيد للفلاح أم الضرب
فقال الأستاذ :

— بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، قال النبي عليه
الصلاة والسلام « لا تعلموا أولاد السفلة العلم »
وعاد الأستاذ الى خموله وأطبق أجفانه مستسهماً للذهول . فضحك
التلميذ وهو يقول :

— حرام عليك يا أستاذ . ان بين الغني والفقير من هو على خاق
عظيم كما أن بينهم من هو في الدرك الأسفل .
فأفاق الأستاذ من غشيته وقال :

— واحسرتاه . انكم من يوم ما تعلمتم الرطان فسدت عليكم
أخلاقكم ونسبتم أوامر دينكم ومنكم من تبيح وبني واستكبر وأنكر
وجود الخالق

فصاح الشركسي والعمدة (لك الله يا أستاذ) وقال الشركسي :
— كان الولد يخاف أن يأكل مع أبيه واليوم يشتمه ويهم بصفحه .
وقال العمدة :

— كان الولد لا يرى وجه عمته والآن يحالس امرأة أخيه
ووقف القطار في قلوب فقرأت الجميع السلام وغادرتهم وسرت
في طريقى الى الضيعة وأنا أكاد لا أسمع دوى القطار وصفيره وهو يعدو
بين المروج الخضراء لكثرة ما يصيح في أذنى من صدئ الحديد .
(٧ يونيو سنة ١٩١٧)

عطفة (.....) منزل رقم ٢٢

دخلت غرفة عملى بوزارة (.....) وجلست أمام مكتبي وأمسكت
بجريدة وادى النيل أقرأ شيئاً عن السياسة وعن الاخبار وما لبثت في
مكاني دقيقتين إلا وحانت منى التفاتة للباب فرأيت زميلي أمين على
يتدربنى السلام بقوله

— صباح الخير يا ابو على

فألقيت الجريدة على المكتب ورددت السلام بأحسن منه ثم تنائب

زميلي فتساءبت وقلت

— جازاك الله يا أمين بالموت على ما بدر منك أمس لقد سقتنى

الى بؤرة كدت أن أموت فيها

— أبنا المخطئ ؟

— الله أعلم

- دعنا من العتاب . تلك ليلة لا يسمح الزمان بثلاثها الا في السنة
مرة ولولا تهافتك على الخمر وإكثارك من معاقبتها لما سألت الله أن
يجازيني بالموت على هذا الجميل الذي أسديته اليك .

- ولكنني ما زلت أشكو ألما في الرأس وثقلا في الجسد . يا حبهذا لو
كان اليوم يوم الجمعة

- وماذا كنت تفعل ؟

كنت أتناول مسهلا وألزم سريري طول يومى

- تأنى الرياح بما لا تشتهي السفن

نم جالس أمين أمامى وأمسدت رأسه بيديه ونام أو استسلم للنوم
فنظرت اليه وظهرت لى على وجهه صورة شنيعة . صورة المدمن الذى
لا يفارق الحانات والمواخير ويوت الفسق والدعارة إلا عند الفجر فقلت
فى نفسى إن هذه الصورة المرآسة على وجهه ما زالت مرآسة على وجهى
أيضا ، إنه يحب الخمر وأنا لا أبغضها ، هو زير نساء وأنا أبحث عن المرأة
فى كل مكان فلا فرق بينى وبينه إلا أنه متزوج وأنا أعزب ولكن الفرق
ليس بالكبير لأنه لا يرى امرأته إلا ست ساعات فى كل يوم يقضيها
وهو مستلق على ظهره بجوارها يغط فى نومها فمرآته فى نظره كالوسادة
فى نظرى . فنحن اذا فى مستو واحد .

وظفت فى وزارة (. . .) منذ ستة أشهر عرفت أمين فى اليوم
الأول من الشهر الأول منها واتمست بعشرته وربطتني به رابطة الاتفاق
فى المشرب لا رابطة الود والوفاء والكنى استشعرت بمد أن قضيت معه

شهرين على صفاء ووثام برابطة الصداقة تربطني به وتربطه بي ومالبثنا ان
أصبحنا صديقين لا نفترق الا بعد منتصف الليل . كنت اشتغل معه في
الوزارة وكنت أفضى معه عصر كل يوم في سباندبار واذا دنا وقت العشاء
أكلنا سويا في مطعم أو بليسك أو مطعم أركل وكاسات الجملة تحف
بخواتنا . ثم نقضى الليل في دار من دور التمثيل أو في بيت من البيوت المفتوحة
أبوابها للناس أجمعين ثم نرجع كل لمنزله فكنت أسير معه الى باب بيته
في عطفة (. . .) رقم ٢٢ وأسير في طريقي لمنزلي وأنا لا ألوى على أحد .
كان هذا شأنى معه وكنت مسرورا من عشرته معتبطا بوفائه ومحبه
وظننت أنى سأبقى مستودع أسرارهِ الى الأبد ولم يحدث بيننا والحمد لله
في الستة الا شهر التي مضت ما يدعو للهجر أو القطيعة .

ثم أفاق أمين من نومه وأعطاني سيكارة أشماتها بعد أن أشمل أختها
لنفسه ومكثنا هنيهة نفكر ثم التفت الى وقال :

- آه من النساء

- انك ترتأى فيهن رأيا تخالف فيه سواد الناس

- أنا لا أحب الا من يرتدين الازار البلدى (١)

- وأنا لا أكره الا هؤلاء

- يا لهجب أتكره هذا الصنف من النساء ويبنهن من يستهوين

الأفتدة ويمتلكن النفوس

- انى لا أرى في ذات الازار البلدى الا امرأة قدرة مبتذلة يأنف

منها كل ذى ذوق سليم

- أشكرك

ثم ضحكنا والتفت الى أمين وقال :

- ان بينهن نساء ذوات حسب ونسب يحشين الفضيحة فيسترن

بهذا الازار حتى لا يعرفهن أحد من أزواجهن

- أظن ذلك ؟

- بل أعتقده وان شئت سردت لك حوادث وقعت لى مع أمثالهن

وابتدا فى سرد قصص كثيرة اندهشت لسماعها وظننت أن ليس

فى مصر من الاسكندرية الى اسوان امرأة عفيفة فقلت له :

- لا ثقة لى بامرأة بعد اليوم

- كل النساء خائفات وعبثا الثقة بهن

فسكت ولم أنطق ببنت شفة وماذا يريد القارىء أن أقول وصديقى

متزوج له امرأة يغار عليها وكأنه فطرن لما كنت أحدث نفسى به

فقال وهو يتسم

- ما الذى أسكتك ؟ أيدعشك أنى أرمى النساء بالخيانة وبينهن

زوجتى ؟ ولكن امرأتى يا صاح فى مأمن من كل ذلك لأنهما تعيش مع أمى

وأمى من النساء اللواتى لا تفاجء بهن شدة ولا رجاء

ثم انقطع حديثنا وقام أمين لمكتبه وابتدأت أن اشتغل قليلا بعد

أن سألت الخادم أن يأتينى بفنجان قهوة

غادرت الديوان وذهبت لأتناول الغذاء في المنزل ثم خرجت عصر ذلك اليوم للقاء أمين في اسبلندديبار وانتظرتة هناك نصف ساعة ثم مللت الانتظار فقامت لأمشي في شارع بولاق فاذا به يموج بالناس من مصريين وافرنج ومنهم من يتتبع النساء ومن النساء من يدخلن حانوت شكودريل أو شملا لشراء حاجياتهن أو بحجة شراء ما تتوق اليه أنفسهن ثم وقفت أنظر لامرأة مرتدية ازاراً بلدياً وتذكرت حديث أمين في الصباح وقلت في نفسي ما ضرتي لو تبعتها وقد اعجبني قوامها النحيل ولحظها الفاتك ووطدت العزم على ذلك وما لبثت ان نفذت ما عزمته عليه

سرت وراءها طويلاً الى أن وصلنا الى تلك الحديقة الصغيرة التي يعرفها كل من اعتاد التنزه في شارع بولاق وهناك اقتربت منها وقات لها

— لقد حق لك ولى أن نستريح فعلام الاسراع ؟

فمنظرت الى ولم تجب ثم سارت في طريقها فقلت لها وقد شجعتني نظرتها

— الى أين ؟ خفني من سرعتك أيها الملاك الجميل فالتفتت الى مرة

ثانية وابتسمت ثم سارت على مهل فسرت معها جنباً الى جنب وقرأتها

السلام فقالت

— علام تقتفي أثرى

— لأحظي منك بكلمة واحدة

— لقد سمعت منى عدة كلمات فدعني وسر في طريقك

— ان طريقنا واحد

فابتسمت وقالت :

- يالك من أبله -

وتحادثنا طويلاً ثم سألتها أن نذهب لمصر الجديدة فقبلت ببشاشة
وسرور ورجعنا أدرأجنا الى محطة المترو. وصلنا مصر الجديدة بعد عشرين
دقيقة. ودخلنا لونا بارك وصعدنا على الجبل الروسى را كبين القطار الصغير
فكانت تمسك بملايسى كلما صعد بنا القطار أو هبط. وغادرنا لونا بارك
فأظهرت لى عند بابها الميل للمودة للقاهرة فقلت لها وأنا أستعطفها
- علام هذا الاسراع والساعة لم تدق الساعة بعد. أين تنظرك
أحد فى المنزل

- كلا ان زوجى لا يتمشى فى المنزل

- فلتقض معا اذا ساعة أخرى. وقد قضينا تلك الساعة فى مكان
يظهر أنها لم تكن تجهله ولم يكن يجهلها
ورجعنا بعد ذلك وركبنا عربة كانت تنتظر بجوار قهوة البستور
ولما وصلنا ميدان عابدين سألتنى أن أغادرها هناك فأجبتها لسؤالها عن
طيبة خاطر وأعطيت الحوذى عشرة قروش وودعتها بعد أن تواعدنا على
اللقاء بعد يومين

ثم تركتني وسارت فى طريقها بعد أن استخلفتنى أن لا أتبعها ولما
كادت أن تغيب عن عيني قام بنفسى أن أعرف أين تسكن حتى اذا ما
أخلفت موعدها معى انتظرتها كل يوم أمام باب بيتها. ولما اقتربت منها
سألت الله أن لا تلتفت فترانى فاذا بي أراها بمد قليل تسير فى عطفة (ال...)
فدق قلبي دقات متوالية ثم وصات للمنزل رقم (٢٢) والتفتت لى إن كان

هناك أحديتيبهما ولكنها لم تتبينني في الظلام لأن الشارع لم يكن من الشوارع
المضاءة ودخلت المنزل فوقفت كالصنم لا أتحرك ثم عدت وأنا كاسف البال.
باللعار لقد ارتكبت أثمهاثلا ولكني لم أتعمدار تسكابه . لقد أصبحت
حليمة صاحبي خليمة لي، ولكنها كانت خليمة سواي من قبل

..

في الغد ذهبت للديوان وجلست بجوار أمين وتحادثنا كالعادة
وذهبنا عصرنا لسبلندبار وتناولنا المشاء في أبلينسك وقضينا ليلتنا معاً في
ماخور من مواخير العاصمة كأن لم يكن حدث شيء بالأمس .
(١٨ يونيه سنة ١٩١٧)

بيت الكرم

أميرة مجدى مشهورة في مصر بالثروة والجاه يؤمها المستغيث
ويقصدها كل ذى حاجة . توفي ربها المرحوم عبد الله بك مجدى عن ستين
عاماً قضاها - كما قالت الجرائد - في عمل الخير والبر والاحسان تاركاً
ولدين يبلغ أكبرهما الثلاثين والآخر لا يتجاوز العاشرة وثلاث بنات أبنكار
لم تسعد أكبرهن بمد بالزواج .

ورث المرحوم عن أبيه ثروة طائلة تريد عن الفى فدان أصاع معظمها
حبا في الخمر وسمياً وراء النساء فلم يترك لأولاده بمسد موته الا ثلاثمائة

من الأقدية وعشرة من الرفاق كان ينفق عليهم من حر ماله وكانوا
يقضون معه الليل والنهار لياً تنس بحديثهم ويقتل الوقت معهم . وأصبح
الولد الأكبر - محمد بك مجدى - بعد وفاة أبيه رئيس أسرة مجدى
وناهيك عن قيمة هذا اللقب فى أعين الرفاق العشرة بعد أن وجدوا فى
الولد خير خلف لأبيه فلقبوه بابن العز والأمانة ورب البيت الذى لم يغلغ
بابه فى وجه سائل . ولم يكن تلقى محمد بك من العلم والتربية ما يلهمه أن
يضرب بأقوالهم عرض الحائط وأوحى إليه الجو الذى نشأ فيه أن لا يجيد
عن الخطة التى اختطها أبوه لنفسه من قبل فرحب بالرفاق وجلس بينهم
كما كان يجلس أبوه فى صدر المكان وهم حوالبه يكاد يدفعهم الخشوع
والامثال الى الركوع والسجود

..

نزل محمد بك من الحریم الى الساملك وهو مرتد جلايية بيضاء
وعباة من الحرير الأبيض وكان عارى الرأس منتفخ العينين وقد نسج
السهر السكل واحدة منهما إطاراً أحمر آلوراآه طفل صغير فى رابعة النهار
لولى الأدبار خائفاً أن ينقض عليه ذلك البعيع فيهشم عظامه أو يسيل دماؤه
مشى محمد بك مشية الزهو والقيه يميل به الإعجاب بنفسه ويرنح
عطفه احتقاره للناس ، ومن مثل محمد بك على وجه البسيطة وهو الغنى
العظيم ابن الكرم والسيادة وبيته مأوى البؤساء وملجأ الفقراء . وكان
فى ذلك اليوم مقطب الوجه عابساً ساهماً وذلك لزيارة وسيط واقفه فى
العصباح يطاب بدأخته الكبرى لابن أحد البيكوات . وهل يسمع محمد

بك بذلك ولاخته حصة فيما تبقى من تراث أبيه يصرف ريعها على الحفلات اليومية التي يقيمها كل ليلة في بيته هو ورفاقه الكرام ، استغفر الله بل عبيده المخلصون . وصل محمد بك للساملك وكان الوقت مساء لأن البك لا يفيق من نومه الا في الساعة السادسة وكان من عادته النوم بعد الغذاء ولما دخل غرفة الاستقبال وجد الجماعة في انتظاره وقد تهيئوا للقائه فجلس بينهم وهو تأته النظر وقد تعمد ذلك حتى لا يقال أنه يتنازل لرؤية أحد ثم نادى الخادم وأمره أن يجيء بزجاجات الوسكى وقام الخادم بما أمر به حق قيام وتناول كل واحد قدحه وشربوا نخب البك .

وقام أحدكم واقفاً وهو شيخ سكير يناهز الستين كان كاتباً بوزارة (ال...) وأحيل على المعاش ولم يساعده معاشه على اقتناء الخمر والقيام بأود أسرته فالتجأ لمحمد بك وليس شيء أحب لنفس محمد بك من أن يلتجأ اليه من يظهر التفانى في محبته والخضوع لأرائه والحاجة العظمى لماله وطعامه وكان ذلك الشيخ من أصحاب النكات الظريفة المستمجة يترقب الفرص حتى اذا حانت أرسل النكتة من فيه فتقع في قلب منظره كما يقع السهم الصائب في ثنابا الصدر ولم يكن في تلك الحاشية التي جمعها يد المنكر والفساد رجل يحب الآخر فكلمهم متنافرو المشارب مختلفو الآميال ولم يتحدوا الا على كسب أموال البك حالاً كان ذلك الكسب أم حراماً . قام ذلك الشيخ وقال للبك !

— سيدى وولى نعمتى هل ليديك الشريفة أن تتناول الكومنجة . . .

ولم يمهله البك أن يتم قوله فنهزه قائلاً

- كفى مجوناً وهزراً -

اندهش الرفاق لما فاه به البك لاعتقادهم أن البك يجب من يتغنى
بشهرته الواسعة في الكمنجة . اندهش الجميع وسكتوا ولكن شيخنا
السكرير لم يندهش ولم يسكت بل ابتسم ابتسام الفائر وقال وفي صوته
رنة الرجاء والاستعطاف

- الناس لا تشك في هزري ومجونى وهم أيضاً لا يشكون في
نبوغك وعبقريتك فهل لسيدى أن يتنازل ويشنف آذار عبده
ونظر البك للسماء ماداً يده لوجهة الشيخ
فتطن صاحبنا لما يدور في خلد البك فمشى على أطراف أصابعه الى
أن وصل لتلك اليد الشريفة وتناولها في يده وقبأها مراراً وهو يرجو
ويستعطف

فتقبل البك رجاءه وشنف آذان رفاقه ولم يكن حفظه الله حائقاً على
عبده ولكنه كان ممن اذارجاهم أحد ودوا لو كرر الرجاء. رات عديدة. وبينما
كان البك يشنف آذان رفاقه دخل عليهم رفيق آخر هلالوا لقدمه وصفقوا
ولكن البك عبس في وجهه وصاحفه مصاحفة جفاء وغضب فانقلب تمايل
الجماعة الى نفور وازدراء واستمر البك يضرب الكمنجة ورؤوس الرفاق
تميل طرباً الى أن انتهى فالتقى بها على الخوان ونظر للتقدم نظرة تجسم فيها
البعض وقال :

- ما هذا الجفاء يا سمادة الباشا -

فابتسم الحضور لتقرير البك وسكت الرجل فقال البك

- علام السكوت؟ أين كنت؟ وعلام تأخرت؟

- كانت امرأتى تلد

- لقد وضعت بأذن الشيطان كلباً

فقهقه الحضور وتمايلوا بأجسامهم وكانوا يضحكون ارضاء للبك وليس شيء أقبح من وجه من يتضحك ولكن البك كان يتغافل عن كل ذلك تغفيلاً لنفسه . وأقسم الرجل ثلاثاً على صحة دعواه فقال البك - انك تكذب . أنت تذكر النعمة التي أسبغناها عليك

- حاشا لله أن أكون ذلك الرجل

- صه . اياك والكلام . انى أعرف أين كنت أمس

وسكت الرجل وهو برىء لم يرتكب أثماً . وهل فى ذهابه لبيت ابن عم البك مرة فى الشهر اثم كبير؟ ولكن البك كان من الاغنياء الذين تشبه أخلاقهم أخلاق النساء فهراثم يغيرون اذا ما التجأ أحد حاشيتهم مرة فى حياته الى أحد سواهم

وقام الرجل المسكين وقبل أقدام سيده ومولاه فصفح عنه بعد أن فرض عليه جزية تقبلها الرجل شاكراً وهى أن يقوم هذا البائس ويقبل أيدى الرفاق أجمعين ثلاثاً بعد أن يصفعه كل واحد منهم مرة وكيف لا يقبل ذلك الرجل الفقير ذلك وقد وضعت امرأته بالأمس طفلاً السادس

ودارت الكؤوس مرة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة ثم قاموا جميعاً وتناولوا العشاء وعادوا للراحة فى غرفة الاستقبال ولبثوا سكوتاً ومنهم

من أسند رأسه على كتيف صاحبه مستسما بالسكري ومنهم من اتهمز
الفرصة وتناول كأساً من الوسكى دون أن يراه أحد ومنهم من جلس
يفكر في حيلة يضحك بها اليك لينال رضاه أما اليك حفظه الله فكان
كلميت لا يعنى شيئاً وهذا حال كل رجل يدين الجسد اذا أكل ولم يحاذر
في أكله

ثم أفاق اليك ونادى أحد الرفاق وكان فتى في مقتبل العمر جميل
الصورة أهيف القصد اذا مشى تتنى كما يتنى العصفور وقد لعب به النسيم
وكان اليك يميل لمحدثته على انفراد لعدوية الفاظه ورقة حديثه فكان لا
يصبر على فراغه دقيقة واحدة ولهذا أسكنه اليك في غرفة من الساملك
حتى اذا احتاج لرؤيته لا يابث أن يراه
ناداه اليك قائلاً

— أين عودك يا صديقى . أمسك به وشنف آذاننا جميعاً فتناول
الفتى العود وابتدأ في الضرب وغنى لحنا تناول اليك عند سماعه الكمنجة
واشترك في الضرب والغناء معه وقام الرفاق يرقصون حتى اذا اعيامهم
الرقص جلسوا وهم يصفقون ويميلون طرباً كأنهم يسمعون عبده أو عثمان
وعند انتهاء الغناء دخل على الجماعة رجل يبلغ الخامسة والاربعين يابس
منظاراً أسود يحجب عن الناس ما في عينيه من شر وحسد وحقده وسلم
على الجميع بعد أن قبل يد اليك وقام اليك واقفاً رؤيته وعانقه والرفاق
في دهشة وكيف لا يدهشون والقادم صعلوك من حكم عليهم قديماً بالحبس
للتزوير والاختلاس وجلس الرجل بجوار اليك وأمر اليه كلمات ابتسم

لها البك وتهللت أسارير وجهه ولما رآه الرفاق يسر للبك شيئا ابتعدوا
قليلًا فقال الرجل لسيده

- قد انتهى كل شيء

- كم في المائة

- ثلاثون

- بورك فيك

وعاد البك للغناء والضرب على السك. منجبة والرفاق للرقص والتصفيق

..

لم يكن هذا الزائر الجديد الا رسول الباك المرابين لرهن مائة فدان
هي البقية الباقية من تراث آبائه وهل يتسنى لمن كان يمتلك ثلاثمائة فدان
أن يعتاد هذا البذخ وهذا الاسراف على جماعة يستأجرهم لتقبيل يده
والتغنى بكرمه وجوده دون أن يرهن ما عنده ليقتده صفقة خاسرة

وهب بعد قليل نسيم عليل ارتاحت له نفس الباك فقال وهو يتسم

- لو من الله على بألفى جنيه لكنت أشتري بها منزلا في رمل

الاسكندرية لأقضى فيه فصل الصيف من كل عام.

وتنهد الباك آسف على ذلك المنزل الجميل فقال أحد الرفاق

- لا تيأس يا سعادة الباك من رحمة الله سوف يمن الله عليك

بما تريد

ولم تقع هذه الجملة موقعا حسنا عند الباك فغلي الدم في عروقه وقطب

وجهه استياء ثم صاح

— يالك من غر أحق . عين الله على ؟ أتظن أني فقير أيها المجنون
وحق للبك أن يغضب هذا الغضب الكبير وهو الذي يغيب الفقراء
وبحسب الضمفاء فقام اليه الزائر الجديد ذو المنظار الأسود وحاول أن يزيل
غضبه ولكن البك لم يقتنع بشيء ، وكاد أن يهجم بضرب من أنهما بالفقر
والاحتياج لمعونة الله وعزز الرفاق سيدهم وسقط الرجل في يده وخرج
من الغرفة وهو يتمتر في أثواب خيبته وجلس البك وهو يرغى ويزبد
ثم تناقص غضبه شيئاً فشيئاً الى أن زال وعاد الجمع للمزف والغناء ، والرقص
ودارت الكؤوس ولعبت الحمر بالرؤوس فكنت أسمع في الغرفة النكات
تتلو النكات والشتائم تتبع الشتامم الى أن تملك التعب على القوم فعوسهم
فاستسلموا اليه وسقط بعضهم على الأرض لاجر الكبه واستأذن من تبقى
له شيء من قوته بحمله الى بيته الى أن خلا المسكان إلا من النائمين وكان
البك ملقى على مقعد ويجواره الزائر ذو المنظار الأسود يفتش في جيوبه
ولما انتهى من عمله نادى ادريس البربري ليحمل سيده الى الحريم

فرغ صديقي من قصته فالتفت الى وهو يقول

— ماذا تقول في هذه القصة ؟

فتنهدت وقات

صدق من قال ان شبان مصر الاغنياء لا يعرفون للضجر معنى

فأكرمهم وأنعم

— هذا طريق واحد من عدة طرق يسلكها هؤلاء الاغنياء لقتل

وقتهم وضياح ثروتهم

- وهل هناك طرق أخرى؟

- هيا بنا نخرج لاستنشاق الهواء في الجزيرة وهناك أقص عليك

صحة أخرى فخرجت معه وكلى آذان مصغية لحديثه ما

(٢ اغسطس سنة ١٩١٧)

حفلة طرب

كنت شغوفاً بالكونسير أيام كنت في باريس لا تفوتني من لياليه
لبلة تجمع بين الأناشيد الشجية والألحان الفكاهية والوجود الواضحة
والقدود المائسة والعيون الضعيفة القاتلة . هناك كنت أمتع عيني بالجمال
الذي صاغته يد الخالق في وجوه الحسان واملأ قلبي لذة يمازجها الطهر
وأذني ألحانا جميلة ينفسح لها الصدر .

أيام مضت كما يمر الحلم العذب برأس النائم والآن أنا بمصر محروم
من تلك الجباه المشرقة والوجوه الالامعة والغرر المتألقة والألحان الشجية
الجميلة وما أحوجتني الى رؤية شيء منها ان لم يماثلها جمالا وحسنا فلا أقل
من أن يكون باعثا من باعث الذكرى تهيج في قلبي نارا كاد أن يطفىء
أوارها النسيان

جلست أمس في مجلس جمع من الاخوان من كانت تتوق النفس

للقائه ويتأجج الصدر عطشا لرؤيته وكان بينهم صديق لم تره عيني منذ
سنين فكنت أجاذبه أطراف الحديث وكلى آذان صاغية له وابتدنا نتحدث
الى أن أخرج ساعة من جيبي ونظر فيها مليا ثم قال .

— هيا بنا . لقد ذنا الميعاد

— فقامت وأى ميعاد

— أنا على موعد مع أحد الأصدقاء لسماع مغنية جديدة فهل لك
في مرافقتي ؟ فأجبهته لمطالوبه واستاذنا الجماعة ومشيت معه جنبا لجنب
وصلنا الى القهوة ووجدنا على بابها شابا ينتظر ، قدّمه الى صديقي ،
فابتدرنا بقوله :

— لنترجع أدراجنا الى منازلنا

— فقال صديقي وعلام

— أن السيدة (. . .) لا تغني هذه الليلة

وحانت منى التفاتة الى القهوة فقلت :

— ولكنى أرى سيدة جالسة على (التخت)

فقال الشاب

— يا للعجب لقد تأخرت إذا عن ميعادها ربع ساعة .

فقلت لنفسى وأنا أتسّم (يا للعجب أول القصيدة كفر) وابتعنا

تذاكرنا ودخلنا القهوة ونحن نتسابق لسماع المغنية وأخذنا نجالسنا بين

الجمهور وجالسنا وكان على رؤوسنا الطير

القهوة فسيحة الأرجاء جمعت من شتات الناس المطربش والمعتم

ولابس الجلاية الزرقاء جماعة مختلفي المشارب خارج القهوة متجدي
الأميال فيها تموزهم ريشة المصور ترسم للناس الصور المضحكة المبكية
التي تبدو على وجوههم. ثم نظرت لجماعة المغنيين وضحكت حتى كدت أن
ألفت أنظار الناس لولا اندفاعهم لرؤية وجه المغنية الفاتنة التي كانت
تبسم للجميع وتحببهم أجمل تحية.

المغني الاول شاب أسود البشرة يظهر لي أنه من أم زنجية وأب
مصرى أو أنه نوبى من أهل أسوان أو عامل من عمال العنابر في مصر
له أنف طويل يكاد يلتطم مع شفته اليسرى وعينان سوداوان بهما جمال
عبثت به يد السهر والحجر وشارب قصير كرىش فرشة تنظيف الأسنان ،
وكان مرتديا بدلة بيضاء وبها بقع سوداء فما أقرب شكاه لشكل الفرس
الأبلق .

والثاني رجل مغناق الأجنان يجهد في فتحهما كلما دعتة الحالة فتعييه
الحيلة ، له فم اذا فغره خلته بثرأ واذنان كبيرتان وذقن طويلة تهتز مع رأسه
كلما أنشد كأنها تسأل الناس المعونة والأجر فما أشبهه بحلاق من جهة
سيدنا الحسين أصيب بالعمى فجاء ليرتزق في قهوة عمومية

أما الثالث فكان رجلا مرتديا جلاية بيضاء وحزاما من
المناديل الحمراء الكبيرة وجبة زرقاء وطر بوشامن غير (خوصة) لم يخلق
لحيته منذ أيام فظهرت شعورها في وجهه كما يظهر النجيل في الارض
القحلاء وكان اذا أنشد أخذ منه شكلا هندسيا يشبه المعين اذا نظرت
اليه ظننت أنه منجد ملك عنانه حب الغناء فأنى الى القهوة ليشنف آذانه

ودفعه ذلك الميل العريزي لامتطاء الدكة المعدة المغننين فجلس عليها يساعد
الجماعة على إخراج الأغاني صحيحة خالية من العيوب

أما الرابع فهو شاب نحيف الجسد أسمر اللون لا تفارق عيناه أديم
الأرض ولعله من المصايين بداء الحياء الشديد ولهذا لم يتيسر لي أن
أفترس في ملامح وجهه لأصفها للقراء . فهو رجل كما تقول العامة في (حاله)
ولهذا ندعه في حاله

أما الخامس فهو شيخ أحنث الأيام ظهره فأصبح كالقوس يداعب
المغنية من وقت لا آخر ولا أدري لماذا ؟ له طربوش تظهر منه شعور كتلك
الشعور التي أبقمتها يد التحنيط على رؤوس الجثث المحنطة في دار الآتار
المصرية مرتديا بدلة بحار ففكر الناظر أمامها فمن قائل أنها بدلة عادية ومن
قائل أنها رذنجوت قصيرة ومن قائل أنها من نوع جديد سوف يحدو على
منواله كل حائك في مصر فلا تلبث أن تصبح الموضة المصرية الجديدة
بعد أن انقطعت عنا في أيام الحرب موضة باريس . وهو أشبه الناس
بكتاب الدوائر الكبيرة .

وأما حامل العود فهو رجل بدين الجسد له وجه منتفخ تفارفيه عيناه
البراقتان تظهر عليه بعض مخايل الوجاهة ولا أدري لماذا ؟ ولعل ذلك لأنه
حامل العود والعود سلطان الآلات الغنائية . وأما حامل القانون فهو شاب
جميل الصورة أسمر اللون حسن الهندام يظهر عليه أنه كان غنيا ثم أناخ
عليه الدهر بكامله إذا لمست يده أوتار القانون اهتز جسده بأجمعه مع

اهتزاز النغمات وتقلصت شفثاه وتقطب وجهه فكانه يبكي أيامه الماضية
وثروته الضائعة

وأما حامل الكمنجة فهو شاب في ريعان الشباب أصفر الوجه له
شارب طويل يرتفع طرفه الأيمن الى أعلا وينخفض طرفه الأيسر الى
أسفل له وجه ليس فيه شيء من التناسب بين طوله وعرضه وجهه خليقة
بأن تكتب عليها بالثلث عناوين الادوار فما أشبهه بمجرى بعض
الجرائد في مصر

أما الأخير فهو يافع لأدري لماذا أتوا به ، يذكرني بيافع آخر كان يمر
على قهاوى العاصمة ليبيع السجائر (الفترية) التي اذا أشعلتها طار منها
شعاع يخيف الاطفال الصغار

أما المغنية فهي امرأة ذات جمال اغريقي في نحو الثانية والثلاثين
من عمرها قصيرة القامة نحيلة الخصر وضاحة الطلعة سافرة الوجه مرتدية
ملاء سوداء تصل أطرافها الى ركبتها فتزيدها رقة وحسناً لها فم جميل
لا تفارقه الابتسامة فكانما تساقط منه زهور الترجس والورد ولها شفثان
تتعدد أشكالهما كلما غنت فتارة تظهر عليهما صورة الاستعطاف وطوراً
صورة الاعراض وأنا صورة الحنو والامثال وآونة صورة التيه والاعجاب.
تغني ثم تضحك، وتضحك ثم تغني، وتبتسم وتخجل ولأدري لماذا تخجل
ولماذا تبتسم ولماذا تضحك وان كنت اعرف لماذا تغني!

ويخجل لى انها اذا خلعت ازارها الاسود وجلست لتعادتك خارج

القهوة وهي جادة في قولها يذهب عن وجهها ذلك الجمال الساحر والدلال
القاتل . يشفع ابتسامها الجميل في ضعف صوتها

...

انتهى الغناء وخرجت مع صاحبي فسمعت عند باب القهوة رجلاً يقول
- هذا غناء يخلله ضحكك وابتسام
فقلت في نفسي

- لقد أخطأت يا صاح هذا ضحكك وابتسام يخللهما غناء
(أغسطس سنة ١٩١٧)

صفارة العيد

المطفة التي تكلم عنها طويلاً ضيقة خالية من الارصفة تبدي
بحائط سميك وتنتهي عند الشارع الكبير ، حيث ترى على يمينها قصرأ
خفياً يخاله الناظر سجيناً أعد للمجرمين وعلى شمالها قبراً لشيخ وهي تقف
أمامه الرجال والنساء يقرأون الفاتحة وهم ينظرون للسماء نظرة رجاء وابتهاال
ثم يسحون وجوههم بأيديهم ليتم الله نعمته عليهم . وإذا سرت فيها فباعت
منتصفاً وجدت (أم مريم) بائعة الطعمية والساطة والسكرات جالسة
القر فضاء أمام حانوتها المكون من قفص تعرض عليه ما تبيعه لسائق عربية
السكر و لابن السبيل والفاعل . وإذا اقربت من بدايتها أى من الحائط

السميك الذي يقف في وجه المارة لينعمهم من المسير وجدت شجرة كبيرة
يتفنى ظلها كل من تعب وتماكك الانضاء . أما اذا أسرع في سيرك
خشيت أن تعثر في هاوية صغيرة أو تل لا يزيد ارتفاعه عن عشرة
سنتيمترات أو في القاذورات التي تلتقي بها أيدي المارة بلا خوف ولا حذر .
أما القصر فهو لأحد البشوات الذين أبوا أن يهجروا الحى الذى نشأ
فيه أجدادهم . وهو قصر كما قلنا عظيم يجلس على باب الخصى واضعاً رجلا
على رجل وممسكاً بسبحة يستمعين بها على قتل الوقت حتى لا يشعر بسأم
ولاملل . وهو شيخ فى الخامسة والخمسين من عمره له شفاة تشبه قطع
(البفتيك) التى تقدم لك فى مطاعم العاصمة وعينان يزداد احمرارهما كلما
(أخذته الجلالة) فنطق باسم الله العظيم وأنف أفطس كأنه صندعة وجدت
فى وجه الخصى منبتاً حسناً . وكان طويل القامة ضخم الجثة اذا مشى اهتز
كما يهتز الفيل

نحن فى اليوم الأول من أيام العيد والناس فى هرج ومرج والاطفال
يلعبون فى الشارع وقد أمسكوا بالأعيهم وارتدوا ملابسهم الجديدة
وتساوروا وهم يضحكون ويقفزون . والآباء انشروحت صدورهم ومشوا
فى الشارع وهم يقولون بعضهم لبعض (كل عام وأنتم بخير) . وكان بين
الأطفال طفل نحيل الجسم أصفر الوجه ينظر لرفقائه نظرة تعبر عن غبطة
لهم وعن رثائه لنفسه حرمانه من سرورهم وسعادتهم . وكان خجولاً من
لباسه القدر وأقدامه الخافية . يقف بجوارهم ثم يضع يديه خلف ظهره

ويبتسم كأنه يسألهم السماح له بمشاركته ايام سرور العيد وليس في ذلك
بأس عليهم وهو طفل مشاهم يبكي اذا ألم به ضر ويضحك إن نال ما تصبو
اليه نفسه وأتى له أن ينال بغيته وهو يتيم توفيت أمه بعد ولادته بخمس
سنوات ومات أبوه بعد وفاتها بعامين فعاله عمه وأبن حنوز زوجة العم من
حنوز الام . مشى الاطفال الهوي بنائم غادروا العطفة وتواعدوا على العدو
في الشارع الكبير وجرروا فيه أشواطاً عديدة فسقط أحدهم على الارض
فأسرع إليه رفاقوه وهم يضحكون كما تغرد العصافير وعاونوه على النهوض
من سقطته فقام وهو كالح الوجه كاسف البال وقد جال الدمع في عينيه والسكنه
لم ينس أن اليوم عيد وأن البكاء محرم فيه وأن السرور فرض فما لبث أن
نسى سقطته وتناسى آلامه وجرى خلفهم الى حيث كانوا يقصدون . أما
اليتيم فلم ينس آلام نفسه تلك الآلام القاتلة التي كانت تدب في جسمه
فتطفىء نوره وتذهب بجماله وروائه .

ثم غادر الاطفال الشارع الكبير ومشوا في العطفة وهم يضحكون
وينشدون الاناشيد الصبائية الى أن وصلوا للشجرة الكبيرة وهناك
صاح أحدهم :

— لقد ابتعدنا عن الشارع الكبير وهناك تمر الباعة فهيا بنا نعود
من حيث أتينا وتسبقوا وقد علا صياحهم في الفضاء

ومرت في الشارع الكبير في تلك الساعة عربة كارو وقد ركب
عليها سائقها وهو شاب يشبه جسمه المكعب له رأس لها أربع أركان

يشبه مسطحها المربع . ألهب السائق جواده وهو يغني أنشودة بلدية جميلة (أسمر سمر مر صغير السن لوعنى) ولما اقترب من الخصى قرأه السلام بصوت جهورى فرد عليه الخصى السلام من أطراف شفثيه وهز رأسه كأنه يأسف على تدهور أخلاق السوقة . وعادت الاطفال فى تلك الساعة من الشارع الكبير الى العطقة وهى ماجأهم الوحيد وفى يد كل واحد منهم صفارة اشتراها من بائع يحول فى الطرق . وابتدأوا ينفخون فى صفايرهم ويغنون وتلك لعمرى موسيقى تبعث السرور فى القلوب وإن كانت غير شجية لتناقز نغماتها . وقف اليتيم معهم وقد أشجته تلك الموسيقى الجميلة واقترب من رفقائه وهم يرقصون ثم رقص معهم اذ لم يكن فى وسعه أن يفعل غير ذلك . فنظر إليه أكبرهم سناً وقال له بملء فيه :

— أين رداؤك الجديد يا على ؟

فلم يجب اليتيم وضحك الآخرون .

وقال نان : — أين صفارتك أيها الصديق ؟

وقال ثالث : — كفاكم رقصاً ولنصفر جميعنا . ليرقص من ليست

معهم صفارة

ولسكن اليتيم لم يكف عن الرقص وقد عزّ عليه أن لا يترنح معهم وضرب صفحاً عما سمعه كأن لم يعرض به أحد .

وفى تلك الساعة مر استاذ قصير القامة طويل اللحية يسير الهويناء فى طريقه وهو يداعب لحيته بيده اليسرى ومسبجته بيده اليمنى . فهرعت الأبناء للقاءه وهم الخصى واقفاً ثم مشى وقبل يده بينما كان الآخرون

يقبلون أطراف جيبته . أما الشيخ فهو رئيس الطريقة النيشبندية وهي
طريقة تختم على أشياعها أن يذكر كل واحد منهم لفظ الجلالة مرة في
كل عشرة دقائق . توفي شيخها القديم منذ خمسمائة سنة بعد أن نقشت
التقوى على صدره اسم الجلالة ولهذا سميت طريقته باسم النيشبندية .

ثم مر بائع الحلوى فهرعت إليه الأطفال وجري معهم اليتيم ولكنه
كان في مؤخرتهم فمد إليه أحدهم قطعة من الحلوى قائلاً

— خذ

فأشار على برأسه رافضاً واستكبر الآخر منه ذلك فألقى بقطعة
الحلوى على الأرض فالتقطها اليتيم وأعطاهم لكتاب جاثع كان يبصص
له بذنبه . وغادر اليتيم رفيقه وقد ارتسمت على وجهه صورة البؤس ممزوجة
بصورة عزة النفس وخلق رفيقائه وهو وحيد القلب وإن كان كثير الرفقاء
أما رفيقه الذي أعطاه قطعة الحلوى فقد مشى وهو يهز كتفيه ويصر خده
أنفة واستكباراً .

ثم حانت الفتاة من الأطفال الى الشارع الكبير فوجدوا محموداً
(الفتوة) قادماً عابهم فصاحوا جميعاً (محمود السبع حضر - محمود السبع
حضر) وصفتوا بأيديهم فأتسم لهم محمود وكان (فتوة) عطفتهم وسار
في طريقته على مهل ساحباً اذبال الخيلاء ومالوحاً بعصانته في الهواء كما يلوح
الفارس بسيفه وكان ضخم الجثة قوى العضلات له في المشاجرات القسط
الأوفر والفوز الأكبر مشهور بين فتوات العطفات الأخرى ولذا لقب
(محمود السبع)

نظر اليه الخصى نظرة امتهان وامتعاض ففقهه محمود ضاحكا حتى
استلقت انظار المارة و بصق الخصى على الأرض وكان هذا اكبر مجهود
يقدر على فعله لاهانة محمود ثم صاح أحد الاطفال

— المصارعة المصارعة خير مما تفعل ومن يتفوق على نظيره يأخذ
صفارته مكافأة له على قوته وشجاعته

فقال آخر : — وليكن محمود السبع حكما بيننا

فقال محمود : — بلا شك .

وقال رابع : — وليكن علياً (اليتيم) لا يملك صفارة .

فصاح الطفل الذي رمى لعلى بقطعة الخلوى

— سأصارعه فان تفوق على أعطيته صفارتي وان تفوقت عليه

صفعته على وجهه امام الجميع

فصفق الاطفال استحساناً وقطب على وجهه وشمس عن ساعده

فكنت ترى عند التحام جسمه بجسم رفيقه صورة غريبة على وجه كل

واحد منهما . الاول يدافع عن صفارته والثاني يدافع عن شرفه والفرق

بين الصفارة والشرف كبير وتغلب على رفيقه وألقى به على الأرض

وهو ممسك بتلابيبه وفرق بينهما الرفاق فقام على وهو رافع الرأس

وقال : — أين الصفارة ؟

فقال محمود السبع للمغلوب : — اعطه الصفارة ثم اذار وجهه عن الاطفال

وذهب للقاء صاحب له . فأخرج المغلوب صفارته من جيبه بعد تردد

ومد يده بها الى عدوه فأخذها على ووضعها في فمه كما يضع الظمان حافة

الكأس المثلج بين شفقيه وكأنه امتلاك العالم بأجمعه . وما لبث قليلا حتى ضحك الحاضرون ضحكة استهزاء وسخرية وكيف لا يهزؤون به ولا يسخرون منه وهو ينفخ في صفارة لم يشتريها بماله فألقى على الصفارة في وجوههم وسار على مهل وهم يصفقون خلفه . وابتعد عنهم فلم يشاؤوا أن يتبعوه خشية أن يفارقوا نهاية العطفة حيث يكثر الباعة فسار اليتيم الهوينى الى أن وصل للشجرة الكبيرة وهناك وقف هنيهة كأنه يفكر ثم جلس في ظل الشجرة وقد أسند ظهره الى ساقها ونظر جهة اليمين وجهة الشمال فوجد العطفة قفرة كقلبه فوضع رأسه بين يديه وبكى وهو يقول :

(أماد . أماد . أبتاه) بينما كانت الأطنال تغنى في الشارع الكبير

تم أفق بعد هنيهة فوجد الكلب الذى ألقى بقطعة الخاوى اليه
جالسا عند رأسه يلحس دموعه باسائه الغامى

(أغسطس سنة ١٩١٧)

ربي لمن خلقت هذا النعيم؟

(هذه القصة لموبسان الكاتب الفرنسي الشهير بديل المعرب
أشخاصها وزمانها ومكانها وموضوعها ممصراً كل شيء فيها فلم يبق من
الأصل إلا روح الكاتب واتباع المعرب في ذلك خطة تولستوى في
قصصه التي نقلها عن موبسان)

محمد بك عبد القادر رجل في الخامسة والحسين من عمره أقنى
الأنف أسود العيتين مقرون الحاجبين يقص شاربه ويعفو عن خطيته ،
إن مشى يسير الهويناً وإن جلس يتربع على كرسيه بعد أن يخلع خفيه ،
يرتدى الرديجوت ولا يحب سواها من الملابس الأفرنجية لأنها أقربها
شكلاً لمظاهر الصلاح والتقوى . مسلم في كل أقواله وأفعاله يذب عن
الدين كلما تعرض له ، لا يثق بالله في دينه ولا دنياه ، ويدافع عن
حجاب المرأة في كل مجلس يتناقش فيه أصحاب مذهب السفور مع
المحافظين على العوائد والتقاليد القديمة . وإن رأى شاباً جالساً في حان
يتعاطى كأساً من الخمر وقف في مكانه كالمصعوق ثم بصق على الأرض
ومشى في سبيله وهو يرتل آيات القرآن . له في بنك الكريدى إيونييه
عشرون ألفاً من الأصفر الزنات لا يتعاطى عنها فائدة متبعاً قوله تعالى
(وأحل الله البيع وحرم الربا) .

يسكن محمد بك في قصر جميل على ضفاف النيل نحو طه حديقة

غناء تمايل أشجارها كلما داعبها النسيم وتسمع فيها موسيقى الطيور
ممزوجة بألحان أمواج النيل . تلك موسيقى جميلة هادئة كأنها صوت
الحب في آذان العاشق اليأس . وإذا ظهر الشفق خلف النخيل وارتدت
السماء ثوبها الأحمر قبيل الغروب خيل للناظر ان هذا الاحمرار هو
دموع الليل يودع النهار . وإذا بزغ القمر في القبة الزرقاء في ليلة من ليالى
الصيف ود صاحب البيت أن لا يفارق الحديقة حتى مطلع الفجر . هذا هنا
كبير جاد به الله على هذا الشيخ الصالح مكافأة له على عبادته وصلاحه .
فهو به قرير العين مشاوح الفؤاد تلوح عليه أريج السرور كلما ذكر الله
ويلمع في غرته نور البشر كلما صلى على نبيه .

لم يرزق محمد بك عيد القادر إلا بفتاة جميلة الصورة حلوة الحديث
غضة العينين كأنها نرجسة جميلة في حديقة الشعر لا يتف امامها إلا
كل شاعر كبير الخيال بديع التصوير ولقد بلغت تلك الفتاة العشرين
منذ عدة أيام وفكر أبوها كثيراً في أمر زواجها وحادث زوجته في هذا
الشأن مراراً وعدد لها أسماء كثيرة من الشبان الأغنياء المتعلمين الذين
يتطعمون لهذا الزواج المبارك . واتفقا على شاب وجد في صالتهما
المنشودة وحادثت الأم ابنتها عنه فأبدت البنت نفوراً من ذلك الشاب
فأخبرت الأم زوجها بما كان بينها وبين ابنتها فاستاءت تلك النتيجة ولكنه
إختار شاباً آخر لم ترفضه الفتاة بل رفضت الزواج كلية . وعز على أبيها
ذلك الرفض وقامت بنفسه قيامة عصيان البنت لأوامر أبيها فهدها ما
شاء وشاء تمصبه وتفانيه في حب كل عقيدة قديمة صالحة كانت أو

فلسدة . وأصر على زواج ابنته بالقى الاول وأبلغها ذلك الحكيم الصارم
بشدة لم تعهد لها فيه من قبل قابلتها بالصمت والبكاء

..

لم يرق في عين الأم أن ترى ابنتها تبكى وتنوح وهالها أن يندب الفراش
عن جسم تلك الفتاة الخرود وأن يطيش سمها ويخيب رجاؤها وتقف
آمالها على شفا اليأس . خات الأم بابنتها في صبيحة يوم من الأيام بعد
أن خرج والدها للقاء أحد أصحابه وحدثتها في شأن زواجها بعد أن أقسمت
لها أنها ستكون ساعدها الأ قوى وعضدها أمام تعسف أبيها وظلمه فبكت
الفتاة وأنت وجئت أمام أمها تسألها الرحمة والمعونة .

علام تبكى هذه الفتاة ؟ ولماذا تستعطف ؟ وأى باعث يهيج في قلبها
تلك النار السكامنة ؟ كل فتاة تحب الزواج وتبحث عن شاب جميل وغنى
والشاب الذى انتخبه لها أبوها حسن الأخلاق كريم العنصر باذخ الشرف
منيع الساحة جميل الصورة كثير المال فلماذا تأبى الزواج به ؟ لعل في
الامر سرّاً آخر !

هذا ما كانت تقوله الام لنفسها وهى تمسح دموع ابنتها ولما هدأت
الفتاة قليلا قالت لها بصوت تمازجه الشفقة والحنو . « إني أعدك يا ابنتى
أن لا تزوجى هذا الشاب بل أعدك أن تزوجى الشاب الذى تصبو له
نفسك . فمن يكون هذا الشاب ! »

فنكست الفتاة رأسها وابتسمت ابتسامة باحت لا . ما يسرها الدفين
فقبلتها أمها وقالت (ومن هو ؟) فلازمت الفتاة الصمت وأندت رأسها

على كتف أمها وما تشأ الأم أن ترهق الفتاة بالاسئلة فاكتمت
بما عرفت .

..

وعاد محمد بك الى منزله وخت به زوجته ورجسه أن يؤخر هذا
الزواج المشئوم فأصر على عناده فلم تجرد الأم باباً من أبواب الرجاء
والاستعطاف الا وولجته ولكن البك عزت عليه أن يقهر في هذا الميدان
وقد جهل أن خذلانه أكثر شرفاً من انتصاره . ونظر الى زوجته وقال
- لعالمها تهوى فتى تود الاقتران به

فقات الأم وهي غاضبة

- واذا كان الأمر كذلك فأى ضرر يلحق بنا

- أى ضرر يلحق بنا ! انك تلعين بالنار أيتها المرأة . انى أحرم
على هذه الفتاة ترى نور السماء . سوف أعمل على سجنها وسوف أعيش
راهبة ما دمت حياً .

وخرج من الغرفة وهو كالمجنون ونادى فتاته فأنتبه ملبية طائفة
فابتدرها بالشتم والسباب وكاد أن يضربها لولا وقوف زوجته في وجهه .
وغادر البك المنزل وهو هائم على وجهه .

..

مضى على هذا الحادث شهران لم يحدث فيها شئ جديد . وخيم
السكون على هذا المنزل فكان اليك هادئاً ساكناً لا يلفظ بكلمة تشير
للموضوع القديم ولكن نار الغيظ كانت تتأجج في قلبه وكانت زوجته

هادئة ساكنة أيضاً ولكنها كانت تتألم خفية لآلام ابتئها . أما الفتاة فكانت تبكي آناً ليلها وأطراف نهارها وتتوجع سرّاً دون أن تبوح لأحد بآلامها . لقد كان لها بارق من المنى كذب برقه وعارض من الآمال أخاف ودقه فسلام على ماضى هوائها وسلام على رجائها وآالها

وفي ذات ليلة تعشى البك كعادته وشرب فنجانين من القهوة ثم دخن سيجارة وبدأ في صلاة العشاء ولم يفارق سجاداته الا بعد ساعتين قرأ فيهما أربعين ورداً ثم قام وتمشى في المنزل قليلاً ودخل غرفة نومه لينام وحاول النوم ساعة من الزمان فلم يفاح نخرج الى الحديقة دون أن يعلم بخروجه أحد .

تمشى البك في الحديقة ونظر الى السماء نظرة ابتهال وخضوع فوجد القمر لامع الصفحة والنجوم زاهية فقال مخاطباً ربه (ربى لمن خلقت هذا النعيم ؟) ثم نظر للأشجار فوجدها تمايل يمنة ويسرة وقد هب نسيم عليل يحمل اليه شذى الورد وعبق الياسمين فقال مخاطباً ربه (ربى لمن خلقت هذا النعيم ؟) ونظر للنهر فوجد أشعة القمر الفضية تلاعب أمواج النيل ورأى قاربا يحمل قوما يغنون ويضحكون وسمع فى تلك الآونة نشيد طائر يغنى فى جوف الليل البهيم فقال مخاطباً ربه (ربى لمن خلقت هذا النعيم ؟) ثم جاس على كرسي ونظر لسكل شىء ، لهذه الصورة الطبيعية التى رسمتها يد الخالق على صفحة الوجود ، لهذا الجمال الذى يكشف الستار عن عظمة الخالق وقوته وشفقته وحنوه ، لهذه الجنة التى هى مهبط الحب وخاوة اللذة والنعيم فقال مخاطباً ربه (ربى لمن

خلقت هذا النعيم؟) ثم تذكر أيام كان شاباً يخفق قلبه لرؤية العيد فأغمض عينيه ورتل آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ثم فتح أجنانه وقال (ما تلك إلا جنة ال . . .) ولم يدرك أي كلمة يتم بها جملته فروقف وهو حائر الطرف وإذا به يرى شبحين يسيران نحوه فاختنى وراء شجرة كبيرة تحجب جسمه عن الناظرين ودق قلبه دقات متتالية وقال لنفسه (من هو هذا الغريب الذي يجسر على التنزه في حديقتي قبل منتصف الليل)

واقترب الشبحان منه فتفرس فيهما فاذا به يرى ابنته تسير بجوار شاب جميل الصورة وقد أسندت رأسها على كتفه . عرف البك الشاب بعد أن تفرس في وجهه وقال لنفسه (هذا هو الشاب الفقير الذي كان يسكن بجوارنا أيام كنا نسكن بالجزاوي) ووقف الشبحان ومخادنا على مسمع منه ، فقال الفتى

— أنا . رغم على تركك يا حبيبتي واني أقسم لك اني سأبقى على عهد حبي الطاهر الشريف الى أن يضم عظامي القبر .

فأجابته الفتاة :

— وأنا أقسم لك على ذلك

وقبلها الفتى في جبهتها وسار . مما اتخذها وجهة السور . لم يرد أدراجة الى منزله .

خرج البك . من مخبأه وهو ساكن صامت ومكث هنيهة يفكر ثم انظر الى السماء والنهر والأشجار ، لهذا الجمال الطبيعي ، لهذه الجنة الدنيوية .

لهذا النعيم الحيوى وقال لنفسه بمد أن فكر قايلا فيما رآه وفيما سمعه (ربى
إنك خلقت هذا النعيم المحبين والمعزى ما تلك الاجنة الحب) ورتل
آيات من القرآن ودخل الى منزله وقد عات شفتيه ابتهامة تعبر عن
هنائه وغبطته .

..

مضى على هذا الحادث شهر من الزمان أقيمت في نهايته حفلة قران
الفتاة الغنية بالشاب الفقير وما كانت تلك الحفلة الا رمز انتصار الحب
الطاهر على كل شيء م
(اكتوبر سنة ١٩١٧)

كان طفلا فصار شابا

أحمد محبوب يبلغ من العمر عشرين عاما أقى الأنف أسود العينين
مقرون الحاجبين وضاح الطامة جميل الصورة طويل القوام اذا رآته النساء
نظرت اليه بطرف خفى واذا رأى النساء مشى مشية التيه والدلال . أبوه
من أغنياء القاهرة يملك ألف فدان من أجود أطيان الوجه البحرى والقبلى
وأمه من عائلة عريقة فى الحسب والنسب لا غبار عليها . رباه أبوه تربية
مصرية بحتة فنشأ يخاف أباه ويخشاه ولا يجسر على محادثته . واختلط بفئة
وضيعة تعلم منها لعب الميسر وولع به ولوعاً أنساه كل لذة فى العالم وكانت

له مربية تبلغ من العمر الخامسة والأربعين ربه صغيراً من يوم أن بلغ الخامسة وكان عمرها في ذلك العهد خمسا وعشرين عاماً وكانت قد طأقت من زوجها وهو رجل كان معاونا في إحدى زراعات الدومين . ومحبوب يحب مربيته ولكنه لا يخشاها . يهزأ منها إذا أغضبتة ثم لا يلبث أن يسترضيها فتنسى اساءته وتقبله وتضمه لصدرها ضاحكة مستبشرة .

لقد بلغ محجوب العشرين ولكنه لا ينس أيام كانت تضربه مربيته وهو طفل إذا هفها هفوة أو ارتكب اثماً .

أينسى يوم أن تساق شجرة النبق في الحديقة وكاد أن يسقط على الأرض . لقد أمسكت به مربيته والعصا في يدها تفرعه بها ناهية إياه أن لا يعود لما فعل . وهل ينسى يوم أن مكث في التمايل يلعب ويترح وكان الوقت ظهراً فتهاه السقا عم عبد الرزاق عن ذلك فشتمه ورفسه برجله الصغيرة . انه لا ينسى ذلك اليوم وقد لطمته مربيته على وجهه وهي تؤنبه على ما فعل . وهل ينسى يوم أن التقط من الأرض بقية سيجارة كان يدخنها أبوه وأراد أن يستنشق الدخان فرأته مربيته من المفظة ونادت به فهم بالهرب وأبى الدخول للمنزل الى أن حملته الخصى وأتى به إليها اينال جزاءه ؟ انه لا ينسى كل ذلك . وان لاطفولة حوادث تبقى مرسومة في رؤوس الشبان والرجال الى الأبد

وكان القصر الذي يسكن فيه محجوب وعائلته في حي من الأحياء الوطنية ذوات الشوارع الضيقة . وكانت تحوطه عدة بيوت صغيرة لأقوام من بيته ليست بالغنية ولا بالفقيرة . وسكن أمام قصر محجوب

رجل تاجر حسن السيرة له زوجة و بنت تبلغ الخامسة عشر وولد يبلغ العشرين يساعده في ادارة خانوته .

وكانت تشتغل زوجته طول نهارها في أعمالها المنزلية وتساعدها ابنتها من وقت لآخر . واذا ما خلت البنت بنفسها جلست أمام النافذة التي تطل على غرفة محبوب تنتظر إياها من المدرسة . فكان اذا ما دخل غرفته أشارت اليه بالسلام ويتدآن في المغازلة . ففى ذات يوم دخلت عليه مريته فوجدته يشير يميناه للفتاة فنظرت اليه نظرة ريبية وامتعض ثم تركته وخرجت من الغرفة دون ان تنبس بكلمة . ولم يمر محبوب ذلك الحادث اهتماماً واتمضى اليوم على صمائه . ولكنه لاحظ بعد ذلك ان مريته تكثر من الدخول في غرفته ساعة اياه من المدرسة كأنها تود أن تنمعه عن محادثة الفتاة فسأه ذلك منها وود أن تكف عن مراقبته فعمد الى حيلة ناجمة فكان اذا عاد من المدرسة أحكم اقفال باب غرفته بالمفتاح ليفعل ما يوحيه اليه هوواه

واهدت مريته لسر حيلته فدقت على بابه بيدها ففتحه لها بعد ان أشار لفتاته أن تتوارى . ودخلت المربية ووجدت نافذة الفتاة خالية ذفا تبسمت ابتسامة الهازى وقالت له

— لقد طار العصفور من القفص

— وماذا تقصدين من ذلك؟

— انك يا ولدى تسمى لنفسك . أنسيت أن الحب يشغل المرء عن

اداء واجباته .

- انى حريص على أدائها فدعى اللوم جانباً
- يا لك من غرأحمق
- انى أكره أن يسبني أحد
- ولكنك ترتكب المعاصى على مرأى من الناس . ألا تخشى
أن أخبر أباك بما تفعل
- انى لم يخرج من غرفته بعد فهل الك أن تذهبي وتفصى عليه ذلك
- سأفعل

وخرجت وهى غاضبة وخاف محجوب أن تخبر أباه بهواد فلما
دنا وقت العشاء انى أن يأكل مع أبيه فدعى المرض ونام وهو جوعان .
ثم مضت أيام وهو يسأل نفسه عن سر مراقبة مربيته له فلا يهتدى
إلى شىء . انه لم يلاحظ شيئاً فى حركاتها ولا فى سكناتها فعلام لا تركه
حراً يفعل ما يشاء وليس فيما يفعل ما يدعو للخوف والحذر . وعلام
تغار من هذه الفتاة التى لم تبلغ الخامسة عشر وهى امرأة آرت على الخامسة
والأربعين . هذا سر غامض يدعو للتفكير .

خرج محجوب فى يوم من أيام الجمعة وقابل رفقة من أصحابه لمب
مهم الميسر وخسر ما فى جيبه فرجع البيت وهو يعرض بشأن الندم .
وسأل عن أبيه فقيل له انه خرج وعن والدته فقيل له أنها استناول طعام
العشاء عند خاله . فدخل غرفته وجلس أمام نافذته وأمسك برواية من
الروايات الحديثة ليقتل بها الوقت . وبعد هنيهة رأى حبيبته فى النافذة

تبتسم له . ولبت بحادثها ويشير لها الى أن رأى خيال مريته في الغرفة
الأخرى فكف عن محادثة حبيبته وأشار لها أن تبتعد فابتعدت وجلس
وحيداً ينتظر الرقيب

فدخلت مريته بعد عدة دقائق وقد استشاطت غضباً وقالت
بصوت متهدج

- هذه هي المرة الأخيرة فان عدت لفاعلتك أخبرت والدك بكل
ما فعلته

- وأي باعث يستفز غضبك وأنا لم أجن ذنباً يستحق اللوم؟
- أي باعث يستفز غضبي ! انك حقاً ساذج لا تعرف الى أي هوة
أنت مسوق . وأخشى أن تدور الدائرة عليك
- اني أكره هذا الحديث
- أتأبى استماع نصائحي؟
- انها لا تصلح الآن بعد أن كللتني الرجولة
- يالك من شاب أبله

سمع محجوب هذه الكلمة فقام غاضباً وهم أن يغادر الغرفة فأمسكت
به مريته ولفّت ذراعها على خصره ومنعته من الخروج فهمم بالافلات منها
فامس جسمه فلم يجد بأساً في البقاء فلف ساعده أيضاً على خصرها
متظاهراً بالهجوم ليدافع عن نفسه ووقع نظره على وجهها فاذا به يرى
صورة غريبة شهوانية لم يرها من قبل في ذلك الوجه الذي عرفه من يوم
أن كان (يجبو) على الوسائد . فوقف هنيهة ينظر اليها وتنظر اليه وكانت

لم تزل بضة البشرة عايبها مسحة من الجمال بالرغم من الحمسة والأربعين
عاما التي قضتها وكان محبوب شابا يهيج شهوته الخادرة أي تباعث
سغير . فأطال النظر اليها وأطالت النظر اليه وسمع أنفاسها تتردد
في صدرها وهي تنظر نخصة شعره الاسود المسدلة على جبينه ثم قبلته
في فمه فقبلها في فمها وتعانقا وتلاصق جسمها بجسمه وأحس بنهديها اللذابتين
تدلك بهما صدره

ثم غابا عن الوجود

.

لقد كان طفلا جميلا فكانت تحبه مريدته كأُم حنون والآن صار
شابا جميلا فأحبهته مريدته كعشيقة ضرم الحب أنفاسها .
فيا للعجب مما تراه العيون في ظلام هذه الحياة

(سنة ١٩١٧)

العاشق المفتون

بالرتب والنياشين

(من رسائل مجبور افندرى)^(١)

خطاب من كاتب الى رجل لا يعرفه

يا صديقي العزيز .

اسمح لي أن أناديك بالصديق العزيز مرة في كل عام وان كنت لم
أسعد في حياتي الماضية ولن أسعد في حياتي المقبلة بمعرفتك ، ومعرفتك أمر
هام جداً ، بل هي شرف عظيم لكل من يجد في قربك سعادة لنفسه وراحة
لضميره الممذّب . ولكني لا أكتبك - وان كانت صراحتي تؤلمك -
إني لا أود وان أود أن تسمح لي الظروف بمعرفتك بل برؤياك
لماذا إذاً أخاطبك في العام مرة واحدة ؟ لماذا أكتب اليك
هذا الخطاب وبينى وبينك مسافة ما بين الارض والسماء ، مسافة طويلة
جداً ، ولكنها لا توجد إلا بين نفسي ونفسيك ! ما جمانا قريبان
وربما التطنا في الطريق مرة واحدة لانا نعيش سوياً على صعيد
واحد ، هو مصر . اذاً لماذا أكتب اليك ؟ اني لا أسائل نفسي لأنني

(١) كان في عزم الفقييد أن يكتب سلسلة مقالات تحت هذا العنوان

ولكن لم يتم الا هذه القطعة

أعرف السبب وسأذكره اليك فربما وجدت فيه عزاء انفسك
المضطربة وراحة ضميرك الهائج . ولكنني لا أريد أن تتكلم سويًا إلا
إذا اعتقدت اني صريح فيما أقول وأنه لا يحملني على مناقشتك إلا أمر
واحد هو حبي للناس . ومن هذا الحب تولدت في قلبي عاطفة غريبة
نحوك ، عاطفة تكونت من عصير الشفقة والرثاء . وما أجمل الصراحة
التي يتساقط من نورها الوضاح شعاع الشفقة والرثاء .

أنت بلا شك لا تغضب لأنني صريح ولكنني أخشى أن يسوءك
رثائي وشفقتي . لهذا أود من صميم قلبي أن تتنازل عن كبرياءك
عفوًا أيها الصديق العزيز! عفواً! لقد أخطأت مرة ثانية وقلت انك من
المتكبرين المتعطرين . ولكن ما الذي يضرك ، وهل يسوءك أن أصفك
بهذه الصفة وأنت ممن يحدون في الكبرياء والابهة لذة لا تقدر أن تضن إذا
انني لم أغضبك مرة ثانية وانني لم أخطيء بالمرّة . فاسمح لي إذا أن أقول
لك اني أود من صميم قلبي أن تتنازل عن كبرياءك في غضون تلك
الساعة الزمانية التي نود أن نتحدث فيها سويًا وأن لا يسوءك اني أشفق
عليك وأرثي لحالك .

إذا فلنبدا الحديث على الشروط الماضية . وحديثي معك يبدأ هكذا:
أنت أيها الصديق أحد رجلين ، فإما أن تكون من أعيان القاهرة ،
تلك الجماعة التي تسكن القصور الشائخة تحوطها الحدائق العناء ، والتي
تركب السيارات ذوات المناقيخ المزعجة ، والتي إذا تكلمت تأنت في
كلامها ووزنت كل حرف بميزان الأبهة والكبرياء ، والتي تلبس الملابس

العالية وتأكل الطعام الفاخر ، والتي تجدد في التبخر ، اذا سارت ، باباً
جديداً من أبواب الظهور بين الناس ، والتي اذا زارت لا تزور الامن له
صلة بكبار رجال الحكومة ولهم تحنى ظهورها . وتمد للرق رقبها ، أما
لغيرهم فتظهر بمظهر المتعجرف الشاخص الذي اذا جلس التحف بجلباب الكبر
واذا سار امتطى ظهر التيه .

إما أن تكون هذا الرجل وإما أن تكون الرجل الآخر ، أى من
أعيان الريف الذين اذا أكلوا في منازلهم اكتبوا بالعيش والفتة واذا
زارهم المأمور ذبحوا له الخروف يتلوه الخروف ، والذين ينامون في غرفة
ضيقة وياتحفون بلا بسهم ولكنهم يعدون في قصرهم لرجل الحكومة
غرفة جميلة وسريراً حريراً ولا يستنكفون من أن يقفوا في خدمته وقفة
الخاضع الذليل ولكنهم يستنكفون أن يسجدوا لزوجاتهم وأولادهم أن
يأكلوا معهم .

إما أن تكون الرجل الأول أو الثانى . وسيان عندي أن تكون أحد
الرجلين لأن نفسيكما نشأت من نبع واحد ، فأتما شخص واحد . دع
عنك فروق المعيشة فما هى الا نتيجة الجو الذى عشتما فيه . ولا يهمنى من
أمركما إلا شئ واحد هو خضوعكما لمن فى يده القوة واستنكافكما من
معاشره الآخرين .

الآن قد انتهيت من وصفك ويخيل لى أنك توافقنى عليه لأنك
عاهدتني قبل محادثتك بتنازلك عن كبرياتك وباعتقادك أنى أصارك
القول . والآن فلنتحدث قليلا لأعلمك لماذا أخاطبك فى العام مرة

واحدة . أظنك لا تنكر يا صديقي أنك تقضى العام كله ما عدا عدة أيام فلائيل وأنت مستطار الفؤاد حزين النفس ، تقوم مبكرا من نومك وفي رأسك شاغل كبير يقطع عليك أحلامك ويصور لك الحياة في صورة قبيحة لا ترضاها لنفسك . أليس الأمر كذلك ؟ ذلك الشاغل هو قيمتك في أعين الناس . أنت تود أن تكون قيمتك كبيرة جداً ، تريد أن يكون مقامك بين نظرائك أكبر مقام تسمح به الهيئة الاجتماعية في مصر ! ولكنك مع الأسف تجهل ماهية القيمة الانسانية بل ربما كنت تعرف ماهيتها ولكنك تتغافل عنها لانك لا تجد فيها الطريق السوي الذي تسوغ لك كفاءتك السير فيه . لهذا تسير في طريق آخر آملاً أن تصل به الى العرش الذي تطمح نفسك لارتقائه . وما تتيح هذا الا من جهلك لانك بلا نزاع لم تنظر للحياة بمنظار الحقيقة ولم تلبس بعد لباس الحقيقة ولم تشرب ايضاً من ينبوعها الطاهر . وليس الذنب ذنبك أيها الصديق العزيز لانك نشأت في جو لم تنل فيه من العلوم والآداب قسطاً وافراً فانت بطبيعتك جاهل ، لهذا ظل قلبك مقتلاً أمام نور الحقيقة ، ذلك النور الذي يتغلغل في حنايا القلوب فيضيء ظلماتها القائمة . اذاً أنت من الحزب المصري الذي يرى قيمة الرجل بالرتبة التي يذالها أو في النيشان الذي يحلى به صدره . وباليته يرى ذلك خسب بل يمتد نظره الى قاع تلك الهاوية فيرى أن ليس من العار على الرجل أن يفعل كل ما في وسعه وأن يبرر كل واسطة للوصول لغايته . فأنت اذاً من هذا العنصر ، أي أنك تود رفعة المقام في الحياة دون أن تفعل شيئاً يذكر تستحق عليه

رفعة المقام . أظنك توافقني أيضا على ذلك . وأظنك أيضا تقضى العام كله وأنت تزور من له صلة بمن في يده تدبير الأمور . تزوره كلما سئمت لك الفرصة فتجاس بين يديه وقد جاس الكبر بين عينيه وتمشى الذل في سرايينك فأحنيت رأسك وتذلت في السؤال والكلام والسلام . ثم تعود الى بيتك وتجلس على كرسيك جلسة الكبرياء والعظمة وتفكر فيما فعلت .

انى أقسم بكل عزيز عندي فوق الأرض وتحت السماء أن ضميرك لا يلبث أن يوبخك وأنت ترى فيما فعلت ما يحمر له وجهك وترتعد فرائصك خجلا . ولكنك تنظر الى يمينك فترى صديقك فلان حائزاً لرتبة باشا وانت لم تحز بعد الا رتبة بيك ثم تنظر لشمالك فترى صديقك الآخر حاز نيشانا وصدرك ما زال خالياً من تلك الأوسمة الجميلة . ترى ذلك بعينك فيزيل احمرار وجهك ويحل محله الاصفرار ، اصفرار منشأه الغيظ والحسد ، وتظل ركبتك ترتعدان ، ارتعاداً ليس منشأه الخجل بل الغضب والحقد . فتنسى ما أتيتك به ضميرك وتقوم من مكانك وتركب عربتك لزيارة رجل آخر ممن يتصلون بأولى الحل والعقد . وتظل العام كله وأنت لا يقر لك قرار . فاذا دنا الميعاد وجاء الوقت الذى يتكرمون فيه على الناس بالرتب والأوسمة اكثرت من زيارتك وقضيت ايامك وأنت لا تنام ، يدنيك الأمل ساعة ثم لا يلبث أن يبعثك اليأس . ثم ماذا ؟ تظهر النتيجة فترى نفسك قد سقطت في الامتحان . ويلاه وألف مرة ويلاه . ويلاه لنفسك لأنك لم تنل غايتك ويلاه لزوجتك لأنك

تحرم عليها الطعام وويلاد لا ولادك لأنك تشبههم ضرباً وويلاد خدمك
لأنهم يظنون مدة وعم مهددون بالطرده . ثم ترجع لنفسك وتساءلها لماذا
فاز غيرك ولم تفز أنت فلا تهتمدى بشيء . ثم تسأل الناس وتعود لزياراتك
الى أن يساعدك الحظ وتنال ما تريد . فاذا نلت الرتبة أو النبشان تمشي
السرور في نواحيك وهزك الفرحة هزة تخشى أن تضر بصحتك . ثم تمر
الأيام وتنسى كل ذلك وتنظر الى يمينك والى يسارك فتري الصورة التي
رأيتها قديماً ، ترى قوما آخرين من أصحابك هم أعلا منك رتبة أو حازوا
نبشاناً لم تحزه أنت فتعود الى شاغلك القديم وتكرر الزيارات والخشوع
والخضوع ، أى أنك تظل طول حياتك معذباً مكروب النفس حزين
القلب فوأسفاه لك ! ومن تلك الحياة المنغصة التي ارتاضتها لنفسك .

واعلمك بعد هذا الحديث الطويل توافقتى بل تشكرنى لأننى أشفق
عليك وارنى لحالك . واسمح لى أيضاً أن أقول لك — وان كنت أشك
فيما سأقوله — ربما يجوز بخاطرك الآن هذا السؤال « اذا ما هو الطريق
الذى اذا سرت فيه استراح ضميرى وهدأت نائرة نفسى ؟ » . ما هو
هذا الطريق أيها الصديق ؟ سأخبرك عنه واعلم أن من أجل هذا السؤال
أكتب اليك هذا الخطاب . أنت است من العلماء لأطرق معك باب
العلم وأقول « اقرأ وألف واخترع » ، ولست من رجال الصناعة فأقول
لك « اعمل في سبيل رواج صناعة بلادك » ، ولست من رجال الأدب
فأقول لك « أى كتاب كتبت ؟ » ولست من التجار ولا رجال
الحكومة ولا ولا ولكنك من الأغنياء . أنت من الرجال الذين

يكنزون في بيوتهم القناطير المقنطرة من الذهب والذين اذا مشوا أو
ركبوا قال عنهم الناس « هذا هو الغني فلان » أنت من هؤلاء أيها الصديق
وأنا لا أطالبك بصرف مالك وتبذيره . كلا وألف مرة كلا . أنا أود أن
يظل مالك في حوزتك ولكني أرجو أن تتنازل عن بعض ايرادك لمن
يستحقه . بلادك أيها الصديق محتاجة لبعض مالك لينفق في سبيل الخير
أمامك الفقراء يودون أن يجدوا أمامهم مدارس يرسلون اليها أبنائهم بلا
أجر وأمامك الشيوخ الذين أقدمهم المرض والفقير والشيخوخة عن العمل .
ثم في حاجة للمجنىء يلم شتاتهم ويدفع عنهم ذل السؤال . وأمامك ، اذا سرت
في الطريق على قدميك الأطفال المتشردون الذين باحسانك ينصالح حالهم
فيعودوا بالخير على أمهم . وأمامك المرضى الفقراء فهل لك أن تنشأ لهم
مستشفيات وفي طاقتك أن تفعل ذلك ؟ هذا هو السبيل السوي الذي
تستطيع أن تسير فيه بأقدام ثابتة .

أعرف أيها الصديق ماذا يكون من أمرك اذا فعلت ذلك — على
شريطة أن لا تزور أحدا ممن كنت تزورهم وأن لا تحني رأسك للذل
ولا تمد رقبتك للرق — أتعرف أيها الصديق ماذا يكون من أمرك ؟
اني سأقول لك شيئا ستدهش له وأخشى أن لا تصدقني . ولكني
سأقوله على كل حال . اني أؤكد لك أيها الصديق ان تلك الرتبة التي
كنت تسمى لها ستسمى هي اليك وان النيشان الذي كنت تفتش
عنه في كل ساعة سيفتش عنك بنفسه . وسوف يقول الناس « ان الرتبة
والنيشان تشرفان بك بدل أن تشرف بهما »

ثم بعد ذلك ، بعد هذا الكلام الطويل بيني وبينك ، ما زلت أحس بدافع يدفعني لأن أقول لك شيئاً آخر ولكنني أفضل أن لا أقوله خشية أن تنفر مني وتظن اني واهم أو اني أخبط خبط عشواء . أأقول أم لا أقول ؟ لا أعلم ؟ دعني أفكر ! وأخيراً قد استقر قرارى على أن أقول هذا الشئ ، فان كنت حتى الضمير صدقتنى وشكرتنى وربما قبلتنى قبله أخوية طاهرة . أما اذا كنت ممن لا ينفع معهم الكلام فانى لا أخسر شيئاً كبيراً بما سأقوله بعد . أتعبت نفسى فيما قلته لك . اعلم يا صديقى انك بعد ان تقوم باحدى الاعمال التى طالبتها منك ستشعر بشئ غريب ، بشعور جديد ، براحة فى ضميرك توحى اليك بأن تعتقد أن خير جزاء وأن أكبر مقام هو تلك الراحة التى تشعر بها عند ما ترى عينك الاطفال الذين أصابحت حالهم والشيوخ الذين أويهمهم ، والمرضى الذين شفيتهم . عندها تنسى راتبك القديمة ونشانك القديم وتعرف أن الاحسان هو أعظم رتبة وأكبر نشان وأن الرتب والأوسمة ما هى الا وهام ما

(سنة ١٩١٧)



الشباب الضائع

رواية فصحبة مصرية

الفصل الأول

كان الأستاذ الشيخ محمد عبد العليم يلقي على تلاميذ الفصل الأول من السنة الأولى بالمدرسة الخديوية في الساعة الثالثة بعد الظهر درسا في (المبتدأ والخبر) . وكانت التلاميذ مصغية اليه اصغاء الطفل لنصائح أبيه لا حبا في الاستاذ ولكن خوفا من شدته اذ كان معروفا بينهم ببأسه وغاظ كبدته حتى لقبه أشقياؤهم بالصاعقة فكان اذا لاح شبحه من بعيد وهم يلعبون ويمرحون في فناء المدرسة صاح أحدهم قائلا «هلم بنا تغادر هذا المكان قبل أن نحل به الصاعقة» وتعقب هذه الصيحة ضحكات متواليات تدل على بغضهم للأستاذ ونفورهم منه . وما كان الأستاذ بالرجل ذي القلب الأسود كما يزعمون ولكنه كان ممن يتفانون في حب النظام ومراعاة الآداب وكم من مرة رأف بتلاميذه وأشفق عليهم وساعدهم اذا خانهم الحظ في الامتحان .

أتم الأستاذ درسه ونظر في ساعته ثم قال (ليرفع سبابتك من تعسر عليه فهم شيء من درس اليوم ؟) وأجال بصره بين صفوف تلاميذه فلم يجد بينهم من أجاب سؤاله فابتسم ابتسامة الظافر وقال (نتيجة حسنة تبشر مستقبل باهر إن كنتم فيما فعاتم صادقين) وحوّل بصره لوجه شاب أسمر اللون نحيف القوام ألقى الأنف أسود العينين يرى الناظر فيهما اثرا للحزن والتفكير . نظر اليه الاستاذ مليا والتاميد حاسر

الطرف ثم قال له بلهجة المهازى - (ما رأى أبى الانشاء فى درس اليوم ؟) فلم يحجب التلميذ بيئت شفة فأردف الأستاذ جملة بجملة أخرى أغضى لها التلميذ حياءً وكاد يجول لدمع فى عينيه إذ كان من خلقه الحياء الشديد ، حياءً يقرب من الجبن .

قال له الأستاذ . (أتولى عطفك أنفة وتصغر خديك استكباراً ؟) وألقى عليه سؤالاً فى درس اليوم وطالب منه الاجابة فلأزم التلميذ الصمت لتشتت فكره فقال الأستاذ وهو يحرق الأرم (لقد أهملت النحو وانصرفت نفسك للانشاء ، ولذا أتأتى بالخطأ القادح فى جمالك المنعمة ولو تبعت نصيحى وخصصت جزءاً من وقتك لدراسة النحو لكان لك فى فن الانشاء شأن عظيم إذ لا يتذكر احد جمال أسلوبك ولكنى أبشرك بخمول الذكر ما دمت لا تسمع إلا ما توحيه اليك نفسك) . وتمشى الأستاذ بمنة ويسرة وهو غير ملتفت للتلميذ ثم ادار اليه وجهه وقال (اجلس) ودق ناقوس معاناً للطابئة ساعة انصرفهم فخرج الأستاذ تبعه التلاميذ الى فناء المدرسة

وقف التلاميذ فى الفناء صفاً صفاً ونادى الضابط المعاقبين وكانوا كثيرين فى ذلك اليوم وانتظر التلاميذ ناظر المدرسة الى ان وافهم وادوا له التحية وهو واقف على درج لم يكن غير (سام الفناء) فأذن لهم بالانصراف فغادروا باب المدرسة وهم ثلثين بخمرة حريتهم بمد

خرج حسن أمين (أبو الانشاء) مع من خرجوا من التلاميذ
وهو يتعثر بأثواب خجله وخيبته وما زال يفكر فيما سمعه من أستاذه
أمام اخوانه الى ان وصل الى باب المدرسة الخارجى فابتدرة البواب
قائلا :

- ما الذى يشغل بالك يا حسن بك ؟

- لا شىء يا عم طه

وسار حسن فى شارع درب الجماميز وهو مطأطىء الرأس الى أن
وصل الى ساحة باب الخلق وهناك عرج على قهوة وطنية معاقبة عليها
لوحة مكتوب عليها بالثلاث (النادى المصرى) . وجلس فى ركن من
أركانها يفكر كالشاعر الذى يمنعه خياله عن رؤية ما حوله ثم وافاه خادم
القهوة حاملا تحت أبطه جريدتين وضمهما أمامه وهو يقول هاك اللواء
والمؤيد ياسيدى وسأتيك بالاهرام والمقطم بعد ان أعد لك القهوة
وتركه ليحبيب طلب معمم من لابسى الجلايب الزرقاء .

أمسك حسن « باللواء » فى يده وقرأ كل ما فيه مستثنياً الاعلانات
وهم بقراءة المؤيد واذا به يرى الخادم يضع أمامه فنجان القهوة يحف به
المقطم والاهرام فأعطاه حسن قرش صاغ وشكره الخادم وانصرف .
وقرأ حسن الجرائد الأربع ثم هم واقفاً وحمل محفظته تحت أبطه
وسار الهويننا لمنزله وكان يسكن الجزاوى . وصل حسن منزله عند
الغروب بعد ان قال لنفسه فى الطريق (لقد امتلكت تلك المقالة نفسى
وأسرت أبى فلهذا كاتبتها فهو أفضل من كتب) وتاه فى يبداء أفكاره قليلا

ثم علت شفثيه ابتسامة تشف عمسا في قلبه من فرح وقال (يا حبيذا لو
تحققت تلك الأحلام . أأغدو يوماً ما كاتباً؟ من يدري؟) ثم قرع باب
منزله ثلاثاً ففتح له الباب وصعد السلم فرأى والدته تنتظره في ردهة
البيت فقبل يدها وقبلته في خديه وقالت له :

— لقد تأخرت يا حسن فأين كنت ؟

— كنت أقرأ الجرائد يا أماه

— قراءة الجرائد يا ولدى أكبر مدعاة لاهمال الدروس فخل

عني قراءتها واشتغل بما ينفعك

— انك يا أماه تجهاين ما يجري خارج المنزل ولذا تلقين القول

جزافاً

— أنا لا أنكر يا ولدى أنى جاعلة ولكن شعورى يوحى الى

بما ينفعك

— لقد أنبى أستاذى اليوم لانى تبعت ما يوحيه الى شعورى

فوالله لا أدري الأصغى لنصائح الأم أم لنصائح الأستاذ

وترك أمه ودخل الى غرفته

حسن أمين هو ابن المرحوم مصطفى افندى أمين الذى كان

كاتباً بنظارة المعارف العمومية فى عهد توفيق باشا والذى أحيل على

المعاش قبل وفاته بسنتين . توفى مصطفى افندى فى سنة وفاة عزيز مصر

تاركا ولده حسن وزوجته عزيزه وبيتين صغيرين فى شارع الجمزاوى

استبدلها بمعاشه ، كان يسكن الطبقة العليا من أكبرهما ويتقاضى سبعة جنيهات أجرة الثلاث طبقات الباقيات .

مصطفى أفندي رجل لا يعرف عنه الا أنه ، صرى الأرومة طويل القامة بدين الجسم اذا غضب استرسل في غضبه دفعة واحدة وتناساه دفعة واحدة ، وكان أ كولا له في أنواع الأطعمة وألواها آراء جرت بين أهل ناحيته مجرى المثل ولكنه كان محبوباً من جيرانه يعظمونه ويذكرونه بالحسنى ويقفون له اذا مرّ أمامهم كأنه سيدهم وعميدهم

لم يذق مصطفى أفندي في حياته الحب ولم يستوجف فؤاده ذلك الشيطان الرجيم ولكنه كان ممن اذا مرت أمامهم سيدة تحمداً بجملها الفتان وحسنها الرائع . تزوج مصطفى أفندي في شبابه سيدة لم تضرب في الجمال بسهم وافر ولكنها كانت عفيفة سلسة القياد تقصد في بيتها وتكره التعالى في الزينة والتبهرج . عاشرت تلك السيدة دهرًا طويلاً أذاقته فيه حلاوة العيش ثم ماتت ولم تترك في أحضانها ولداً ولا بنتاً .

أسف مصطفى أفندي على زوجته أسفاً كبيراً وبكائها آناً ليله وأطراف نهاره حتى أصيب بمرض أودته الضعف والهزال وكان قد بلغ الخامسة والخمسين فأشار عليه بعض أصدقائه أن يتزوج فتاة حسنة تزيل أخطاها الساحرة عن قلبه نار الآلام المستعرة . ضحك مصطفى أفندي لهذه الفكرة وظنها كالحلم العذب اللذيذ الذي يمر ببيال النائم في ظلام الليل ولا يابث أن يزول اذا ظهر في الفضاء شمع الشمس . ولكنه راود فكره كثيراً ورأى في نفسه الحاجة لتلك الزوجة وما زال يجادل نفسه ويزيل العقبات من

سبيله الى أن تجسمت في مخيلته تلك الفكرة وأصبح تحقيقها أمنية الوحيدة .
وبحث مصطفى أفندي عن تلك الفتاة كثيراً الى أن وفق لعائلة ربها
شركسية توفي زوجها المصري تاركا لها ابنة وولدا . فخطب مصطفى أفندي
الابنة وكانت تبلغ الثامنة والعشرين وقيت الأم وهي تهللة الوجه
لا تصرف شبان الناحية عن ابنتها . ولم يهتم مصطفى أفندي بحال زوجته
إذ لم يكن جالها غاية الشيخ المريض الذي لا يرجو من امرأته الا عفتها
واعتناها . وتزوج بها وعاشت معه ثلاث سنوات ، ماتت في السنة
الأولى منها أمها ، ثم ولدت له ولدا سماه حسن فرح به فرحا كاد أن يقتله
وما زال يرتع الولد في أحضان أبيه وأمه الى أن توفي مصطفى أفندي بالغا
الثامنة والستين تاركا ولده بالغاً من العمر عشر سنين .

نشأ حسن ضعيف الإرادة - وابن الشيخ المريض لا ينشأ الا على
هذه الحالة ، لا يقدم على عمل الا بعد أن يتردد فيه كثيراً واذا أقدم عليه
ود أن يتركه ، ولكنه كان يميل للتفكير والخيال وكان به شغف بالكتابة
عظيم استحق به في المدارس الابتدائية لقب « أبا الانشاء » ذلك اللقب
الجميل الذي لم يفارقه يوم دخوله المدارس الثانوية .

عاشت عزيزة بالسبع دنائير التي كانت تتقاضاها من أجرة البيتين
ولكنها وجدتها غير كافية لقضاء حاجياتها وحاجيات ابنها البالغ السادسة
عشر ولذا وطدت العزم على العمل فاشتغلت بالخطاطة والتجارة ببيع الأقمشة
في بيوت الأثرياء والعظماء فكانت تريح من وراء ذلك ما تسد به نفقاتها
ونفقات تعليم ابنها .

..

دخل حسن غرفته بعد أن ترك والدته في ردهة البيت ووقف فيها
هنيهة كأنه يُقرئ السلام كل ما في الغرفة من كتب وفراش إذ للجهد
في قلوب أهل الخيال مكانة لا تقل عن مكانة بنى الانسان . وقف حسن
هنيهة ثم أرسل زفرة أطلقتها جوائحه لم يسمعها غير كلبه الأمين
(سحاب) الذى أناه يصبص بذنبه كأنه يسأله الصفح عن تأخره .
جاس حسن على كرسى ونظر لى كلبه نظرة العاتب ثم ناداه بصوت
حنون رقص له الكلب طرباً وقفز ليجلس على ركبتى سيده فأمسك به
حسن وداعبه قليلاً قائلاً له (أين كنت يا سحاب ، والى متى تهمل سيدك
وهو الذى أحسن اليك وآواك الى منزله ليلة كنت ترتمد برداً امام
الباب وقد نبذك أصحابك كما ينبذ الطفل النواة . أهذا جزاء الاحسان ؟)
وتنادى حسن فى عتابه واستمر الكلب فى اظهار ولائه وكان الوقت كما
قلنا وقت الغروب وقد اختفت الشمس ولم يبق فى الأفق الا احمرار
الشفق وحانت فى تلك الساعة التفاتة من حسن للنافذة فاذا به يرى فى
البيت الذى يقابل لبيبه فتاة تطل من نافذتها لتمتع بصرها بجمال الطبيعة
وتنظر نظرة المعجب لتورد خدود السماء . نظر حسن للفتاة نظرة لم
تعرفها التفاتاً كأنها أتت للنافذة وفى قصدها غير لقاته اذ الحياء كما نعلم
من خلق النساء . ناداها حسن بصوت يسمع السامع منه رنين الحب
والخوف فالتفتت اليه جافلة كما يجفل الريم وقد سمع خطوات الصياد .
ثم اطمانت له بعد أن عرفته وأشار اليها بالسلام فردته بأحسن منه وتلى

سلامه بقبلة أرسلها على أطراف أنامله احمر لها وجه تلك الفتاة الخرود
(الكثيرة الحياء) فكسرت من طرفها ثم رفعته اليه وقد علت شففتيها
ابتسامة جمعت بين آية الجمال والهيام . وابتدأ حسن في محادثتها فكانت
تسمع كلامه كأنها كانت معه في غرفته اذ لم يكن بين بيته وبينها غير
ثلاثة أمتار لا يعرفها الا من عاش في امثال ناحية الحمزاوى

قال لها حسن

— انى سعيد بلقائك يا ابنة خالي ولقد فكرت فيك طول اليوم
وأنا مثلوج الفؤاد وكنت كلما استرجعت في مخيالي صورتك المحبوبة
أشعر بالفرح بهز عظمي وبالسرور يتمشى في جوانحي . كيف حالك اليوم ؟
— كما ترومه أنت . وكيف حالك ؟

— المحب المحبوب لا يشعر بحزن ولا يتفجع لمكروه

— وهل حل بك مكروه ؟

— لقد خاصمني أستاذ النحو اليوم وعاقبني أمام اخواني الطلبة حتى

ندى وجهي عرقاً .

— أعد يا عزيزي خصام الأستاذ مصيبة تفتت الكبد وتمزق

الاحشاء .

— خصام كل أستاذ سهل على أفتسدة الطالبة ولكن خصام

(الصاعقة)

— أما زلت تسمى أستاذ النحو (بالصاعقة) ؟

— اسم وافق مسماه يا عزيزتى

- دع عنك هذا الفكر جانبا وانفكر بأمر آخر
- لنفكر بحبنا فهو أحسن وقمنا على قاي
أملت ليديه بمطافها عند سماعها كلمة الحب المرة الثانية ونظرت
اليه نظرة المحبة الوفية الصادقة وقالت :

- وهل يبقى هذا الحب في قلوب الرجال طويلا ؟

- ما بقيت الأرض والسماء .

- أم تستهو فؤادك اليوم نظرات العيد في الطريق ؟

أسير في الطريق وصورتك في مخيلتي . أنت معي في كل مكان .
في البيت وفي المدرسة وفي الشارع وفي الحدائق حتى وفي الساعة التي
أجتهد فيها لفهم درس يصعب على سواد الطلبة فهمه . أنت الحياة . أنت
الوجود . أنت الدنيا وما فيها من نعيم . واني أقسم لك على الوفاء حلقة
عاشق صدوق المقال يبر بفسمه حتى آخر نسمة من نسمات حياته .

واستمر الحب يغازل حبيبته و (سحاب) جالس عند أقدام صاحبه
كأنه الشاهد العدل على هذا الحب وعلى هذه الاقسام التي تترى على
ألسنة الناس ولا تلبث أن تذرورها الرياح . وسمعت ليديه أمها تناديهما
فأسرعت للقائهما بعد أن حملت النسيم قبالات عديدة وكاد أن يشعر حسن
بحرارتهما على خديه وما ليديه هذه الابنة تباع السابعة عشر تربت تربية
حسنة وتعلمت تعالما يحسد لها عليه الكثيرات من أترابها . وأبوها عبد
الرؤوف افندي خال حسن رجل طيب السيرة والسريرة سكن أمام منزل
المرحوم مصطفى افندي بعد وفاته ليكون عوناً لأخته (والدة حسن)

إذا دعيتها الحال لطالب المعونة، والحياة تدعو النساء كثيراً لذلك .
وقف حسن بعد أن غادرت ابنة خاله قليلاً ينظر للسماء تارة ولنافذة
حبيبته تارة أخرى الى أن سمع صوت أمه تناديه قائلة
— لقد أعددت الطعام يا حسن . هيا لتتناول عشاءك
— ها أنا ذا يا أمام

الفصل الثاني

— ألم تقرأ مقالة ابراهيم يسرى في مؤيد أمس ؟
— لم أطلع الجرائد أمس .
— أنا أعلم الناس بعاداتك يا محمود فانت ممن يأفون من مطالعة
الجرائد
— بل أنا يا عبد العزيز ممن لا يضيعون أوقاتهم في قراءتها
— بل ممن يضيعون أوقاتهم في لعب الكرة
— الكرة ديدنى يا عزيزى وانى لا أجد فيها ضياعاً للوقت كما تزعم .
وهل وقع ابراهيم مقالته باسمه ؟
— كتبها تحت اسمه المستعار كما دأبه
— انى لا أعرف لقبه الجديد
— لقد كتبها تحت اسم (ابن بطليموس)

- لقب مضحك

والتفت يميناً فرأى حسن أمين يقترب منه فصاح به قائلاً
- ألا ترى يا أبا الانشاء في لقب (ابن بطليموس) ما يدعو

للضحك !

- لقد قرأت مقالاته وأعجبتني فيها سمو خياله وجمال أسلوبه
اذ وسع الأهرام وأبا الهول وصفاً دل على سلامة ذوقه ونصاعة بيانه .
ألا تشاطرنى رأيت هذا يا محمود ؟

- أنا لا أشاطر الناس افكارهم في شيء لم اقف عليه . واظن اخي
عبد العزيز يوافقني على ذلك وان كان ينكر على اهمال مطالعة الجرائد
فقال عبد العزيز وهو كاره

- ان اهوائي لا توافق اهواءك يا محمود فعبثاً الكلام في ذلك .
- اني ذاهب لأرى من اميل الى مذهبه .

وترك محمود رفيقه وهشى يوسع الخطأ مبتعداً ممن لا يتكلمون الا في
جودة الانشاء وطلاقة اللسان . ثم التفت عبد العزيز لحسن وقال له :
- وما رأيك انت . انك بلا شك ممن لا يفضيهم الكلام النافع
- وهل ظننت في غير ذلك ؟

- كلا وحاشا ان اظن فيك الظنون . ولكني أرى بين نابتة
اليوم قوما لا يعبأون بخدمة بلادهم ولا يعملون الا على خذلانها
بانصرافهم للهو والألعاب ولذا تراني أرثي لحال محمود مع اعترافي له
بالتفوق في لعب الكرة . أنا لا ألوم التلاميذ الذين يخصصون جزءاً من

وقتهم للتريض ولكنى ألوم الذين لا يفعلون ذلك . ان المدرس يا حسن ساعة والتريض ساعة .

- بلا شك . ولكن أتعلم كيف توصل ابراهيم يسرى للكتابة في جريدة كبيرة ؟

- ابتدا بالكتابة في جريدة صغيرة وشجعه صاحبها على المتابعة حتى ثبتت أقدامه في ميدان الكتابة وهو ميدان وعركا تعلم . ووجد في نفسه الكفاءة لأن يحرر في جريدة يقرأها سواد الناس في مصر فسكتب في المؤيد

- ولكن علام تسألنى يا أبا الانشاء هذا السؤال . أفى نفسك ميل للكتابة في الجرائد ؟

منع الحياء حسن أن يصرح عما يجول في خاطره فأجاب صديقه قائلاً :
- أنا أكتب في الجرائد ؟ هذا أمل قل أن يتحقق

- ولم لا ؟ ان اسلوبك يا عزيزى انيق الديق الديق متهذب اللفظ ولا أغالى انك في مدرستنا . منقطع القرين

وعند ما سمع حسن عبارات المدح من فم صديقه قال دفعة واحدة وقد أنساه المدح حياؤه الطبيعى

- أتظن ان اسلوبى أرق من اسلوب ابراهيم يسرى ؟
وعات وجهه بعد ذلك حمرة الخجل كأنه لم يكن ينتظر من نفسه

ان يتفوه امام احد اخوانه بكلام يشم منه رائحة الفيرة
- ابراهيم كاتب تستعيد الأسماع عبارته واكته دونك بمراحل

- انك تمزح يا عبد العزيز

-- لم أعود المزح متى كنت جاداً. انى ألومك على كسلك وإهمالك
السير في الطريق التي اختطتها لك ، واهبك والكنى أحذرك لحياءك فأنت
وان كنت أفصح التلاميذ عبارة فأنت أكثرهم حياءً وأشدهم خجلاً

- هذا حق لا مرة فيه وانى أشكو انفسى حياءً نفسى

وسمع حسن تلميذا يناديه من بعيد فاعتذر لصاحبه وفارقه وهو
فرحان جذلاً . واتخذ بعد ذلك عبد العزيز وجهة المدينة وفيها لاقى ابراهيم
يسرى فقابله وهو مهال الوجه وصاخفه وهو يقول له :

- لله درك لقد قرأت مقالتك وما زلت تملأ بخمرة بلاغتك الى الآن

- خمره بلاغتي ؟ إنك تعالى في القول .

- أقسم لك بالله وبالشرف انى لا أقول الا الصدق

- وهل قرأت المقالة حتى آخرها ؟

- واستعدتها ثلاث مرات متواليات وقرأتها المرة الرابعة صباح

اليوم وأنا في الترام

-- وما رأى اخوانى الطلبة فيها ؟

- كلهم يحبذون عملك ويقرون لك بالتفوق في ضروب الانشاء

ومن بينهم من يحسدك

- من يحسدنى ؟ وعلام هذا الحسد ؟

- لأنهم يودون الصعود بلا تعب الى المسكاة التي وصلت اليها

يحسدك وعملك

— ومن هم هؤلاء ؟
— لم أحداث إلا فرداً منهم .
— ومن هو ؟
— انى لا أحب نقل الكلام من أفواه الحاسدين الى آذان
المحسودين

— أنت صديقى وأخى ولم أعود منك اخفاء الحقيقة عني
— اعذرني يا صديقى اذ كتبت اسمه عنك
— وهل فى ذكر اسمه من بأس ؟
— كلا ولكن علام كثرة الكلام فى مثل ذلك
— لقد عرفته فهو بلا شك أحمد عبد الله . انه نظيرى من يوم
أن أمسكت أنا على القلم
— ان الله لا يحب الظالمين يا ابراهيم وحرام أن تعظم الأبرياء
— هو اذا على فؤاد . انه لا يقرلى بفضلى ويهزأ بمقالانى
— ولا هذا أيضا . انك تحتال على لأصرح لك باسم ذلك الذى
أخطأ فى غمطك لا فى حسدك .
— اذا كان هو ممن يعطونى وليس ممن يحسدونى فلماذا
لا تصرح باسمه .

— أخشى أن تكون قد كتبت له الضغينة
— لست خسيس النفس ولا غليظ الطبع لأفعل ذلك .
— حاشا أن تكون كذلك يا ابراهيم ولكنى أبرهن لك على حسن

ظنى فيك أقول لك ان الذى غمطك هو حسن أمين
— أبو الانشاء !!! ...

وضحك ابراهيم يسرى ضحكة طويلة وأردف ضحكه بقوله
— لقد قرأت له موضوعا انشائيا رفع فيه المفعول ونصب الفاعل
وكاد أن يسكن المبتدأ لولا أن تداركته رحمة من ربه . اذا كان هذا الفتى
استغفر الله بل (هذه الفتاة) يحسدنى على ما أنا فيه من نعمة وهناء فبشره
بخذلانه وانحداره لانه لا ينهض وان ينهض من الهاوية التى رماه فيها
جياؤه النسائى .

— ان فى نفسه ميل للكتابة فى الجرائد

— يريد أن يجارىنى ؟

— بل يريد أن يظهر للناس بلاغته

— انه قلق المعانى مضطرب المبانى وسيدىق كذلك الى ما شاء الله .

ودق الناقوس فأسرع الطالبة للدخول فى الفصول .

...

جاس حسن أمام مكتبه وأخرج من قطره كتاب كليله ودمنة
وألقاه أمامه غير عابئ به ثم مكث هنيهة يفكر كأنه يسائل نفسه الاقدام
على شىء ثم أخرج من درجه ورقة بيضاء ومن جيبه قلما من الرصاص
وأسند رأسه بيده اليمنى واضعا قلمه بين يديه مستساما لأمانيه العذبة
وأحلامه اللذيذة ودخل فى هذه الساعة أستاذ المطالعة (وكان غير
الصاعقة) فقامت له التلاميذ وقوفاً لتؤدى له التحية ومكث حسن

جالساً كأنه لم يعياً بأستاذه وحسن حفظه لم يلتفت إليه الأستاذ . ابتداءً
التلاميذ في المطالعة وكان أول القارئین فتى من أبناء ملوى له لهجة أبناء
الصعيد وهي لهجة تستهجنها آذان أبناء مصر وإن كانت أقرب للمربية
الفصحى من لهجتهم التي لا تنبؤ عن أسماءهم . قرأ التلميذ واسترسل في
قراءته وفسر الالفاظ المغلقة وكان يمارضه الأستاذ في معانيها والاستاذ
من الاساتذة الذين يتعمدون الكلام باللغة الفصحى له . منظار لا يفارق
عينيه الا ساعة نومه ويقال أن أول شيء تمتد اليه يده عند استيقاظه
من نومه هو منظاره الكريم ولذا اعتاد أن يضعه تحت وسادته . وقيل
أنه حل بالمنظار في احدى الليالي حادث جليل وكان الاستاذ مستغرقاً
في النوم فلما استيقظ في الصباح بحث عن منظاره كعادته فوجد زجاجه
متهشماً فلم يفارق سريره طول يومه . كل هذا لا شأن له في قيمة الاستاذ
لانه كان وديع الاخلاق لطيف السجايا محبوباً من التلاميذ لتساهله
ورفته .

انتهى التلميذ الاول وابتدأ الثاني وحسن تأتته في بيدا افكاره
يكتب في ورقته جملة ويشطب أخرى ولا يسمع الا (قال دبشاييم الملك
لبيدا الفيلسوف) تقطع عليه أحلامه الخيالية . وما مرت الساعة الا
ومقالة حسن كادت أن تم الا قليلاً . ودق الناقوس فهرعت التلاميذ
للخروج وطوى حسن رسالته ووضعها في جيبه وحمل محفظته تحت
ابطه ووضع يديه في جيبي (بنطلونه) ومشى يترنح بمنة ويسرة وقد
أسكرته خمرة ما خطته يده .

خرج حسن مع من خرجوا من التلاميذ ومر أمام البواب كما دته
فقال له البواب وقد رآه مسروراً

— أسمعيت مساءً يا حسن بك

— أسمعيت مساءً يا عم طه

وابتسم حسن للبواب وأخرج من كيسه قرشاً أعطاه له في يده
فشكره البواب ودعا له وسار حسن في شارع درب الجمايز الى أن وصل
الى قهوة (النادى المصرى) وجلس فى الركن الذى اختارته نفسه منذ
طرفت قدماه أرض هذا النادى المبارك وطلب من الخادم القهوة كالعادة
وورقة بيضاء وقلم وخبيراً . وما لبث فى مكانه هنيهة إلا وأتاه الخادم بما
طلب وزاد عليه الجرائد الأربعة وأتم حسن مقاله فى النادى وفيه انتهى
من تبويضها أيضاً . وجلس يقرأها المرة الأخيرة واستوقفه عنوانها ثلاث
دقائق وكيف لا يستوقفه هذا العنوان هذه المدة الطويلة وهو عنوان
غريب وجميل (الأم الشقيقة القاتلة) وماهى تلك الأم التى تشفق على
أبنائها ثم لا تلبث أن ترهق أرواحهم . هى بلا نزاع البورصة وانه حقا
اسم وافق مسماه . قرأ حسن العنوان للمرة الخامسة والعشرين بعد المائة
وهو يبتسم ويقول لنفسه (ليت شعرى أينشر صاحب الجريدة مقالتي
هذه ؟ ولم لا ينشرها ؟ وهل أنا أقل شأنًا ممن يكتبون فى جريدته . لقد
شهد لى القاصى والدانى فى المدرسة بمتانة الأسلوب وعلو الأفكار . انها
بلا شك ستنشر ولا نزاع فى ذلك)

وقرأ مقاله مرتين وأراد أن يقرأها المرة الثالثة ولكنه سئم من

التكرار فطواها ووضعها في ظرف أتاه به الخادم وكتب على الطرف
بخط واضح :

إدارة جريدة الحقائق بالقاهرة

حضرة الفاضل رئيس التحرير

• مصر

وهم واقفا وهو يتسم ثم سار في شارع محمد علي .وسما الخطا ومر
على أربعة من صناديق البريد ولكنه فضل ان يلقى خطابه في (دار البريد
الكبرى) بالعتبة الخضراء ليكون آمنا عليه ولما وصل الى تلك الدار
ألقى في صندوقها الخطاب ثم أرسل زفرة طويلة تعبر عما يخالج قلبه
من ألم اليأس وحلاوة الأمل .

الفصل الثالث

- ماذا تفعلين يا لبيبة ،
- ألبس ردائي الجديد يا أماه
- وعلام تلبسينه وأنت لا تغادرين الدار اليوم ؟
- وهل يسوؤك ذلك ؟
- كلا يا بنتي

لم تلبس لبيبة ردائها الجديد الا ليراه حسن . ونعيمة هانم أمها لانجهل ذلك واكنها تجاهله لأن الامهات يتغاضين عن هفوات بناتهن ويسعين سرأ في اصلاحها . ولذا سكنت نعيمة هانم ولم تناقش بعد ذلك فتاتها فيما فعلت

وظلت لبيبة تروح وتجي أمام المرآة وهي تصلح من شأنها الى أن حان ميعاد حبيبها فذهبت الى الغرفة التي تطل من شبابكها لتقرأه السلام وتستقبل قبالاته الحارة يحملها اليها نسيم الغروب .

دخل عبد الرؤوف أفندي بيته ونادى زوجته لتساعده على خلع

ملا بدسه فلبت نداءه وبعده ان لبس لباس المنزل جالس على مقعد من الخيزران واشعل سيجارة واسترسل في تأملاته . وجاست زوجته بجواره وهي تنظر الدخان المتصاعد من فمه الى سقف الغرفة . ثم التفت اليها بعد قليل وقال !

— سنغادر هذا المنزل آخر الشهر

— ماذا تقول ؟

— أقول إننا سنغادر هذا المنزل آخر الشهر

— والى أين نذهب ؟

— الى حيث يسوقنا القدر

— أنغادر القاهرة ؟

— هذا ما لا ريب فيه

— وأي حادث حدث ؟

حدث ما لم يكن في الحسبان . لقد خاضعتي رئيسي في الديوان فسمعت مرارا لجملة على نسيان تلك الهفوة الصغيرة فأبت نفسه الصفع وقرر نقلي في آخر الشهر . فاعنته الله على الدسائس الذين لا تهذب نفوسهم الا اذا أوقعوا بين المرء وأخيه

— ومن ثم هؤلاء الدسائس ؟

— قوم في الديوان عمادوني انشاطي واستقامتي وعزيتهم ان أكون

محبوبا من رئيسي فتمقربوا اليه بحياهم الشيطانية وانتظروا هفوة صغيرة ارتكبتها . فلما حانت لهم الفرصة أغروه على نقلي فصدع لاغرائهم

- أما من رجا في صفحه ؟

- لقد فعلت المستحيل فلم أنجح فكلى الأمر لله

سكنت نعيمة وقد هالها ما سمعت ومكثت مدة وهي تفكر في أشياء كثيرة . عزَّ عليها أن تفادر هذه الدار التي تربت فيها ابنتها . عزَّ عليها أن تبتمد عن المنزل الذي يسكن فيه أهل زوجها . عزَّ عليها أن تفارق القطعة التي ألقتها . وعزَّ عليها أن ترى الدمع يجول في عيني ابنتها لفراق من وهبته روحها الطاهرة . والأم وإن كانت تكره من ابنتها أن تميل لأحد الشبان فإنها تكره أيضاً أن تراها تبكي وتتجنب لفراق من تميل إليه . وما زالت نعيمة هانم مسترسلة في أفكارها إلى أن قال لها زوجها .

- وما قولك في هذه المصيبة الجديدة ؟

- وما ذا تريد أن أقول ؟

- كنت أظن أني سأنقل إلى بلدة قريبة كالجزيرة حتى لا أرغم على مفارقة هذا المنزل المحبوب ولكني سمعت اليوم بل تأكدت إنا سنسافر إلى أسيوط أو إلى دمياط

- يا لله . سنحرم من لقاء أحبائنا أعواماً عديدة

- ربما كان الأمر كذلك . تلك بلاد لا نعرف من أهلها أحداً وسنعيش فيها كالغرباء حينئذ من الدهر . عيشة الغرباء مؤلمة لا تحملها النفس .

- تلك مشيئة الله يا عبد الرؤوف

بينما كان عبد الرؤوف أفندي يحدث زوجته كانت ابنته لبينة واقفة
أمام الشباك وقد أسندت رأسها بذراعها واستسلمت لأحلام غرامها الى
أن سمعت صوت ابن عمها يقول

- مساء الخير يا عزيزتى

احمر وجه لبينة وقالت

- أهدت . مساء يا حسن . كيف حالك اليوم ؟

- كما يود لى كل حبيب . ما هذا الثوب الجميل ؟

- أراه جميلاً ؟

- جداً . ولكنه أقل جمالا من لابسته

- أتظن ذلك

- بلا شك يا فاتتى ، ان ثوبك جميل ويزيده جمالا قدمك الأهيف

وشعرك الاسود ومعصمك الجميل وعيونك الساحرة

- لا تطل مديحك يا حسن

- أنت حورية من حور الجنان وأنا عبدك الواله المطيع . ألا

تعرفين يا لبينة فيم أفكر كثيراً ؟

- فى نوالك الشهادة

- أنا لا أنكر انى أفكر فى ذلك ولكنى أفكر فى أمر آخر

تصبو اليه نفسى كثيراً . احذرى يا لبينة . احذرى فانه يلذ لى أن تحذرى

ما يحول فى فكركى فى كل دقيقة بل فى كل ثانية

سكتت ليبيبة هنيهة لتفكر ثم قالت :

- لا أعلم

- انك اذا لا تخبيننى لانك لا تفكرين فيما أفكر فيه

احمر وجه ليبيبة ووضعت كفها على وجهها لتخفى احمراره لانها أدركت أن حسن لا يفكر الا بزواجه بها وهو ما تفكر فيه أيضاً . ثم قالت له بعد قليل .

- بأى شيء تفكر يا حسن ؟

- ألم تدركى بعد ، انى أفكر فى زواجنا . فهل تفكرين فيه أيضاً

فقالت وهى مطمئنة الرأس

- فى كل آونة

فابتسم وقد سره سماع هذا الاقرار من ذلك التزم الجميل ثم قال

لها وقد ارتسم السرور على وجهه

- انى سعيد يا ليبيبة اليوم لثلاث أمور ، أولها رؤيتك فى هذا

الثوب الجميل وثانيها اقرارك لى بأنك تفكرين فى زواجنا كل آونة .

وثالثها أمر آخر لم يتحقق بعد

- وما هو ؟

- أنت تعرفين انى أحب الانشاء كثيراً

- نعم

- وأود أن أصبح يوماً كاتباً عظيماً فى إحدى الجرائد

- نعم

— لقد أقدمت على عمل عظيم اليوم

— وما هو؟

— كتبت مقالة وأرسلتها لنشر في إحدى الجرائد

— ولأى جريدة أرسلتها؟

— لجريدة الحقائق . . .

ولم تبد لي بيبية اهتماماً كبيراً لما أخبرها به حسن لتفكيرها بحججها وزواجها
وسعادتها فوز على حسن بل ساءه كثيراً أن يرى من لبيبة ذلك . فاحمر
وجبهه قليلاً وغص بريقه عندما حاول متابعة حديثه بشأن كل حي يدفعه
الحياة الى ما يترب من الجبن ثم نظر الى السماء كأنه يسأل الله خلاصه من
خيبتها ثم نظر الى الارض هرباً من نظرات لبيبة وكأنها شعرت بما يدور
في خلده فودت إصلاح خطأها فحادثته بصوت حنون تبرا عند سماعه
القلوب الكريمة قائلة

— أوافق أنت من نشر مقالاتك؟

— لا أعلم

وسكتت خوفاً من الكلام فابتسمت لبيبة ابتسامة تعبر عن هزيمتها

وسكتت ناظرة للنضاء

لبت حسن هنيئة يفكر وكل فتى حتى يحاول التفكير اذ فيه التعزية
الكبرى لخيبته وقد حدا به فكره الى مغادرة حبيبته ولكنه لم يستصوب
هذا الرأي مخافة أن يسيء لمن بهوى فزادت حيرته ولكنه اهتدى دفعة
واحدة لرأى ظنه صائبا وسرعان ما بهتدى التفتي الحى للآراء الجديدة .

فقال لنفسه سأشرح لها شؤون الكتابة والكتاب لتقف عليها. فالتفت إليها فوجدتها تبتهّم كأنها تسأله الصفح والرضى فقال لها بصوت متهدج - انك بلا شك لا تعرفين ما يعاينه الكاتب عند كتابته مقالته - أود أن أعرف ذلك

وكان هذا الرضى مفتاح استرسال حسن في حديثه فقال - آه يا عزيزتي لو كنت تعرفين ذلك؟ إن الكاتب إذا جالس أمام مكتبه وأمسك بالقلم في يده استرسل للتفكير أولاً فإذا ما اختمرت الفكرة في رأسه أراد أن يكسو معانيها ألفاظاً أنيقة تلذ القارىء، فإذا وفق لذلك خطها فلمه على الورق الأبيض بالمداد الأسود ويكون هذا شأنه في كل ما يكتب ولا تظنين أن الأفكار تترى في رأس الكاتب تباغواً ولا أن الألفاظ دائية القطوف. وإذا أراد الكاتب أن يكون بمسوط العبارة متناسب الفقر بعيداً فيما يكتب عن شوائب اللبس فإنه لعمري يحاول المستحيل والدليل أنا لا نجد في مصر عدداً كبيراً من الكتاب - وإذا وفق الكاتب الى كل ذلك،

- إذا وفق. يدخل جنة الحياة يحمله اليها ملائكة البلاغة - ما أحلى وقع هذا الكلام في أذني. أستحظي يا حسن بكل ذلك - إذا أراد الله لي الخير

- سأسأله في كل لحظة أن يذكرك هذا المقام الرفيع - أنت إذا تشاطر يذني فرحى؟ انك لا تعلمين كم أنا سعيد بذلك. ظننتك لا تهتمين بما تصبو اليه نفسى، بتلك الامنية التي أصبح اذا نلتها

أسعد إنسان في مصر فاذا بك تسألين الله أن أحظى بها عاجلاً فشكراً
لك ، اللهم شكراً لك .

ورفع حسن يديه للسماء شاكراً فابتسمت حبيبتة وقالت له

— ومتى تظهر مقاتلتك ؟

— بعد ثلاثة أيام أو أربع لانهم يتقدمون عليها . مقالات كبار

الكتاب وانى أعدك انك ستكونين أول من يسمع بظهورها

— بالسعادة نفسى فى ذلك اليوم

ونظر المحبان للسماء فوجدوا الظلام بدأ يضرب خيامه فافترقا وهما

يبتسمان . فلما أدار حسن وجهه لغرفته وجد نفسه فيها وحيداً ولم يطق

أن يستأثر بسعادته الكبرى فلم يدر ما يفعل فابتدأ بالتقمز فى غرفته فاذا

به يرى كلبه (سحاب) يقفز خلفه كأنه يشاطره هنائه وسعادته .



الفصل الرابع

أتى ناظر المدرسة الخديوية يمشى الهوينى الى أن وصل الى الدرج فوقف عليه ليحيط طلبته قبل انصرفهم . وكانت الطلبة قبل ظهور ناظرهم فى هرج ومرج فلما رأوه قادموا اليهم لزموا السكون كأنهم كانوا متأهبين له . حيا الطلبة رئيسهم وحيام وانصرفوا الى الخارج والحرية نصب أعينهم ، وليس شئ أحب الى قلب الطالب من تلك الساعة الجميلة ساعة انتهائه من درسه واستنشاقه عبير حريرته

مشى ابراهيم يسرى الهوينى الى أن وصل الى الباب الخارجى وهناك قابل عبدالعزيز واقفا يمسح حذاه وهو يطالع جريدة اللواء فابتدره بقوله

— هل من أخبار جديدة

— لا أرى شيئا يستحق العناية

— وباب المقالات؟

— أرى فيه ردآلمن يكتب تحت لقب (عبد ربه) على مقالات

احمد نديم

— لقد صار احمد نديم ذائع الصيت بين كبار الكتاب

— انه يكتب منذ سنين عديدة

— ومن هذا الذى يكتب تحت اسم (عبد ربه) ؟

— يقولون انه موظف باحدى النظارات وآخرون يقولون انه تلميذ

(بالمدرسة السعيدية) وآخرون يقولون انه من كبار قضائنا .

— أصدق انه قاض أو موظف ولكنى لا أظن أنه طالب

— ولم لا ؟

— أكتب الطلاب كلاماً كهذا

— وهل تستكثر عليهم ذلك وأنت منهم ؟

— انى ما زلت من الكتاب الحديثين

وابتسم ابتسامة تدل على اعتقاده عكس ما يقول ولا يستغرب

القارىء ذلك من ابراهيم يسرى بعد أن عرف كل اخوانه أنه ممن

يعتقدون فى أنفسهم الألوهية فى فن الكتابة وزد على ذلك أنه حسود

يكره أن يرى تلميذاً مثله يجاريه فى ضمائر القلم . أما عبد العزيز فهو من

التمامين الذين تدب عمارتهم بين القوم فتقطع بينهم حبال الود والاخاء

ومن يتبعون السيئة حتى يقضوا لبااتهم وينالوا غرضهم .

سمع عبد العزيز جملة ابراهيم وقال له :

— انى لا أعتقد ذلك

— أساوى (عبد ربه) وهو من جهابذة أهل العلم أصحاب النقد
الصحيح والفكر الثاقب
— لكل منكم طريق لم يسلكه الآخر . أنت تكتب فى الخيال
وهو فى النقد

— وهل تظن أنى عاجز عن انتقاد الكتآب أجمعين ؟
— أنا لا أقول ذلك وبسرنى أن أرى فى نقدك ان شاء الله صواب
الفكر ودقة النظر .

— سوف تقرأ عن قريب فى احدى مجلاتنا الكبيرة عدة مقالات
فى معنى النقد وشر وطه
— وأتعشم أن تكون بتوقيعك
— ان شاء الله تعالى . ألا ترى ان الكتآب الذين يكتبون فى النقد
يحيدون كثيراً عن الصراط المستقيم ؟
— لا ارى ذلك .

— هذا لأنك لم تقرأ فى الانكليزية كتب النقد الصحيح وهى
كثيرة يا صديق وان شئت اقرضتك كتاباً منها لتقف على هذه الروح
العالية المقفودة عند كتابنا سامحهم الله

وانتهى عبد العزيز من مسح حذائه ونفح ماسح الأحذية قرشاً
ومشى مع ابراهيم جنباً جنب وهو يقول له
— انى أشكرك يا عزيزى ومتى أحظى منك بهذه المنحة العظيمة
— غداً ان شئت ذلك

— ان نفسى اتواقفة لقراءة هذا الكتاب
— غدا تبتدى فى مطالعته فى حصّة المطالعة الانجليزية لان
ستاذها كما تعلم لا يهيمه كثيرآ ما تفعله التلاميذ
— إنه اذا دخل الفصل جلس على مقعده إلى أن يدق الناقوس
— ولكن نتيجته حسنة دائماً . فما السر فى ذلك ؟
— سعادة حظه

عند ما قال عبد العزيز كلمة « سعادة حظه » ضرب بيده على رأسه
كأنه يأسف على نسيانه ذكر أمر كان يوده أن يقوله ليسرى . ثم قال له
— لقد نسيت أن أقول لك أن صديقك أبا الانشاء قد أرسل
مقالة لجريدة الحقائق

— لقد أخطأت يا صديقى فى الصاق لفظ الصداقة بصفاتك وكان
الأولى أن تقول (حاسدك لا صديقك)
— انك ما زلت تضمر له الشر

— انى أمزح . معك يا عبد العزيز ولا أخالك تعتقد فى غير ذلك
وما موضوع مقالته ؟

— البورصة

— وما عنوانها ؟

— الأم الشفيقة القتالة

— ومتى أرسلها ؟

— منذ يومين

— ومتى أخبرك بذلك ؟

— صباح اليوم

— عنوان يأخذ بمجامع القلوب . انى أهنىء صاحبك يا صاح على

هذا الذكاء

— اما زلت تهبزاً به ؟

— ان العنوان أطربنى ولذا ترانى أترنخ كالشارب النمل

ومشى وهو يترنخ بئنة ويسرة بمقلداً شارب الحمر وضحك بعد

ذلك متحكة عالية ثم التفت الى صديقه وقال له

— بشر صاحبك بنجاحه فى مسعاه لأن صاحب « الحقائق »

فقير المادة فسوف يرى فى مقال أبى الانشاء عوناً له يستعين به

— أتهبزاً بصاحب « الحقائق » وأنت أول من كتب فيها .

— ان للحقائق فضل على ولى عايبها أيضاً فضل عظيم وأظنك

لا تنكر ذلك .

ووصل الصاحبان الى ميدان العتبة الخضراء فقال عبد العزيز لصاحبه

— كنت أود أن أتم حديثى معك ولكنى مجبر على مغادرتك

— وأين تقصد ؟

— شارع الموسكى حيث أشهرى (نصف دسمة) من الشرابات .

وغادر عبد العزيز صاحبه فوقف ابراهيم هنيهة ينظر طوراً للغبراء

وطوراً للسماء وهم الى جهة دار البريد وإذا به يسمع صوتاً يناديه فالتفت

خلفه ليرى المنادى وعندها صاح بلء فيه

— أنت ! أما داربخلدي أن أراك اليوم . فيا حسن حظي . لقد صدق

المثل العامي (افكرنا القط جانا ينط) وابن كنت ؟

كنت جالساً على هذه القهوة (وأشار بيده اقهوة النيل) لأستريح
وإذا بي أراك تقاب نظرك في أديم الأرض طوراً وفي صفحة السماء تارة
أخرى فقلت لنفسى والنفس كما تعلم تحب لقاء الأديب : هاك طابقتك التي
كنت تطمحين اليها منذ حين . فناديتك وأنا آمل أن تشملاني بعطفك
بعد أن رميتني بهجرتك وصدك

— لا صد ولا هجر فبما فعلت أيها الأخ الكريم ولكن المدرسة . . .

— لا تلجئني لأن أقول (العذر أقبح من الذنب)

— مغفرة وصفحاً لو كنت أذنبت وتسامحاً لو كانت الظروف

أذنبت .

— هذا كثير يا عزيزي . فلا تجمانى بالله عبد لطفك أبد الدهر

— لا يسع محدثك الا أن يقر لك بالتفوق في كل شيء ،

— هل لك أن تجانسني قليلاً ؟

— ذلك ما تصبو اليه نفسى . انى كنت أنظر لأديم الغبراء تارة

واصفحة السماء طوراً لانى كنت أنجث عن أخ كريم مثلك يسعنى من

فيه آيات السحر الخلال .

— بورك فيك يا عزيزي

وذهب الصديقان لقهوة النيل وجلسا أمام خوان صغير وابتدآ

في الحديث بعد أن صفق صاحبنا الجديد مرتين فلما أتاه خادم القهوة طاب

منه أن يأتي ابراهيم بفنجان قهوة أتى به الخادم بعد قليل .

— كنت منذحين مع بعض الاخوان وكنا نتحدث بشأن

جريدتك

— انى لأعجب لذلك بعد أن أغضيت الطرف عن جريدة لا أعدها

إلا من بذات فكرك

— لقد اعتذرت لك يا صديقى فلم تقبل عذرى وايس أسمى إلا شئ

واحد أصاح به خطأى . سأ أكتب فى جريدتك من جديد حتى لا تقول

عنى انى أهمتها بعد ان كنت من العاملين على نجاحها

— أشكرك يا صديقى

— ولكن كيف حال جريدتك ؟ أفى عزيمك أن تجعها يومية ؟

— لعن الله من يذوق لذة العلم فى بلد كمصر . انى أقرأ الجرائد

والمجلات الأوربية وأقتطف منها ما لذ وطاب وأنشره على صفحات

جريدتى ليستفيد منها المعتم والمطربش ولا يكون جزائى على كل ذلك

الا الصبر والاعراض

— لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

— واقدرت باب السياسة وباب الاجتماع وأردت أن أكتب

فى الفلك والرياضيات ولكن خاب فألى وتلاشت كل آمالى وكرهت

الصحافة بعد ان كنت أتفانى فى الزود عن حياضها

— كل هذا يفت فى ساعد اهل الأذب ولولا انك ذوهمه قصية

المربى وعزيمة تفل الحديد لنصحت لك بايقاف جريدتك

- حاشا أن أفعل ذلك ولو قُطعت أرباً أرباً . وسأعمل الى النهاية
وان أفلتت صحيفتي عطاءها ولم أنل منها الا النذر اليسير
— ألا تخاف الخراب ؟
— أنا واقع فيه يا صديقي من يوم أن فكرت في انشاء الصحيفة .
أنسيت ان الصحافة لم تنعم على بشىء
— وبعده ؟
— سأجاهد حتى ألفظ النفس الأخير
— همة شماء ففله درك من رجل
— ألم تقرأ (برق) يوم الجمعة الماضي
— كلا
— لقد كانت (افتتاحيته) ملاءى بالمطاعن
— ومن كان فريسة (البرق) في الأسبوع الماضي ؟
— جريدة الحقائق
— جريدتك أنت
— نعم . وعلام العجب والبرق جريدة لم تنشأ الا لتمش
أعراض الناس
— وما الذى ذكره صاحبها في مقالته هذه
— قال انى أسب الناس لاستدر أموالهم
— حاشا ان تكون ذلك الرجل
— لقد كتبت عدة مقالات أستحث بها اغنياءنا على مساعدة اهل

العلم والأدب ولت بعضهم على توابه وتناعده عن خدوة رجال الصحافة
- وهل ذكرت أسماء الأشخاص؟

- لم أذكر أسماءهم ولكني وصفت صفات بعضهم وصفاً دقيقاً
يعرف به القارئ اسم الموصوف
- أفعلت ذلك؟

- وكيف لا أ فعل ذلك وقد أصبحنا في هذا البلد الأجنبي كالمشردين
لا نجد لقمة بها

- وما الذي دفعك لارتكاب هذا الزلل؟

- لا يزال فيما فعلت أيها الصديق القديم . ذهبت عند أحد
البشوات لأسأله بدل الاشتراك فاعتذر بمرضه أولاً وبتغيبه عن قصره
ثانياً ثم بطردى من القصر ثلثاً ٠٠٠ وذهبت عند أحد البيكوات فقال
لي بسماحتة المروفة (لقد أخطأت يا صاح في العنوان) وذهبت عند
أحد الكبراء فقهر فاه عند ملاقاتي وسبني امام خدمه ولولا ما أظهرته
من الشمم والاباء لضربني بيده ورفضني بقدمه فماذا تقول في كل ذلك؟
- جنایات فظیعة علی رجال الصحافة

- أليس كذلك؟

- لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . لقد أصبحت الصحافة
محتقرة في أعين العظماء والكبراء والاعنياء فمن يعولها في كنانة الله
بعدهم؟

- كنانة الله ! أنسى مصر بهذا الاسم ! قل جعيم الله . قل

غضب الله . قل صواعق السماء . قل قاذورة البلاذ قل . اشئت فقد
أجأتنا الحاجة في هذه البلاد لنصير كالثئاب الجائمة تأكل بعضها بعضا
ولكن يظهر لي أنك لا تتقرأ « الحقائق » منذ مدة طويلة لأنك تجهل
ما يكتب فيها

وابتدأ ابراهيم في خلق اعتذاراته وشرحها بما أتاه الله من فصاحة
اللسان وبلاغة الكلام حتى صرف . في ذهن صاحب الحقائق نحوه .
وما صاحب الحقائق هذا إلا تلميذ حاز شهادة الكفاءة ثم الجأته الضرورة
لأن يتخذ الصحافة مهنة فابتدأ عمله شريفاً ثم ختمه بسب الناس وشتمهم
كما تعمل أصحاب الجرائد الأسبوعية التي لم تنشأ إلا لهذا الغرض .
وهو صديق قديم لابراهيم يسرى و ابراهيم هذا كان من أكابر معضدى
الحقائق وعلى صفحاتها نشر مقالاته الاولى ولما وجدها تتدهور من هاوية
الى هاوية صدعنها وابتدأ بالكتابة في الجرائد الكبيرة الى أن حاز الشهرة
التي رفعته الى مقامه الكبير بين اخوانه الطلبة . ولقد اراد حسن امين
ان يقلده فيما يفعل اينال في الحياة حظاً أكبر من حظه واعظم فأرسل
مقالته الأولى لجريدة الحقائق

مكث ابراهيم يتجادث مع صاحب « الحقائق » مدة طويلة الى
أن قال له

— ومن ذا الذى يماونك على التحرير ؟

— رأسى ويدي

— الا ترد إليك رسائل من كبار الكتاب ؟

- بل من صغارهم
وأخرج من جيبه خطاباً أعطاه لبراهيم وهو يقول له :
— هاك مقالة وصلتني أمس من كاتب مجهول يسألني فيها ان لا
اذكر اسمه الحقيقي
— وأى اسم اختاره لنفسه ؟
— رعمسيس الثانى . خذ وقرأ لتقف على المقالة
قرأ ابراهيم المقالة ثم ردها لصاحبه وقال :
— انى أعرف هذا الصرصور الصغير . انه معنا فى المدرسة
— فى السنة الرابعة معك
— فى السنة الاولى وله كلف عظيم بالانشاء حتى لقبه الطلبة بأبى
الانشاء . أعازم أنت على نشر هذه السخافات ؟
— لم يقر رأى بعد على شىء
— انى اربأ بـجريدتك الراقية ان تتلوث بهذه القاذورات النجسه
— اترأى فى مقال صاحبك ذلك ؟
— انى لا أعد هزوة المدرسة صاحبلى
— أتهزأ الطلبة بهذا التلميذ ؟
— هو موضوع سخريتهم أجمعين
— انك اذا اعلى حق . مزق المقالة والقها على الارض لتدوسها المارة
وكفى جريدتنا . احل بها . من المصائب حتى ازيدها بكلام هذا التلميذ
المهزأ مصيبة على . مصيبة

— أنا لا أمزق كلام الناس يا صديقي

— هاتها

وأخذها من يد إبراهيم ومزقها وألقى بها على الأرض وهو لا يعلم
انه يمزق بذلك غشاء ذلك القلب المسكين قلب حسن أمين وقد دفعه على
ذلك ما كان قائماً في قلبه من الحقد على أعدائه وعلى الاغنياء والعظماء
وقام يتبعه إبراهيم وقد ارتسمت على شفقتي هذا الخبيث ابتسامة
الغلبة والظفر

الفصل الخامس

دخل حسن قهوة « النادى المصرى » وطاب جريدة الحقائق فأجابه الخادم قائلاً (اننا لا نشترى هذه الجريدة ياسيدى) فأخرج حسن من جيبه قرشا وقال للخادم (اذهب واشترها لى) فصعد الخادم لأمره واتاه بها بعد حين

أمسك حسن جريدة الحقائق بيده وبحث فى فهرست عن عنوان مقالته فلم يجده فكذب الفهرست وبحث فى جميع الصفحات فلم يجد من مقالته حرفاً واحداً فأظلمت الدنيا فى عينيه وأقبل الجريدة وألقى بها على الخوان وعافت نفسه قراءة الجرائد الأخرى فأطاق لفكره العنان .

مكث حيناً يفكر فى أشياء كثيرة الى ان سئم التفكير فقام يتمشى وهو مطرق برأسه . ثم أطاق من بين جوانحه زفرة ألفت اليه انظار المارة ومشى غير عابئ بأحد .

لم يسلك حسن سبيله الى المنزل لأنه كان سائراً على غير هدى
ولكنه كان يأمل الخير في الغد مع أن شواهد الحال كانت تنطق بغير
ذلك . لقد مرت على . مقالته ثلاثة أيام والأقدام تدوسها في الشارع ولكنه
كان يجهل ذلك فكان يقول لنفسه « إن لم تنشر . مقالتي في الغد فعلى آمالي
السلام » . وباليته كان عالماً بما حل بها حتى لا يفاجأ في الغد بما لم يهجنس في
ضميره قبل ثلاثة أيام

ليس شيء أصعب على نفس الناشئ من حبوط أول أمل له ، كما
أن هذا الحبوط هو أكبر باعث له على إعادة الكرة لنيل أمنيته وتحقيق
غرضه . وتكبر صعوبة حبوط المسعى على الناشئ إذا كان من خلقه
الحياء وضعف الإرادة وحسن أعظم . مثال لهذا النوع من الناشئين . ولذا
كان المه عظيم ، ولم يبعث في قلبه داعي التأسى إلا أمله في الغد وكان الغد
آخر موعد لنشر . مقالته ، ففي الغد يفتح حسن صدره للبؤس أو للسعادة
مشي حسن من شارع الى شارع وهو لا يلبى على أحد الى أن
وصل الى منزله بعد الغروب فأنابه أمله فلم يجب عابها وانتظرته حبيبته
لتقرؤه السلام كالمادة فذهب انتظارها سدى ولم يعزبه على مصابه في
ذلك اليوم الا كايه « سحاب » .

اشرقت الشمس في الصباح وخرجت الناس من منازلها والطيور
من أعشاشها وتكلمت السنة المدينة بعد ان سكنت طول الليل ومشي
حسن من بيته الى المدرسة وهو غير عابى بما حوله ولما وصل اليها وقضى

بها ساعتين وقف في الفناء مع اخوانه التلاميذ يتجاذب أطراف الحديث
وإذا ابراهيم يسرى يقرئه السلام ويقول له

- مالك تفكر يا حسن . أحلت بك مصيبة ؟

- أيبئك حالي بذلك ؟

- نعم .

- انك واهم يا عزيزي . لم تحل بي مصيبة كهري ولكن حياة

الانسان لا تخلو من المسكدرات

- صدقت . اقرأت أمس جريدة الحقائق ؟

- وهل « الحقائق » جريدة تستحق المطالعة ؟

- لقد أخبرني صديقي عبد العزيز أنك أرسلت لمديرها مقالة نفيسة .

ارتج على حسن في هذه الساعة ولم يعلم ما يقول واحمر وجهه خجلا
وسكت هنيهة وهو ينظر لأقدام من كان حوله ثم رفع بصره لابراهيم
يسرى وقال له

- أخبرك عبد العزيز بذلك ؟

- وهل في ذلك بأس ؟

- لقد كذب عليك عبد العزيز يا صديقي لأنني لم أغتر بعد بخدع

الآمال حتى أكتب بالجرائد

- أنت أبو الانشاء

- هذه نعمة من يهزأ بي يا ابراهيم فان كنت من هؤلاء فاني

أسامحك .

- أنا لا أعزأ بك يا صديقي ولا أرى داعياً يدعوك لاختفاء الحقيقة عنى .

- وأي حقيقة أخفيتها عنك ؟

- وما الذي يدعو عبد العزيز للكذب . إنك بلا شك ممن لا يحبون التعنى بما ترهم .

- وأي مائزة يحق لي أن أفتخر بها أيها الصديق

- ومن ذا الذي ينكر فضلك ؟

سكنت حسن ولكن لم ينظر للأرض خجلاً كماذته بل نظر الى ابراهيم نظرة تجسمت فيها الأنفة من هزوه والاحتقار لشخصه ولوى ظهره له وابتعد عنه وهو يسمع ابراهيم يناديه قائلاً لا تغضب يا (رعمسيس الثاني) فقال لنفسه (انه يعرف أيضاً انى كتبته تحت اسم مستعار فان لم تنشر المقالة اليوم صغرت في عينه وهو ممن يتظلمون لذلك . فأف منك يا عبد العزيز لقد أخبرتك بأمر هذه المقالة ورجوتك كل الرجاء أن تخفى أمرها عن كل التلاميذ ولكنك أخبرت به القاصى والدانى فلاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

تجسمت في رأس حسن فكرة عدم نشر المقالة وكان خوفه من فضيخته أمام ابراهيم يسرى أكبر من خوفه من عدم نشر المقالة وكل ذلك أتاه من حيائه وضعف ارادته

فضى حسن في المدرسة يوماً عصبياً لم يفقه فيه لاقوال أساتذته

الى أن دق ناقوس الانصراف في عصر ذلك اليوم نخرج مع من خرج من التلاميذ ومشي مسرعاً الى الترام وركب فيه وود أن يسوقه بنفسه فلما وصل الترام الى باب الخلق ازداد اضطراب قلبه وتعددت أنفاسه وغهر على وجهه القاق وهم واقفاً ثم جالس ثم وقف ثم جلس وأعاد ذلك مراراً وفقر منه دفعة واحدة وإذا به يسمع بائع الجرائد يقولون (اللواء . اللواء . المؤيد والاهرام) فأخرج من كيسه قرشاً ومد يده لأحدم صائحاً (الحقائق . على الحقائق) فبحث البائع هنيئة في أعداد الجرائد التي كانت تحت أبطه وقال له (لم تظهر بعد) . فهم حسن بضرب البائع ولم يستوقفه إلا الترام الذي كان يسير بجواره الى العتبة الخضراء والعتبة الخضراء محط رحال كل الجرائد فقفر فيه كمن به جنة .

وصل به الترام الى العتبة الخضراء واشترى حسن (الحقائق) وفتحها ليرى مقالته الشائقة فاستلقت نظره لاول وهلة لفظة (أم) وكانت عنواناً لاحدى المقالات فظنها مقالته فشمع بالدم يعالو الى رأسه وتلثم لسانه وغص ريقه ولكنه قرأ العنوان بامعان فوجده (الأم العادلة) وكانت المقالة غير مقالته . فشرع في البحث عنها في كل جزء من أجزاء الجريدة في باب الوفيات ، في باب الاعلانات ، في باب أخبار البورصة ، حتى وفي العنوان نفسه ولكنه رجع بخفي حنين وكاد أن يصعق امام الناس فأتى بالجريدة على الأرض ولكنه لم يلبث هنيئة حتى عاوده الامل فالتقطها مرة ثانية وابتدأ في مطالعة مقالة « الأم العادلة » ثم حول بصره مرة ثانية لكل كلمة في الجريدة وأخيراً انقطع رجاؤه منها فرمى بها

على الأرض وداسها بقدمه فاعلا بها ما فعل رئيس التحرير بمقالته ومشي
الى بيته مستمسكا من الامل بخيط باطل .

..

في تلك الغرفة التي سمعت آذانها كل ماجرى بين حسن وليبية ،
وامام هذا الشباك الذى استقبل النسيم يحمل للماشقة قبلات حبيبها
جاست ليبية تبكى وهى تنظر للفضاء . وما ليبية الا فتاة وديمة هادئة
طيبة السيرة والسريرة لا تستحق من الحياة سهمها القاتل ولا من الوجود
سلاحه القاطع . لقد وقع على قلبها خبر السفر وقوع الصاعقة فوضعت
يدها على قلبها الخافق كأنها تبحث عنه بل كأنها تبحث عن أمالها فيه
وما هى آمال الفتاة السجينة فى الحياة بعد أن يتقلص ظل أمانها فيمن
تحب ، فيمن عليه تعتمد وبه تسعد وبغيره لا تعرف غير الشقاء

تعيش الفتاة المصرية فى بيتها وهى لا تعرف عن الحياة إلا ما يقع
فى ذلك البيت ولا تسمع من الاصوات الا صوت أهلها ولا ترى من
الاشياء إلا جدران هذا البيت الضيق وإذا لاح لها برق أمالها فى
طلعة شاب تراه عفواً ويكون من أقر بانها محكم عليها الظروف بالابتعاد
عنه فلا تجد تمزية إلا فى الاستسلام الأسمى والدروع .

تلك حال فتاتنا ليبية وهى كما قلنا فتاة لا تستحق ذلك .

ذهبت للنافذة لتقص على حبيبها ذلك الخبر المؤلم فوجدته بعد
قايل داخل غرفته هو وكلمه تم وقف هنيئة يسبح دمة تساقطت

على خده ثم أقفل باب الغرفة وأحكم إقفاله وخلع معطفه وارتدى على سريره ليبكي وينتحب فنادته بصوت يسمع السامع منه زنة الحزن والأسى فهم واقفاً وذهب للنافذة وهو يبكي واندھش لما رأى حبيبته تبكي مثله .

ظننت لبيبة أن حسناً واقفاً على جلية الامر فقالت له

— سنسافر بعد أسبوع يا حسن

— تسافرين ! وإلى أين ؟

— إلى اسيوط

— وهل تحقق ذلك .

وكف عن البكاء لاندهاشه العظيم فوقف واجماً لا يعرف ما يقول .

فقالت له لبيبة

— ظننتك واقفاً على الحقيقة . لقد نقل أبي الى اسيوط وسأفارقك

بالرغم مني . ولكن ما الذي كان يبكيك ؟

فأجهش حسن بالبكاء دفعة واحدة وقال بعد قليل

— تلك كبرى المصائب . لقد أراد الحظ الاسود أن لا تنشر مقالتي

وأن تسافر حبيبتي فوداعاً أيتها الآمال الكاذبة ووداعاً يا أحاديث المنى فما

أنت إلا وساوس الاطماع وأضغاث الاحلام . واسترسل في البكاء

واسترسات معه حبيبته وظل العاشقان ردىحاً من الوقت يتناجيان

ويشكوان مصيبة أظلمتهما على غير حساب ولا انتظار .

واقترق العاشقان بعد أن تساقطت نفسيهما غمماً وتقطعت أحشاؤهما
حزناً وهفناً .

...

ورجع حسن الى مقعده وارتمى عليه وهو كاسف البال وقد أبتنس
بوحده وانفراده ليطلق لدمعه العنان وانكب على البكاء انكباب من
انفطرت مبرته . وتساقط دموعه على الارض فكان يلتقطها كلبه
الامين سحاب وكان سحاب في عرفه أوفى من الانسان .

الفصل السادس

أحلم المبل وخيم السكون على أنجاء المدينة وحسن معنى على مقبده
يبكى وينحب وقد لده البكاء ، والبكاء أكبر ثمرة الأتقى الخيرية .
أنت أمه وطرقت الباب تسأله الخروج للمساء فأصبح من ثأله وفتح
الباب فقال لها وهو يصنع الثبات في القبول والعسل .

- لست بحريفة يا أمه هذه الببابة وأود الخبرة لحفظ درس
التاريخ لأني أتوقع أن أكون غداً ضمن المنتخبين .

- بنت تحاول يا ولدي اختار ما في نفسك . لأن شعور الأم بدورها
على حفايا قلب ولدها . أنت بلا شك حزين وتحمده بقايا دمعت بكائك .
فما الذي أحزنك اليوم . أتشاركت مع أحد أقرانك ، أم حاصمك
أستاذك . تكلم يا ولدي وصدق بالحقيقة حتى أشارك ما في نفسك من
الاشجون .

- أنت واهمة يا أمه ...

وأنتم جهته والدموع تخنقه وارتمى على صدر أمه ليسكب في

أحضانها دموعه الحارة، وما أحسن صدر الام على فؤاد الولد الحزين،
ففي هذا الصدر ينشأ الرضيع ومنه يتغذى وفي هذا الصدر يلعب الطفل
هازئاً بالحياة وآلامها. وفي هذا الصدر تستدرف جنون الشاب آلام
الحياة واليأس. صدر الام هو العروة الدافئة الصغيرة التي بنها يد الحب
والحنان ففيها يتلاقى السرور بالسعادة وفيها يلتصم الاسى بالمصائب.

حمت الام ابنها ووضعت في سريريه وجلست بجوارده تلاعب
شعوره الجميلة وتقبله من آونة لاخرى وهي تحاول الصبر حابسة دمعا
وواضحة يدها على قلبها كأنها تود أن لا يخفق فيسمع منه ولدها صوت
الهم.

سألت الام ابنها عن سبب أشجانه فذكره لها. فأكبرت عليه أن
يبكى لأجل مقالة أخطأ رئيس التحرير في فهمها وسألته أن يهون عايه
وينسى ما مضى ويهيئ للغد. تقالا آخر يرسله « للفاروق » وهو
أكبر جريدة مصرية كانت تظهر في ذلك العهد. وما رامت من كل
ذلك إلا إزالة الهم عن فلذة كبدها. ولقد فازت بأمتيتها وسرعان
ما ينسى ضعيف الارادة الماضي إذا وجد من المستقبل بارقة أمل وإن
كانت خالصة. تسيطر فكرة الكتابة في « الفاروق » في فكره وقام
يتبع أمه ليتناول العشاء. وأكل هنيئاً وشرب ريثاً ورجع الى غرفته لينام
بعد أن أقسم لأنه لا يعود للبكاء.

دخل غرفته وأوصد الباب وأشعل مصباحه وجلس أمام خوائمه

ليكتب . أمسك في يده القلم وهياً الدواة والورقة قبل أن يهتدى
للموضوع ولكنه ما لبث قليلا على هذه الحالة المضحكة المبكية حتى
اعتراه اليأس فألقى بالقلم وكاد أن يهشم الدواة ومزق الورقة وألقى
بنفسه على الارض يلطم وجهه بكفيه . وتلك هي حال عصبي المزاج
إذا كان ضعيف الارادة لا يشكوهه إلا لنفسه ولا ينتقم إلا من نفسه
أيضاً .

سكن قليلا فقام الى سريره وارتمى عليه مستهزأ بكل ما وافاه
بل بالعالم أجمع . فسكنت نائرة نفسه وحاول النوم متناسياً نكباته
الشديدة والنوم لا يزور من في قلبه كمد باطن وحزن دفين . وتذكر
فراق حبيبته في هذه الساعة التي أحس فيها بالراحة قليلا وجسم له
مزاجه العصبي وضعف ارادته أن هذا الفراق أبدأ فهم من نومه جالسا
ونظر الى النافذة وكانت مقفلة كأنه يسألها جاية الخبر ثم قام اليها وفتحها
ونظر لبيت حبيبته وتناسى في تلك الساعة مقاتله وما جرته عليه من
الايصاب والسكراب . ومد يديه للسماء وما أقمى قلب السماء على من
تخالجه الهموم . ولبث هنيهة ساكنا لا يتحرك وكان لا بسا لباسا أبيض
اللون أصبح فيه كالتمثال في جوف الليل البهيم .

عشا حاول نسيان أشجانه فأقفل النافذة ورجع الى سريره يمد به
شجوه وارتمى عليه لينام بعد أن يثس من كل شيء حتى مرت استرساله
في الهموم . وأقفل جنونه فكانت فكرة الكتابة في « الفاروق » وفكرة

فراق حبيبته تتبادلان إزعاج رأسه المسكين وأخيراً استسلم للنوم فنام
الى الصباح .

انقضت الحصة الرابعة فنزل التلاميذ الى فناء المدرسة وخلت كل
جماعة منهم بركن من أركان الفناء تجاذب فيه أطراف الحديث . ومنهم
من آثر اللعب والجري ومنهم من ذهب الى فناء الكرة ليريض نفسه .
ولزمت جماعة ابراهيم يسرى المقعد المجاور لسلم الفناء وكان من بينهم عبد
العزبز ومحمود وقد ساف لنا ذكرهم وابتدأوا بذكر حسنات الأساتذة
وسبائهم ولا يلبذ للطالبة الا التكلم في ذلك . ثم انتقلوا من ذلك الحديث
الى السخرية من بعض الطلبة الذين كانوا موضعاً لهزئهم وسخريتهم
ولذا لبراهيم يسرى أن يقص على جماعته خبر مقالة حسن أمين وأغرب
في الضحك لما حلَّ بها وأشاركه اخوانه في ذلك ولقبوا ذلك المسكين بلقب
« رعمسيس الثاني » ورأوه بعد آونة يسير الهويناء على السلم وهو . طارق
للأرض فنادوه بصوت واحد « يارعمسيس الثاني » فالتفت بالرغم منه
فرآهم يضحكون ويسرون اليه بأصابعهم فسار في طريقه وقد علت
وجبه حمرة الخجل وود أن يصعق في ساعته وذهب بعد ذلك الى الحديقة
ليخفي نفسه خاف أشبارها الكثة . وهناك جاس على مقعد خشبي
ينظر للتلاميذ ولا يراه أحد واستسلم لأشجانته فمرت امام فكره صور
أحزانه تباعاً فكأنه كان يستعرض شريطاً من شرائط الصور
المتحركة وهم من مكانه ليمشي في الحديقة راجياً أن يخفف من حزنه

فاذا به يرى أمامه عبد العزيز فابتسم له ابتسامة الحزين وقال له والد مع
يكاد ينطق بالأمه

- أكنت تشاركهم في ضحكهم يا عبد العزيز؟

- بل كنت ألومهم على فعلتهم الشنعاء .

- أشكرك يا أخى على رفيق احساسك

وسكت الاثنان دفعة واحدة فلم يجد أحدهما سبيلا للتكلم والتفت
عبد العزيز بعد قليل الى يمينه ثم الى خلقه كأنه كان يخشى أن يسمع أحد
ما أراد ذكره لحسن ثم قال له وهو يتلعم .

- أود أن أسر اليك شيئاً وأريد أن تصدقه

- قل ماشئت

- عدنى أولاً أن تصدق ما أقوله لك .

- انى أثق بك أيها الأخ ثقة عمياء فحدثنى بما تريد .

- أتعلم السر فى ضرب رئيس التحرير بمقاتلتك عرض الحائط؟

- وأنى لى أن أعرف سر ذلك . أظن أنها لم ترق فى عينيه .

- حاشا أن يكون ذلك سر المسألة وانى أخالك أكبر من أن

تظن ذلك .

- وهل أنت واقف على الحقيقة؟

- كان يقصها علينا ابراهيم يسرى بصوته الجهورى .

- وماذا قال لكم؟

- قال لنا أنه قَبَّحَ لرئيس التحرير أن ينشر مقاتلتك بل وعده

بالتخاصم إن هو فعل ذلك . فألقى رئيس التحرير مقالاتك على أديم الثرى
بعد أن مزقها .

- ألقى مقالتى على الأرض ؟ . زق مقالتى ؟ أندوس المارة كلاماً
تعبت فى انشاءه ؟ يا لعمار ! وما الذى دفع ابراهيم لفعل ذلك ؟ ولستى
نسيت أن ألومك على خطأ فعلته ساءنى فعله كثيراً .
- أنا ؟ وأى خطأ فعلت ؟

- لقد استحقتك أن لا تذكر لأحد خبر كتابتى تلك المقالة
فلماذا أسررت له بخبرها ؟

- انى لم أفعل ذلك وأشهد الله والنبي والأخاء والود على ذلك .
ولستى أعلم أن ابراهيم قابل رئيس التحرير عنفاً فى العتبة الخضراء
فقرأ عليه مقالاتك ففعل ابراهيم بها ما ذكرته لك .

وكذب عبد العزيز على الله والنبي والأخاء والود لانه وإن
صدق فى مقابلة ابراهيم لرئيس التحرير فقد كذب فى تنصله من أخباره
بشأن مقالة حسن . وعبد العزيز هذا كما قلنا يجب الايقاع بين التلاميذ
لا لمال يكتسبه ولا لنصر يفوز به . ولكن لمرض فى نفسه ابتلاه به
المجتمع الانسانى .

نظر حسن اميد العزيز نظرة الحائر ثم قال له .

- أعيد عليك سؤالى هذا (ما الذى دفع ابراهيم لفعل ذلك ؟)
- انك مازلت صبياً صغيراً لا تعرف من شؤون الناس شيئاً . ان
ابراهيم يخشاك كما يخشى الفأر القط . أتجهل ما يحل باسمه لو ظهر

اسمك بين الكتاب مكملاً بزهور الفصاحة والبلاغة؟ واعلم أن نفسه
لا تود لك الخير لأنه يخشى أن تكون كاتباً عظيماً .

- ولكن الوسيلة التي اتخذها انمى عن ذلك المقصد الشريف
وسيلة تدل على دناءته وضعة نفسه وما كان عهدي به كذلك .

- انه عرّة قومه . وهل ظننته قبل اليوم من ذوى الشرف والحسب
والنسب . أعوذ بالله من ذكر السوء عن الاخوان والسكنى مجبر على
ذلك وما دعاني الى ذكر حقيقة هذا الشاب الاحي لك وشغفني بما
يخطه بنانك .

- انى أشكرك يا عبد العزيز ،

- لى كلمة أخرى .

- تكلم

- أود أن تكتب مقالا آخر تنشره فى جريدة كبرى كالمويد
أو الفاروق لتكيد به هذا الوعد .

سكت حسن ونظر للأرض هنيهة ثم للسماء وقال :

- لقد طلقت الانشاء ثلاثا وحاشا لمثلى أن يتغمر فى حماة

الكتاب بعد اليوم .

- ماذا تقول : أظن بك جنة يا عزيزى .

- أنا سليم العقل وأكره أن تناقشنى فى ذلك ولا يغضبك قولى

هذا

- انى أسمع الناقوس يدق فهيئاً بنا لتناول الغذاء .
وسار الاثنان جنباً جنب الى غرفة الطعام

غادر حسن المدرسة قاصدا منزله فلما وصل سأل عن أمه فقيل له
أنها ذهبت لبيت أخيها لتعد مع زوجته معدات السفر فقصد منزل خاله
وفيه قابل والدته وزوجة خاله وجلس معهما يتكلم فى شؤون السفر
ويتأسف على الفراق وكانت تسمه لبيبة من وراء السجف وهى تبكى
لكلامه وتتوجع لآلامه . ودخل عليهم خاله فقام حسن من كرسيه
وقبل يده وقال له

- كيف حال خالى اليوم ؟ عسى أن تكون فى خير وسلام
- لا يؤلمنى يا ولدى الا فراقكم ولقد حكم به القضاء فعبثنا نحاول

دفعه .

- هل من حيلة لرد هذا القدر ؟
- انى أجد فى السفر ما منا يقينى شر رئيسى
- وهل ينوى لك الشر ؟
- انه يعمل على التكاية بى لظنه انى أرميه فى كل ناد بالرغوة
والطيش والجهل التام .

- ومن صاحب هذه الوشاية ؟
- كثيرون يا ولدى ولقد صفت عنهم ولله الأمر .
تم التفت عبد الرؤوف أفندى لزوجته وقال لها :

— سندسافر بعد با کر فہاں اعددت کل شیء؟

فأجابته أخته قائلة

— کدنا أن اتم کل شیء ولم یبق الی عدة حقائب سنجہزها غدا .

وأنت القطة (دلال) وتمسحت فی أذیال سیدها فأخذها علی

رکبتيہ ولاعبها قليلا وقال .

— وكيف نأخذ دلال معنا؟ هل أعددت لها قفصا جميلا؟ أود ان

تضعو فيه قطعه من القماش حتى لا يؤلم جريد القفص عظام هذا الحيوان

الجميل .

فأجابته زوجته

— لقد هیأت لبیبة لها القفص قبل أن تهیء حقائبنا فلا یسغل

بالك أمرها

— انی واثق من حب ابنتی لهذا الحيوان الصامت .

ثم التفت لابن أخته وقال

— كيف حال كلبك سحاب؟

— لقد وجدته اليوم فی ساحة محمد علی ولا أدري ماذا كان یصنع .

فرافقنی الی الدار ولقد تركته هناك .

— ان سحاب كلب أمين .

فقالت أخته

— ولكنه نجس .

— يتهم الانسان الكلاب بالنجاسة لأنه يغاز من وفائه .
ثم قام الى غرفته ليخلع ملابسه . ولما فارقها الى الفسحة وجد
الطعام مهياً بخاس مع زوجته واخته وابن اخته يتناولون المشاء سوياً .
أما ايديه فأكلت بعض ما تبقى منهم وكانت تشعر بالسعادة والحزن
في ساعة واحدة . سعادة قرب حبيبتها منها وحزن فراقها عنه بعد يومين .
فرغ القوم من المشاء وودعت الأخت أخيها وخرجت مع ابنتها
الى منزلها ومكثت معه هنيهة يتجاذبان أطراف الحديث ثم قام حسن
وقبل يدها وأغلق باب غرفته بعد أن أشعل مصباحه وجلس أمام مكتبه
يفكر . ثم أخذ القلم في يده ونغمسه في الدواة وكتب في وسط السطر
(الحاسد والمحسود) ولبت بعدها عشر دقائق وهو بين عاملين يتجاذبان
عامل الاقدام وعامل الاحجام الى أن تغلب العامل الأول على الثاني
فابتدأ في الكتابة وهو ممتقع اللون خافق القلب وما زال يكتب سطرآ
ويشطب آخر الى أن أتم مقاله ثم قرأها لنفسه مرتين وهو يتمنى في
غرفته بعد أن أعاد كتابتها على ورق جيد ثم طواها ووضعها في ظرف
أعدّه لذلك وكتب عليه بالثلاث

ادارة جريدة الفاروق

بشارع خيرت . مصر

حضرة رئيس التحرير

ورمى بها على مكتبه ووقف يتمطى في الغرفة ثم هدّد الفضاء بيده
كأنه يكلم شخصاً خيالياً وقال بصوت خافت (ستنشر هذه المقالة في
الفاروق فيسعد المحسود ويشقى الحاسد) ودخل الى سريره وقد وثق
بنفسه واستغرق في نومه الى أن أشرقت الشمس .

الفصل السابع

كان اليوم الثلاثاء فخرجت طلبة المدرسة الخديوية الى ملعب
الكرة لتشاهد فرقة مدرستها تالعب فرقة انكليزية تفوقت على فرق
كثيرة . وكان حسن ممن يميلون لرؤية لعب الكرة فرافق اخوانه الى
الملعب وفي عزمه أن يشتري الفاروق من ميدان الخامية . فلما وصل
الى الميدان تناول الجريدة من يد أحد البائعين وأجال بصره في الصفحة
الأولى فوجد مقالته الثانية فقرأها مرتين وهو لم يبرح مكانه وقد
ارتعشت يده واصطكت أسنانه وارتجف ساقيه . وبينما هو يقرأ مقالته
اذ به يرى عبد العزيز ماراً بجوارده فاستوقفه بنظرة دلت عما يخالج قلبه
المسكين من السرور . فلما رآه عبد العزيز بارق الثغر لامع الصفحة
وقف يسأله السبب فقال

— لملك غير ما كان . . .

ولكن حسنا لم يمهاه ليتم جمته . وقال له وهو يسحب أذبال العبطة

— لقد نشر (الفاروق) مقالتي بعد أن مزقت (الحقائق) أختها .
خذ واقرأ ثم أعط الجريدة لصاحبك ابراهيم لتقوم عنده قيامة الاحزان
وتضيفه الهوموم والاشجان . اقرأ يا عبد العزيز وثق بعد ذلك بأخيك
حسن أمين فقد أضاء نجم سعده وأصبح ممن لا تُفْتَحُ العين على مثلهم في
الناس .

اصفر وجه عبد العزيز وارتجفت شفثاه لأنه كان ممن لا يريدون
الخير لاحد وتناول الجريدة من يد صاحبه وأجال نظره في مقالته وقد
أظلمت الدنيا في عينيه فتمسر عليه أن يفهم منها كلمة واحدة فأمسك
بالجريدة مدة وهو كالصنم لا يتحرك ولا يتكلم الى أن قال له حسن وهو
ضاحك السن

— هيا بنا الى الملعب لنصله قبل ابتداء اللعب .

وسار الصديقان الى الملعب وفي صدر أحدهما جنة البشر والسرور
وفي صدر الثاني حجيم الحقد والبغضاء .
اشترى حسن نسخة أخرى من الفاروق ودخل بها الملعب وأراها
لكل من توسم فيه الصداقة والاخلاص فطاف بها الملعب خمس مرات
متواليات استوقفه فيها إخوانه كثيراً . وأخيراً وقف بجوار الكشك
يقرأ مقاله على فئة من إخوانه .

...

اقترق عبد العزيز من حسن عند باب الملعب لأنه لم يشأ أن يطوف
معه الملعب ووقف في ركن من الاركان يقرأ المقالة وهو يعرض شفثيه من

الغيظ والكمد وبعد أن أتت سمع صوت إبراهيم يسرى يطن في آذانه . . .

- أي مقال تقرأ يا عبد العزيز ؟

- أقرأ مقال من . زقت . مقاتله ورويت بها على الارض .

- أنجراً حسن على الكتابة في الفاروق ؟

- خذ وقرأ

أخذ إبراهيم الجريدة وقرأ المقالة الى النهاية . وضحك ضحكة

غير طبيعية ثم رد الجريدة لعبد العزيز وقال له :

- لقد كان هزأة القوم وأضحوكتهم فأصبح واسمه يكتب على

صفحات الجرائد الكبيرة .

- هذا ما يدهشني يا أخى .

و.ر.أ.ها.ها.حسن في هذه الساعة فالتفت لإبراهيم وقال له :

- (سلام من رعمسيس الثانى الى إبراهيم يسرى سيد الكتاب

في مصر) .

ومشى في طريقه دون أن يزيد حرفاً أو يسمع من إبراهيم كلمة

فالتفت إبراهيم لعبد العزيز وقال له :

- ما الذى يقصده من قوله ؟

فلم يجب عبد العزيز ولكن نظراته كانت توحى لإبراهيم ما معناه

(كما بدى الفتى يدان) .

انتهى لعب الكرة فخرج حسن مع من خرجوا وهو يميد سروراً

وفرحاً وقد أنسته مقالته العالم أجمع . نسي أمه الحنون ، وحبيبته الوفية ،
وبيته وكلبه ، وكل من يعرف من الاصحاب ولم يفكر الا في مقالته التي
نشرها الفاروق والفاروق شيخ الجرائد في مصر . لقد نال حسن ما كانت
تصبو اليه نفسه ولقد أثبتت له مقالته الجديدة أن البلاغة أنزلت على
فؤاده وأن الالفاظ السلسة سخرت لقلمه وأنه غدا بين الكتاب سيدهم
وأمرهم بعد أن يتس من الفوز في مضمارهم ، وقف حسن في وسط
الطريق ينظر للسماء رافعاً يديه يشكر الله على هذه النعمة ويسأله أن
يديمها عليه ثم سار في طريقه ينتحى جهة منزله . فلما وصل سعد السلم
وهو يجرى الى أن لاقى أمه في ردهة البيت فألقى بنفسه في أحضانها
يسكب دموع الفرح والهناء وقال لها وقد تهديج صوته .

— لقد نشرت مقالتي يا أماه . انى سعيد الحظ .

— أنشرت الحقائق مقالتيك ؟

— لقد نشرها الفاروق .

— وهل أرسلت له مقالة جديدة ؟

— كتبته ليلة أول أمس . وأرسلتها له صباح أمس فنشرها اليوم .

فقباته أمه . وهي محزونة الصدر فسأه ذلك لأنه لم يعهد منها الا الفرح
لفرحه والحزن لحزنه فنظر اليها نظرة العاتب كأنه يسألها الافصاح عن
حزنها وكدها . وحانت منه في هذه اللحظة التفاتة الى نوافذ بيت خاله
فوجدتها مقفلة فالتفت لأمه وقال .

— وهل سافروا صباح اليوم ؟

— كان في عزمهم السفر غداً كما تعلم ولكنهم سافروا فجأة صباح اليوم .

لم يجب حسن على كلام أمه ودخل غرفته ليقف هنيهة أمام النافذة يندب الهوى ويبكي الفراق . لقد انقضت أحلامه اللذيذة . تحطم سراج حبه الوهاج وغداً يسكن بيت حبيبته قوم لا صلة بينه وبينهم . لقد كتب له القضاء البؤس حتى في يوم سعادته ففارقته حبيبته يوم نشرت مقالاته فلم يتيسر لها أن تشاركه هذا الفرح العظيم .

والقضاء أحكام تحار فيها العقول :

جلس حسن على كرسي كان بجوار النافذة وأرسل دموعه تحدرت على خديه تخط عليهما ما قدرته له الأيام .

القسم الثاني

الفصل الأول

بعد عامين

رجلان قطعا من الحياة نصف مرحلتها . الاول معمم والثاني مطربش . الاول له حية كثة وأنف كبير وعينان لهما إطار أحمر وضعته يد الحمر والسهر وجبة سوداء يصح لنا أن نطلق عليها كلمة نظيفة ولو أنها لا تخلو من بعض بقع لا تظهر إلا لعين الفاحص المدقق . والثاني حليق ذو أنف أفطس وعينان براقتان يلمع فيهما نور الذكاء وبدلة كلح لونها وعذره في ذلك أنها بدلة عمل . الأول مصرى مسلم والثاني سوري مسيحي . هذا يشتمل في الفاروق ليحرر باب الاخبار ويصحح ما يكتبه كتاب الاقاليم ، وذلك ليترجم النبذ السياسية عن الجرائد الفرنسية . والغرفة التي كانا بها مساحتها أربعة أمتار في خمسة وليس بها إلا مكتبتان وعدة كراسي من الخيزران ولوحة معلقة فوق مكتب الاستاذ ومكتوب عليها بالثلث « الفاروق » .

جاس الاستاذ أمام مكتبه وخلع عمامته ثم وضعها فوق كتاب
المصباح المنير وابتدأ يداعبها بيده اليسرى ويشرب لفاقة تبغ بيده اليمنى
بعد أن انتهى من شرب فنجان القهوة . أما الاقلام والاوراق فكانت
معلقة فوق المكتب بعضها فوق بعض . ووقف الافندى أمامه واضعاً
يسراه على كرسي من الخيزران وممسكاً بيمنه جريدة الماتان . يقرأ فيها
فصولها الهامة . فابتدر الاستاذ صاحبه قائلاً .

— تفضل سيجارة .

— أشكرك . لقد انتهيت من أختها منذ قليل .

واستمر الافندى في المطالعة والاستاذ في أفكاره الخيالية حتى
أعياه التفكير فنظر لصاحبه فوجده قد طوى جريدته وهم بالذهاب
لمكتبه فاستوقفه قائلاً .

— هل من جديد؟

— أكاد لا أجد شيئاً يستوقف النظر اللهم إلا مقالة عن الزواج
في أمريكا ربما اشتغلت بعد حين، بترجمتها

— وما قولك في مقال أمين خربوش

— أحسده على سمو خياله ورقة أسلوبه وأسف لفقر مادته

— صدقت . لو كان مثلك له دراية باللغات الافرنكية ليزهيجو

وشكبير

— يا صديقي اللغات تفتح الاعين طريقاً مفلقة ولكن لانكساب

النفس مواهب جديدة

- وهل تظن أن خربوشاً محروم من مواهب الفز؟
- من مواهب الابتكار فقط والابتكار أساس الكتابة
- وهل قرأت قصيدة على بدر. لقد دفع الى بهارثيسنا لتتشر في

صدر الجريدة

- أظنها لا تخلو من المدح

- كعادته

- أف لشعرائنا الكرام . فقد قل من يعنى منهم بالخيال والمعنى
- وما تقصد بذلك .

- أقصد أن الشعر لا يستعذبه القارئ إلا اذا كان اشاعره وحى

من السماء

- الشعر يا صاحبي هو اللفظ الحسن والديباجة الأنيقة .

سكت الافندي هنيهة وهو مطرق للارض ثم رفع رأسه وحدث
في وجه الاستاذ وقال (ربما) وذهب تواء الى مكتبه وهم بالترجمة فاذا
بالاستاذ يقول له

- اعمل لك رأى آخر؟

فابتدأ الافندي في الكتابة وقال وهو ينظر في الجريدة (ربما)

فمر على شيخنا ذلك فقال

- أهزأ يا بحرى أفندي بالكلام المنسجم واللفظ الأنيق

- حاشا أن أكون ذلك الرجل ولكنى أ كبر على شعرائنا

المفلقين أن يصرفوا همهم للغزل والمدح والرثاء والهجو وينتقون لذلك

الديباجة المليحة واللفظ الشائق ويفعلون عن تلك الروح العالية التي اذا
قرأها القارئ جرت في نفسه مجرى الماء المتلوج في صدر الظالم
وسكت عن الكلام مشتتلا بالكتابة . فنظر له الأستاذ نظرة
عتاب واستهجان وأمسك بقلمه ليكتب وخط على الورقة في السطر الأول
(داس قطار المطرية . مساء أمس بجوار محطة . نشية الصدر غلاماً يبلغ
العاشرة فأسال دماءه وهشم عظامه ونحن نستلفت انظار اصحاب ..)
وإذا به يسمع من النافذة صوتاً رقيقاً يناديه قائلاً

— عم صباحاً يا شيخ عبد الله

فرفع رأسه لاتجاه الصوت ولما عرف صاحبه ابتسم وقال

صباح الخير يا حسن افندى . تفضل .

وإذا بصاحب الصوت يقرئ السلام بحرى افندى فرده بما هو

أحسن منه ودخل حسن امين عايبها وجلس على كرسي بعد ان صاحفها

ثم التفت يمته ويسرة ورفع رأسه للسقف ثم قال

— انى أتيتمكم اليوم بالتمال الأول من مقالات (خواطر)

فقال الأستاذ .

— وكم عدد هذه المقالات الشائقة ؟

— ربما أريت على العشرين .

— ما شاء الله .

— وأود أن تظهر المقالة الاولى في الفاروق اليوم

— وهل اطعم عايبها البيك ؟

(وكان البيك صاحب الجريدة) .

— سأطالعها عليها بعد حين .

— جرى هذا الحديث الصغير وبحرى افندى مشتغل بالترجمة

كأنه فى واد والآخرون فى واد آخر . فالتفت حسن له وقال :

— وما رأى بحرى افندى ؟

— وعن أى شىء يريد سيدي الكريم أن أبدي رأى ؟

— عن الخواطر .

— المقالات التى وعدت الفاروق بها ؟

— نعم .

— إنى أرحب بها كما أرحب بك الآن .

— شكرا لك . وهل فى عزيمتك ترجمة مقالات الفيجارو عن

المرأة المصرية ؟

— ربما صح منى العزم .

— يا حبيذا لو أقدمت على ذلك وأخرجت تلك المقالات ذات

التخيل اللطيف والمنهج الواضح .

— أخشى أن تذهب الترجمة بحسنها الرائع .

— هذا تواضع أجل صاحبه عنه

ثم التفت حسن للشيخ عبد الله وقال :

— وما ذاك الخبر الذى نشرته أمس ؟

— أى خبر ؟

— خبر استقالة مدير مصاحبة البريد . أصحیح ذلك ؟
— الفاروق لا ينشر غير الاخبار الصادقة وإن نشرها قبل
أن تتحقق ،
— لله درك .

وإذا بأحد الخدم داخلا وفي يديه ورقتان دفع بهما للشيخ عبد الله
وهو يقول

— بريد زفتي وميت غمر يرجو البيك أن تصاح ما به من خطأ .
فتناول الأستاذ الورقتين وهو يقول (الأولى بك أن تقول البيك
يرجوك في كتابته من جديد) وخرج الخادم وكأنه لم يسمع ما قاله
الأستاذ .

فالتفت حسن لشيخنا المسكين وقال :

— أيسرك اصلاح بريد الأقاليم ؟

— مرة في كل شهر

— بل قل مرة في كل عام . وهل عزم الفاروق على زيادة صفحاته

الى اثنتي عشر

— هذا ما لا علم لي به ولا اظن من ذيع هذا الخبر صادقا

— ولم ؟

— يصعب علينا ان نملأ ثمانى صفحات طويلة عريضة فأنى لنا ان

نحرق اثنتي عشر صفحة . ومن من المصريين يقدم على مطالعتها .

— المصريون . تشوقون المطالمة .

— إذا كان ما نكتبه في جرائدنا من نوع مقالاتك . وامثالك
كما نعلم جميعاً قليلون في هذا البلد الامين .
— إنك تطريبي يا شيخ عبد الله .
— أنا لا أقول إلا الصدق فان ظننت فيه الاطراء فبشأنك
وما تظن .

— أشكرك . ولو انى أظننى أقل كفاءة من ذلك .

وهم واقفاً فقال له بحرى .

— وإلى أين ؟

— أود أن أرى البك .

وخرج مسرعاً لا يلبى على أحد .

..

كان محمود بك عبد اللطيف صاحب الفاروق ورئيس تحريره جالساً
أمام مكتبه يحرر المقالة الافتتاحية . وكانت الغرفة التى كان جالساً بها
مزدانة بأفخر الرياش وبها لوحة كبيرة مكتوب عليها بالثلث (بسم الله
الرحمن الرحيم . إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) وصورة متقنة للبك مرسومة
بالزيت صممها له أحد ماهرى الرسامين بمصر .

جلس البك جلسة الكاتب المفكر ينظر للنافذة تارة ليستجمع
أفكاره وللورقة تارة أخرى ليخط ما يلبى عليه قلبه . فلما انتهى من
مقالته سمع خادمه الخصوصى يقول له :

— احمد بك أبو شناق ينتظر في غرفة الاستقبال .

- أدخله .

ودخل البك الجديد مهرولاً يتعثر في أذيال جبته وقفطانه وصاح

بعل فيه .

- السلام عليكم

- وعايكم السلام ورحمة الله .

وهم البك واقفاً وصافح زائرہ بيده وأجاسه في صدر المكان وقدم

له سيجارة بعد أن أمر الخادم أن يأتيه بفنجان قهوة وابتدأ يحادثه وهو

يتسم .

- لقد تكرم البك بزيارة الفاروق فمرحى له وأهلاً وسهلاً به .

- لقد تشرفت بهذه الزيارة التي كانت تطمح اليها نفسي منذ عام .

إني مشترك بالفاروق وأقرأه كل يوم ويلذلي مطالمتيه كثيراً ولولولا

إقامتي في الريف لكنت أول من يكتر التردد على صاحبه . فعدراً

يا سيدي عنراً والسكريم من يقبل العذر .

- إن عذر سيدي البك . مقبول على العين والرأس أما زيارته

لادارة الفاروق فهي مئة كبرى لا أنساها أبد الدهر .

- ولقد أتيت بالاشتراك فأرجو قبوله .

فأظهر صاحب الجريدة امتعاضاً ولكنه قرع الجرس وأمر الخادم

أن يناديه بأحد رجال الادارة وما غاب الخادم دقيقة حتى عاد ومعه محمود

افندي المنوفى محصل الاشتراكات واليه دفع البك قيمة الاشتراك فلما

قدم اليه الوصل لمضيه اعتذر البك لآلم في يده وسأله أن يمضيه عنه .

وكان البك من العمدة الذين لم يتعلموا القراءة ولا الكتابة . وانصرف
محمود افندي حاملاً في يده الدراهم بعد أن أعطى لابي شقيق الوصل
مضى عليه .

وتحدث صاحب الجريدة مع البك عن أحوال بلدته وعن الامن
العام فيها وعن رأيه في النفي الاداري وأبدى له الزائر آراءً لولا كرم
الضيافة لقمته لسماعها صاحب الجريدة هازئاً ساخرأ . وانصرف البك
بعد أن شرب القهوة وهو يتعثر بأذيال جبته وقفطانه ويصيح بملء فيه
« السلام عليكم » .

ولما خلا صاحب الجريدة بنفسه قرع الجرس ودفع للخادم بالمقالة
الافتتاحية ليذهب بها لتشر . ومكث هنيهة يضرب أخماساً في أسداس .
ثم دخل عليه الخادم ليعلم قدوم زائر جديد .

دخل الزائر فلم يقم له عبد اللطيف بك لما بينهما من الود والاخاء
فصاحه الزائر ثم جاس بعد أن سأل صاحب الجريدة أن يعطيه سيجارة
اعطاها له عن طيب خاطر وهو يتسّم . وابتدأ الحديث قائلاً .

— كيف حالك اليوم؟

— على ما يرام . لقد أتيت مبكراً . أليس في عزمك
الذهاب المحكمة .

— ليس عندي من القضايا ما يبعثنى على زيارة المحكمة اليوم
وعندي من المحامين كما تعلم من يقوم بأداء الواجب بالنيابة عني .
— حسناً فعلت .

— أتيت لأحدثك بشأن المقالة التي تعرضت لك فيها إحدى
جرائد أوس . أتسكت عن هذه الوقاحة ؟

— السكوت خير وأولى .

— ليست هذه الجريدة . من الجرائد الساقطة التي تباع شرفها في
سبيل المال وليست المقالة مقالة مدح ولا ذم والسكوت يسئ من سمعة
الفاروق فأولى لك أن تكتب رداً يكبح جماح أعدائك ويرد كيدهم
في نحرهم

— أتستصوب ذلك ؟

— بلا شك . ان الفاروق هو الجريدة الاسلامية الوحيدة المنتشرة
في جميع أنحاء العالم الاسلامي نخذ انفسك الحيطه يا صديقي واعمل ان الله
مع العاملين .

مكث صاحب الفاروق هنيهة يفكر ثم نظر لصديقه نظره
طويلة وقال :

— ستظهر المقالة غدا .

— بل اليوم .

— محال لقد أزف الوقت وايس عندي . أسمع للكتابة .

— إذا فلترجئها للغد . وما الذي أنت عازم على فعله مع المحرر

السوري ؟

— قررت فصله .

— وهل هو عليم به ؟

— كلا . سأعلمه به بعد اتفاقى مع من سأستعيض به عنه .

— وهل وفقت لشاب حسن السيرة والسريرة ؟

— نعم . ولا ينقصنى إلا الاتفاق معه .

ودخل عليهم ما فى هذه الساعة حسن أمين وهو باسم الثغر فالتفت
عبد اللطيف بك لصاحبه المحامى وأسره هذه الجملة (افتكرونا القبط جانا
ينظ) . وصافح حسن أمين المحامى بمد أن قدمه له صاحب الفاروق
وجلس الثلاثة يتجادبون أطراف الحديث . فقال المحامى .

— لقد حادثنى عبد اللطيف بك عن حضر تكلم كثيراً ومدح لى

غير تكلم على تقدم الصحافة .

فاحمر وجه حسن وقال بصوت متهدج .

— إني لا أستحق كل هذا المدح .

— إنك لا تحب أن تذكر الناس حسناتك وهذا شأن كل

نابعة عظيم .

— حاشا لله أن أكون نابعة لاني ما زلت تلميذاً أتلقى العلم فى

المدارس الثانوية .

— وفى أى مدرسة أنت ؟

فأجاب صاحب الجريدة .

— فى السنة الرابعة بالمدرسة الخديوية .

فأجاب المحامى .

— ما شاء الله .

وقال صاحب الجريدة .

— ولم يمنعني اشتغاله بالعلم من مساعدة جريدة كجريدة انفاروق

— هذه خذلة حميدة تثبت لنا تعلقك الشديد بالصحافة وكافك بها

فأجاب حسن وهو يتردد في القول .

— هذا من حسن أفضالكم وجميل سجايالكم .

فقال المحامى .

— وأى المواضيع يطرقها حسن افندى ؟

— أكتب في مواضيع خيالية وأحب المقالات الاخلاقية ولى

كلف بترجمة ما يكتب في الجرائد الانكليزية .

— شىء جميل . انى أبشرك بمستقبل عظيم . ستغدو يوماً ما

صاحب جريدة .

— هذا حلم جميل .

— الاحلام تتحقق يا صديقى إذا ارتكن الانسان على نفسه .

فقال صاحب انفاروق مخاطباً حسناً .

— وهل أتيتنا بشىء جديد ؟

— بالمقال الاول من مقالات خواطر .

وأخرج من جيبه رزمة أوراق دفعها لصاحب الجريدة . فمدق

عبد اللطيف بك الجرس وأعطى المقالة للخادم آمراً بإياد أن يدفع بها
لتنشر . فقال لعبد اللطيف بك .

— كنت أود أن يقرأ البك المقالة ليصححها .

— نحن لا نصحح ما تجود به قرائح رصفائنا . ولكن قل لي متى

ينتهي امتحانك ؟

— بعد خمسة عشر يوماً .

— أود أن تمر على بعد انتهائك منه لأحدثك في مسألة هامة .

— إني رهن إشارتك .

وهم المحامي وافقاً واستأذن في الخروج وهو يقول لحسن .

— أعيد عليك جماتي السالفة (الأحلام يا ولدي تتحقق إذا ارتكن

الانسان على نفسه) .

ثم خرج بعد أن صافح صديقيه .

وحسن لا يعوزه في الدنيا إلا ارتكابه على نفسه فهل يفلح في مسعاه .

ثم جالس صاحب الجريدة ليفاوض حسناً في اشتغاله بالفاروق

رئيساً لقلم الترجمة .

(ملحوظة : الى هنا ينتهي ما كتبه المؤلف من رواية الشباب الضائع)

ملحوظات ختامية^(١)

(يُعرف منها موضوع الرواية الختامية)

- ١ حسن يرسل حبييته خطاباً باسم صاحبة لها . مدرسة
- ٢ امتحان البكالوريا — سقوط حسن
- ٣ خطاب من حبييته
- ٤ مشاجرة مع أمه . لا يريد دخول الامتحان مرة أخرى .
أول مرة أهان أمه فيها
- ٥ رد على خطاب حبييته ويمتذر اليها
- ٦ دخوله الفاروق كمحرر
- ٧ أصبح محرراً وأصبحت حياته كما يأتي : يقضى عصر يومه
في القهاوى وإيله في محال الخمر
- ٨ يتعرف بشبان أغنياء يفرونه على القمار
- ٩ أصبح حسن مقامراً
- ١٠ مشاجرة مع والدته من أجل القمار .
أنه في احتياج شديد للدراهم . تقرضه والدته
- ١١ الوالدة تباع حلبيها

(١) كتب المؤلف هذه الملحوظات الختامية ليستبين بها على تمام فصول
الرواية فنشرناها ليُعرف القارىء منها . موضوع الرواية الختامية باختصار

- ١٢ يتعمد الذهاب متأخراً لدار الفاروق ويبدأ أن يهمل أعماله
١٣ يذهب الى إحدى الحانات ليلا فيتقى فيها ليلته للصباح
ثم يقصد دار الفاروق ثملاً وترنحاً
١٤ يطرد نهائياً من دار الفاروق
١٥ أصبح حسن محرراً صعلوكاً يعيش عيشة الأدياء الساقطين .

تم

الكتاب الخامس

خواتم

قطع مصورة ضمنها ملامح مظانه عن الحياة

ريان يا فجل

قضيت صباح أمس ساعة في قهوة ميدان الاوبرا قرأت فيها الجرائد
وشربت فنجانا من القهوة ثم هممت واقفا وعزمت على العودة لداري
للغداء فقصدت ميدان المتبة الخضراء لاركب الترام . وبينما كنت ماراً
أمام دار البريد استوقفني شاب أسمر الوجه وضاح الطامة قوى العضلات
رشيق الحركات يدل بريق عينيه على ما في قلبه من عزم ونشاط : وكان
لابسا معطفاً جديداً يخفى بدلة ما شككت في أنها من عمل دليا أوريبو .
استوقفني الشاب بقوله :

— صباح الخير

فرددت السلام ونظرت اليه نظرة عبرت له عن استغرابي وحيرتي
وقلت لنفسى « ماذا يريد الشاب مني وايس لى به معرفة ولم أصادفه في
طريقي قبل اليوم . لعله صديق أحد أصدقائي يود محادثتي في أمر يخص
ذلك الصديق أو لعل له قصد آخر » ومشى الشاب بجانبى وهو يتبسم
ويقول :

— البك بلا شك على موعد لأنه يسرع في سيره .

— كلا يا سيدي أنا عائد لداري .

— أيسمح لى البك بخمس دقائق .

— بلا شك .

— البيك يعرف ما ياقاه الأديب من الضيم في مصر، والبيك يعرف
كساد سوق الأدب في مصر، والبيك يهيمه أمر الأدباء في مصر، والبيك
يساعد الأدباء في مصر .

فأجبهته بابتسامة صفراء قاتلا .

— والبيك ليس في جيبيه إلا ثمن تذكرة الترام .

فضحك الشاب وقال .

— أنا أطلب مبالغاً لا يزيد عن شان ولا ينقص عن نصف فرانك

والبيك كريم .

فأخرجت من جيبي قرشين أعطيتهماله وسرت في طريق

لأركب الترام .

...

نزات من الترام عند باب الحامية واتخذت وجهة دارى وأنا أسير
الهوينا وعند وصولى للمنزل وجدت شيخاً يبلغ الستين ضخم الجثة محنى
الظهر له لحية بيضاء تمتدلى على صدره يدفع بيده عربة صغيرة عليها جمل
يبيعه للناس . يسير هنيئة ويستريح أخرى ويصرخ من أعماق قلبه
(ريان يا جمل) والناس تسير بجواره دون أن تهز ثلويهم الشفقة فيجودون
له بثمان كأس من الجمعة اعتادوا شربه كل مساء .

سار الرجل في طريقه الى أن وصل الى نهاية الشارع وحانت منى
التفاته له فوجدته يصرخ (ريان يا جمل) ثم وقف هنيئة ليستريح وإذا به
يهوى على الارض فأسرعت مع الخدم اليه فوجدناه ماتقى على الترى

وهو يلهث من التعب وقد عجز عن الكلام خملناه الى الدار ليستريح
ويأكل ويشرب .

سبحان ربى ، الفرق كبير بين الاثنين . الاول شاب اتخذ الكسل
حرفة والادب ذريعة . والكسل سبيل التدهور الى الدنيا التى تموت فيها
العواطف أو بالحرى الى الموت الأبدى . والثانى شيخ أقعده الكبر ونال
منه الضعف ولكنه أبى أن يرجع القهقرى فى المعركة الكبيرة . معركة
الحياة وعزَّ غايه أن يمد يده للسؤال فعمد للعمل . ففضلا الموت على الجبن .
والعمل سبيل الارتقاء الى الدنيا التى يسهو فيها الانسان لذروة الشرف
أو يموت فيها ميتة الابطال .

(مايو سنة ١٩١٨)

للفقراء مجاناً

بينما كان الظلام ، اتقيا رداءه الأسود على المدينة والسكون صار باً خياله والناس رقوداً في منازلهم كان الدكتور (. . . بك) جالساً أمام مكتبه يخط بيده الكريمة ما يحبه عليه وجدانه الحى . وكيف لا يكتب الدكتور في تلك الساعة وغداً ستقام حفلة كبرى لأول مجمع طبي . مصرى يخطب فيها الدكتور خطبة شائقة تمتلك على الناس نفوسهم وتستهوئ أفئدتهم . أجل يكتب الدكتور ثم يفكر ثم يكتب وهو ممسك بالقلم في يده كأنه رمز الجد والعمل والحنو والشفقة ، وما لبث الدكتور في مكانه قليلاً حتى سمع صوت الساعة تدق الثانية عشرة فوضع يده على رأسه وقال (حان ميعاد النوم ولكن الخطبة لم تتم بعد) وأمسك بيده القلم مرة ثانية وكتب الجملة الآتية : (الطب أبها السادة هو النبع الفيض الذى يستقى منه الفقير بلا أجر ولا تمن ، الطب هو الدار التى يدخلها المريض وقد أشفى على الهلاك فيخرج منها صحيحاً معافى ، بل الطب فى نظرى أبها السادة كبيت الله تجمع بين الفقير والغنى والبائس والسعيد فى مستواً واحداً ، بل ربما كان الطب أوسع صدرًا للفقراء وأحنى قلباً على الضعفاء البائسين ، الطب . . .) ثم تمهل الطيب قليلاً وفكر كثيراً وهو جالس أمام مكتبه بمنه عن النوم والراحة ضميره الطاهر ذلك الباعث القوى باعث الخير والاحسان والشفقة على الفقراء من بنى جنسه .

وكان الدكتور يسكن حياً وطنياً يضم في أحشائه جماعة ممن
يبيتون على الخسف ويشربون على غير نميلة ، قوم فقراء أضربهم المرض
وشفهم الحزن . وعلق الدكتور على باب داره لوحة كبيرة كتب
عليها بالثلث « للفقراء مجاناً » . ما أجل هاتين الكلمتين (للفقراء مجاناً)
إذا مر الفقير وقرأهما دخل دار الدكتور وهو يقول : (سأدخل
مريضاً وأخرج صحيحاً دون أن أدفع للدكتور عن عشاء الاطفال في
البيت) أجل إذا قرأها الفقير تهلل وجهه وبرقت أسرته وابتسم ابتسامة
تعب عما في قلبه من الشكر والرضى وما رضى الفقير إلا حسنة من
حسنات الله على بنى الانسان .

قلنا أن الساعة كانت تدق الثانية عشرة وأن الدكتور كان يكتب
ونسيتنا أن أحد الفقراء في تلك الساعة كان جالساً القرفصاء بجوار فراش
ابنته الحامل التي كانت تصرخ من الألم وهي ترعد من البرد وقد
اصطكت أسنانها وتقلعت شفتاها وسالت دموعها على خدها تكتب
سطور البؤس والألم . ابنة في الثامنة عشرة من عمرها مات زوجها بعد
أن تركها حاملاً وهي الليلة تلد وقد تمسرت ولادتها فأصيبت على قيد
شهرين من الموت . جلس الرجل الفقير القرفصاء واضعاً رأسه بين
يديه وهو كاسف البال غائر العينين لا يعرف ماذا يفعل ولا يهتدى
لوسيلة يخفف بها آلام ابنته . وإذا بزوجته العمياء التي كانت تبهكي
وتضرب رأسها في الحائط تقول له : (أنسيت أن الدكتور . . . بك
يعالج الفقراء مجاناً . اذهب إليه واعطرق بابه فربما رق قلبه وانقذ ابنتنا من

مخالب الموت) فقام الرجل دون أن يفوه بيئت شفاه واتخذ وجهة الباب
وخرج للشارع ليأتى بالطبيب ومشى الرجل في الشارع وهو يترنح
كالشارب المثل الى أن وصل لباب الطبيب ودقه ثلاثا فخرج خادم أسود
وهو يهيم ويذجر وقال له (ماذا تريد ؟)

- ابنتي تموت . أريد أن أحادث الدكتور .

- الدكتور مشغول جداً وقد نبه على أن لا أجيب سائلا .

- ولكن ابنتي تموت .

فأقبل الخادم الباب ورجع الفقير من حيث أتى وهو خافق القلب
ولكنه وقف هنيهة قبل أن يصل لمنزله وقال لنفسه (أجل سأفعل ذلك
وماضرتني لوفعاته) وإذا به يرى رجلا يسير الهويناء في الطريق فمد له يده
وقال (حسنة يا سيدي) فانتهره الرجل وسار في طريقه . ومر رجل ثان
وثالث ورابع وكان نصيب الفقير الخيبة في كل مرة . وإذا بالشرطي
يقول له : (ما هذا الفعل يا رجل ؟ متسول في الطريق . هيا الى القسم)
ولم يكن مع الفقير ما يسد به فم ذلك الشرطي فقال له : (لم أعود التسول
يا سيدي ولكن ابنتي تموت فأردت أن أجمع أجره الطيب فلم أجد غير
هذه الوسيلة) ولكن الشرطي قاده للقسم وهناك قضى آيائه .

وفي الصباح عاد الفقير لمنزله بعد أن أطاق سراحه وكانت الساعة
تدق العاشرة وإذا به يسمع صراخا وولولة فهرب ولداه فوجد زوجته
تبكي وتصرخ وابنته قد فارقت الحياة فانكب عليها وقد فقد الرشد .
وفي هذه الساعة . الساعة العاشرة كان الطبيب « الدكتور... بك »

واقفاً يخطب في المجمع ويصبح بل، فيه (الطب أيها السادة هو النبع
الفياض الذي يستقى منه الفقير بلا أجر ولا ثمن ، الطب هو الدار التي
يدخلها المريض وقد أشفى على الهلاك فيخرج منها صحيحاً . ما في ،
بل الطب في نظري أيها السادة كبيوت الله تجمع بين الفقير والغني
والبائس والسميد في . مستو واحد . بل ربما كان الطب أوسع صدراً للفقراء
وأحني قلباً على الضعفاء والبائسين ، الطب . . .)

٤ ابريل سنة ١٩٢٨

درس في كتاب

يطلق سكان باب الخلق والحزاوي والسكة الجديدة على حارة
درب سعادة اسم (شارع) ولا أدري لماذا يفعلون ذلك وحارة درب
سعادة ضيقة تسكد تلتطم العربات بجدرانها إذا مرت فيها وهي مملأى
بالقاذورات والاحال صيفاً وشتاء . وقد عززت الحكومة رأى السكان
فلم تضن عليهم بلوحة مكتوب عليها بخط جميل (شارع درب سعادة)
وان كانت ضنت عليهم بمصاييح الانارة . وفي هذه الحارة ، أستغفر الله
بل في هذا الشارع ، جامع يقصده عباد الله للصلاة ويجوار هذا الجامع
كتاب صغير يطلق عليه كتاب (سينو اغا). كنت أسكن هذه الناحية
وأنا صغير بل في هذه الناحية ولدت وفيها ربيت ولم أتركها إلا وأنا يافع
بعد أن بعنا دارنا الكبيرة التي لم يبق منها إلا دن تبعث الذكري في
القلوب ، ذكرى الطفولة المذبة الجميلة . أذكر انى وددت وأنا صغير أن
أزور الكتاب لأقارن بينه وبين المدرسة التي كنت أذهب اليها كل
يوم فدخلت مع خادى وصعدت للطابق الاعلى ورأيت الاطفال جلوساً
كلاً أمام قطره وهم يرددون آيات القرآن الكريم بنغمة حلوة شجية
وكان (الفتى) غائباً ذلك اليوم أما (الريف) فكان واقفاً في وسط
الغرفة ويده عصا (جريدة) تنظر اليها الاطفال نظرات ينبعث من
بريقها الخوف والوجل . رأيت الريف وحياني أجمل تحية وأجلسنى على

كرسيه وصرخ في الاطفال صرخة أراد بها اظهار مقامه بينهم ولكني
لا أنكر اني ارتعدت عند سماعها كما يرتعد العصفور أمام الباشق . ثم
التفت يمينا وشمالا فرأيت طفلا يتسل من مكانه لركن الغرفة وهو يخفي
في يده شيئا وإذا بالعريف يصيح .

— إلى أين ؟ وكيف تجرأ على مخالفة النظام ؟ تمال هنا

فأنى الطفل وهو يتمر في مشيته وصاح العريف مرة ثانية .

— على (بالفاقة) .

فأتاه بها أكبر الاطفال سنا وشدوا وثاق الطفل وأقسم العريف
بأغظ الأيمان أنه سيضرب الطفل ضربا مبرحا لانه خالف النظام
والاوامر الجديدة وهم بضربه وهو يقول .

— أقسم بالله والنبي والرسول والصحابة والاولياء والأتقياء الاحياء
منهم والاموات إنك لا تقات من يدي . سوف ترى . سأحل بك
أشد عقاب رأته العيون وسمعت عنه الآذان من عهد آدم ونوح .
ما الذى تخفيه في يدك ؟ تكلم . ماذا غادرت مكانك خفية . ما الذى بيدك ؟
فصاح الطفل وقد رأى العريف بهم بأن يهوى بمصاه على
جسده الناعم .

— حلاوة . حلاوة . والنبي ياسيدنا حلاوة .

فأقسم العريف وقال

— صفحت عنك لأنك قات الحقيقة .

وأمر بجل وثاقه وأخذه على ناحية وهمس في أذنه وهو يتلمظ وقد
سال اللعاب من فيه .

— ما الذي معك . حلاوة . هيه حلاوة .

— نعم حلاوة .

— هات حته

فأعطاه الطفل الحلاوة والتمها العريف وهو يتسم وعاد الطفل
لمكانه . وخرجت من السكتاب بعد أن شاهدت فيه درساً من أخلاق
السوقة لا أظن أنى أراه في مكان آخر

٢٣ مايو سنة ١٩١٨

عرس وماتم

شارع (الس .) شارع قديم جداً أنشأ في عهد أمير مصر سعيد باشا وبقي على حاله الاول الى يومنا هذا ولعل السر في ذلك وجوده في حي قديم بعيد عن الاحياء الاوربية . وهو كالشوارع القديمة يجمع بين القصور الكبيرة نحو طها الاسوار العالية والبيوت الصغيرة الحقيبة التي لا تأوى تحت سقفها إلا المساكين . في هذا الشارع قصر كبير لأحد بشوات مصر المعروفين بالجاه والحسب والثروة ولهذا الباشا أربعة من الاولاد الذكور واثنان من الاناث يعيشون عيشة هادئة مرضية وينعمون بلذات الحياة ومسراتها

أراد الباشا أن يزوج ابنته الاكبر فخطب له ابنة تساويه مقاماً ومالا وأقام الأفراح في قصره أربعين ليلة متواليه حتى ماتت النفوس سماع النغمات ورؤية التمايلق والانوار

عرس يجمع أربعين عرساً !! ! ملك لعمري . مسألة عريضة طويلة حوت ما لا عين رأت ولا أذن سمعت . شئ . كانت له ضجة هائلة في ذلك الحى بل كان حديث الناس في كل مكان

وفي ذلك الشارع أيضاً بيت حقير لحوذى من أصحاب العربات الكازوله ولد مريض أربعين ليلة على الثامنة عشر لازم الفراش أربعين ليلة

وافقت ايمالى العرس . كان الباشا يضحك وكان الخوذى يبكي . كان الباشا يعد معدات العرس ويصرف من أجل ذلك عن سعة وكان الخوذى يبيع أثاث بيته ليشتري الدواء لابنه المسكين . كانت النغمات تطن في آذان الباشا فينشرح لها صدره وتنبسط نفسه وكانت أنفاس الابن تقع في قلب الوالد فتقطع البقية الباقية منه .

وفي صبيحة اليوم الواحد والاربعين زاد على أهل القصر الكبير شخص وهو زوجة الابن الاكبر ونقص من أهل البيت الحفير شخص هو ابن الخوذى البائس .

أصبح الزوج ينعم مع زوجته بما لذ وطاب وأصبح الشاب الفقير جثة هامدة تبللها دموع أبيه المسكين

ذهب الخوذى تقصر الباشا باكي العين كاسف البال خاوى الوطاب وسأله أن يعطيه ما ينفقه في سبيل دفن ولده فامتنع الباشا معتذراً بأنه أنفق المال الكثير أربعين ليلة متوالية لزواج ولده . إن ذلك شديد هائل على كل نفس حرة أبية .

(٦ يونيو سنة ١٩١٨)

رمضان في قهوة ماتاتيا

خلف المحكمة المختاطة وأمام بنك الكريدى وفي كتف دكان
مذكور وقفت قهوة ماتاتيا وقفة الرجل الديمقراطي . تهللة الوجه باسمه
القم تجمع من الناس الغنى والفقير والرفيع والوضيع والمتكبر والوديع :
ما أجل قهوة ماتاتيا وهي تنظر لحديثه الازبكية نظرة الهازى
تقول لها وهي تبسم « أنت شاسعة الارجاء كثيرة الاشجار طويلة
الطرق والدروب وأنا صغيرة وحقيرة وإن شئت فأنا أيضا غير نظيفة
ولكنى أضحم تحت لوائى عددا من الناس لم يظأ أرضك بمدر به ولا خمسه
فأنا أكبر منك مكانة وأرفع مقاما

ما أجل قهوة ماتاتيا وقد وقف على كل باب من أبوابها رجل
اسر ائبلى أمام خوانه الصغير بعد أن وضع عليه قدرة الفول المدمس يحف
بها البصل والخيار والقوطه الحمراء والفجل والكرات .

ما أجل قهوة ماتاتيا وقد جلس فيها الشاب ذو الوجه الجميل
والشعور المسدلة والقند النحيف واللباس النظيف ينتظر مرور الناس
ليسرق من جيوبهم باسم (حرفة) الادب والشعر أو باسم (اللاخرقة)
الدراهم التى أعدوها للفقراء والمساكين . بل ما أجل قهوة ماتاتيا وقد
جلس فيها أيضا الصحفي صاحب الجريدة الأسبوعية الشهيرة التى تصدر
لسب الناس وانتقادهم بلا ذنب ولا جريرة .

بل ما أجمل النغمات الموسيقية في قهوة ماتاتيا نغمات (أحجار الطاولة) ممتزجة باصوات بائعي أوراق اليانصيب . ما أجمل قهوة ماتاتيا إذا جلست فيها وأتاك أحد الدماسرة يعرض عليك شراء منزل أو بيع قطعة من الأرض الخ . بل ما أجمها أيضاً وقد جالس فيها كتاب المحامين يناقشون أصحاب الدعاوى وصغار الممثلين يتحدثون في شتم اخوانهم ورؤسائهم . والاجمل من كل ذلك أن ترى قهوة ماتاتيا وهي تنظر بعين العطرسة والعجرفة للخيم الصغيرة والكراسي المشبعة التي أعدها كتابو العروض لا أنفسهم ولزبائنهم على رصيف المحكمة المختلطة . كل هذا جميل . هذه مناظر من مناظر الحياة تسترعى نظر الكاتب الذي يكره الجلوس في سولت وجروبي والكويتيننتال والذي يجب أن يرى بعينه من غرائب الحياة ما يجري في أمثال قهوة ماتاتيا . كل هذه المناظر الحيوية يراها الرائي كل يوم ولا يعبأ بها ولكنه إذا رعى القهوة في شهر رمضان رأى مناظر أخرى تستوقف نظره : أربعة مناظر جديدة من مناظر التمثيل ليست أجمل من المناظر الاولى ولكنها أكثر منها غرابة .

المنظر الاول منظر رجل من لابسى الجبة والقمطان ناعس الجفون جهم الحيا ممسكاً بمسبحة طويلة عريضة يقتل بها الوقت ، هذا هو منظر الشيخ الصائم الذي ضاق في عينه منزله فأتى ليقضى وقته في القهوة بلا أجر ولا ثمن .

والمنظر الثالث منظر رجل مثله أقل منه عبوسة ونوماً يظهر أمام

الناس بتظهر الصائم حتى إذا جاع دخل القهوة سرآً ودخل في ركن من
أركانها يشرب البيرة ويأكل الفول . هذا هو منظر الرجل الصائم جهازاً
والفاطر سرآً .

والمنظر الثالث . منظر الرجل الفقير الضعيف المريض الذي أتى القهوة
ليستنشق هواء حديقة الازبكية ويشرب فنجان قهوة وكوبه ماء ويكل
هذا بقرش تعريفة فقط .

هذا الرجل أجبرته ظروف الحياة على الافطار فلم يخش الناس
وشرب القهوة والماء أمامهم وهو يقول لنفسه (الله يعلم اني مفطر فلتعلم
أيضاً الناس لانى لم أفعل ما يغضب الله) .

والمنظر الرابع . منظر شاب مصرى لا يتكلم إلا الافرنسية أو
الانكليزية مملوءة بالانحلاط المضحكة ولا يابس إلا اللباس الجميل ولا يمشى
إلا مشية الاعجاب والتبخر وإذ ضحك كانت ضحكته نسائية
تستلثت أنظار الرجال قبل النساء وإن تكلم سالت من فمه الرقة وادعى
أنه ممن تتفانى النساء في محبتهم . يجلس هذا الشاب على قهوة . اتانيا
وإضعاف رجله اليمنى على رجله اليسرى خالماً طربوشه وممسكاً بيمنه كأس
الوسكى أو الكونياك يحترسه جرعة جرعة . هذا هو منظر . من لا
يخشى الله ولا اللس منظر المتبرنج ، منظر العضو الأشل في جسم
الامة المصرية

ولكن المرأة لم تخلق لهذا الهناء في مصر

ما أجمل الصيف في رمل الاسكندرية وما أجمل رمل الاسكندرية في عين المصطفى . الأرض صفراء والحدائق خضراء ومياه البحر زرقاء والامواج زئير تألفه النفوس كأنه موسيقى الصيف والقمر في منتصف كل شهر أشعته زاهرة تدمكس على وجه الماء فتبدو للعين فضية اللون . والاستحمام في ماء البحر كل صباح يعيد للنفس نشاطها وللقلب طمأنينته وراحته . كل هذا جميل وأجل منه أن نخرج من منزلك عصر كل يوم للتنزه فتصادف في طريقك صديقاً تأنس لحديثه فتسيران الهويناء معا تنظران لجمال الطبيعة وتناجيان قدرة الخالق وعظمته تبدون في صغائر الامور وكبارها فوق هذه الرمال

أخرج في العصر للتنزه ساعة ثم أعود لمنزلي قبيل المغرب . ففي ذات يوم خرجت لتروض كعادتي وبينما أنا سائر في طريقى لمحت رجلاً يقرب مني من بعيد وشعرت برجل آخر يسير خلفي ثم اقترب الرجلان وسامعا على بعض وهما يتسلمان ووقفاهما هنيهة يتحدثان ثم سارا معا أمامى وهما يمتبان على بعضهما لطول غيبة الواحد عن الثاني فما شككت في أنهما صديقات التقيا في هذا الطريق بعد فراق طويل . ثم دلفت لمنزلي وتركتهما معا ولم أعلم عن أمرهما شيئاً إلا عصر اليوم التالي .
خرجت في اليوم التالي للتنزه كالعادة وسرت في الطريق التي

وطفتها أقدامى بالامس فاذا بي أرى رجل الأمس يقرب منى وكانت
تسير بجواره عادة ما شككت في أنها زوجته . وشمرت خافى أيضاً
بالرجل الثانى يسير مع سيدة ما شككت أيضاً في أنها زوجته . ولما اتلاقي
الجمعان انفصل كل من الرجلين عن زوجته ووقفا من بعيد ينظران
الارض دون أن يحسرا أحدهما على رؤية الآخر . أما الزوجتان فقد كانتا
على ضد ذلك . وقفت كل واحدة منهما تحدث الأخرى وهى لامة
الصفحة باسمه الفم ثم انفصتا عن بعضهما وسارت كل واحدة بجانب
زوجها متخذة وجهها لمنزلها .

ياللهجب . بالامس وقف الرجلان يعتب الواحد منهما على الآخر
لطول غيبته ثم سارا جنباً لجنب يتحدثان ويضحكان واليوم وقف كل
واحد منهما بعيداً كالصم لا يتكلم ولا يتحرك كأنه لم يكن بين الاول
والثانى ود وصداقة . كل هذا لا نفعه احتراماً لنسائنا بل احتراماً لتلك
الخرقة التى نضعها على وجوههن ، والتى نسميها بالبرقع . حرام أن يكلم
الصديق صديقه إذا قابله مع زوجته ظناً منه أن فى ذلك ما يحبط من
قدر الزوجية إذ للرجال عالم منفصلاً عن النساء . ألم يكن أحسن من
ذلك وأولى أن يقف الأربعة ليتحدوا معاً ويتزهاوا معاً وعلى الأخص
إذا كان الرجل صديق الرجل والزوجة صديقة الزوجة . أى حائل يحول
بينهم والى متى تبقى تلك الحال السيئة ونحن فى غنى عنها .

ولكن المرأة لم تخاق لهذا الهناء فى مصر

(٤ يوليو سنة ١٩١٨)

لبن بقهوة ولبن بالتراب

صباح اليوم ، بعد أن صحوت من نومي ولبست ملابسي ، أتاني الخادمة بالفطور لآكل ثم أخرج . ألقىت نظري على الطعام فوجدته مختلف الالوان من جبن وزيتون وبيض وابن وقهوة وكانت لي شهية للآكل فأكلت من الجبن والزيتون والبيض حتى شبعت ثم نظرت لللبن والقهوة وقلت انفسى (إني أشرب اللبن مع القهوة صباح كل يوم ولقد شبعت من غيره اليوم وليس في متدوري أن أضيف الى ما في معدتي من اللبن شيئاً) وقت لا ارتدى ملابسي وإذا بي أرى كلبى يبصّبص لي بذنبه فأفرغت ما كان في فنجاني من اللبن في وعاء الكاب وتركته والوعاء .

ركبت ركاب الرمل حتى الاسكندرية وقضيت بعض حوائجى ثم أردت الرجوع فانتظرت في المحطة قليلا مترقبا وصول القطار الذى يقطنى حتى المحطة التى أسكن فيها وإذا بي أرى رجلا يباغ الحسین يسير وراءه طفل ما شككت في أنه ولده يحمل معه قدراً مملوءاً بسائل لا أعرفه وحاولا ركوب قطار كان قد غادر المحطة وابتعد عنها قليلا وإذا بالولد يهوى على الارض والاب يهوى فوقه وحسن حفظهما لم يصابا بسوء ولكن القدر انكسر وسال ما فيه على الارض وكان لبنا ناصع البياض فنظر اليه الرجل نظرة ملؤها الاسف وكادت الدموع تسيل من

عينه ثم سار في طريقه مع ابنه وكأنه تفال شراً مما حدث فعاد من حيث أتى .

لم ألبث في طريقى قليلا حتى رأيت طفلين من أطفال شوارع الاسكندرية يتسابقان لمكان الحادثة وكانا لا يسين من الملابس ، الا يحجب من جسديهما إلا القليل ، عاري الرأس حافي الاقدام تراكم على جبهتيهما وولابسيهما القاذورات والاوساخ - تسابقا لمكان الحادثة ونا وصلا اليه ركعا على الارض ولبثا يا احسان الابن وكان لبنا بالتراب لا بالقهوة .

يا لله أترفض نفسى في هذا الصباح فنجان ابن بقهوة وترضى نفسا هذين الفقيرين لبنا ممزوجا بالتراب
(٢٥ يوليو سنة ١٩١٨)

س من أسرار تأخر المصيبين

يسكن بجوار منزلنا رجل أشيب معمم ذو ثروة كبيرة ، إذا مشى في طريقه ينبعث من وجهه جلال ووقار ، وإذا نظر اليك نظرة اختبار واستفسار قرأت في عينيه الطيبة ولا أغالى إذا قلت السذاجة . هذا هو جارنا الجديد المحبوب صاحب المال والبنين والبنات والثروة والجاه والفضل الكبير .

مضى عليه في الحى الذى نسكن فيه أربعة أشهر ثم جاء شهر رمضان فاذا نى أراه من نافذة غرفتي يجلس مع أولاده في غرفة من غرف داره ليقرأ البخارى وإذا نى أرى شيخاً آخر من الذين يطرقون بيوت الناس كل يوم جالساً بجواره يسمع أحاديث النبي ويهز رأسه استحساناً حتى إذا تمع صاحب الدار من القراءة أمسك شيخنا الجديد بالكتاب وابتدأ في تلاوة الاحاديث .

جميل ذلك المنظر ، منظر الشيخين والاولاد الصغار يتلون ويرددون أحاديث النبي وفي ذلك عبرة لمن يعتبر وذكر لمن يتذكر . ثم زارنا الشيخ الآخر ذلك الذى اعتاد الدخول في بيوت الناس كل يوم فجلست معه ساعة من الزمن وسقت معه الحديث في مواضع شتى الى أن تكلمنا عن قراءة البخارى فقلت له .

- أرى سيدي الفاضل يجلس كل يوم مع جارنا لتلاوة
أحاديث النبي .

- نعم يا ولدي وعلى بركة الله .

- قراءة أحاديث النبي ذات فوائد عظيمة لعلكم وجدتم فيها شيئاً
يمرز بعض آراء النحويين .

- نحن نقرأها يا ولدي على بركة الله .

- ألم تجدوا في معاني أحاديثه نظريات تتفق أو تدحض بعض
نظريات علم الاجتماع .

- نحن نقرأها يا ولدي على بركة الله .

- ألم تجدوا فيها شيئاً من سياسة الأمم .

فنظر الرجل نظرة حيرة واستغراب وأمسك بإحيطته وتردد قليلاً
ثم قال .

- نحن نقرأها يا ولدي على بركة الله .

ثم ودعنا وانصرف .

وانتضى شهر رمضان وكدت أن أنسى ذلك اللقاء الى أن سافت
الظروف لدارنا مستشرقاً من مستشرقى أوروبا شيخاً أشيب وقوراً حلیم
الطبع لأمع الصفحة ، قدم الى مصر للبحث عن كتاب عربي قديم في
أمراض العيون بحث عنه في جميع مكاتب العالم فلم يجده في غير مكتبتنا
جلست مع الرجل وحادثته ملياً وقلت له :

- شكرالك ياسيدى لانك بطبع هذا الكتاب تخدم الشرق أجمع
- بل إنى أشكركم بالمباح لى بطبعه .
- إنك تظهر ماثر العرب وتنشر علومهم الدفينة .
- أجل ولكنى أيضا أظهر للعالم الانسانى كيف كان حال الطب
فى ذلك العهد ولهذا أخدم تاريخ هذا العلم ولبلى أوفق لذلك .
وودعنا الرجل وانصرف حاملا الكتاب وأتانا به بعد أشهر معدودة
مطبوعا متقنا جميلا .
لعلى بكتابة هذه الخاطرة أشرح لابناء وطنى سرّاً من أسرار
تأخر المصريين .

(١٩ سبتمبر ١٩١٨)

سارق وسارق

الشيخ احمد يافع أصفر الوجه نحيل الجسم إذا مشى سار الهويتنا
لضعفه وانحلال قواه وإذا نظر اليك إنبتت من عينه بريق يهز أوتار
قلبك ويبعث فيه الشفقة والحنان . تراه في صبيحة كل يوم يحمل على ظهره
المقوس الواح الثلج يسير بها في شوارع الرمل ليودعها في البيوت
والقصور وما ساقته لذلك غير الحاجة ولا قاذته غير البلوى فهو من
الفقراء البائسين الذين لا حول لهم ولا طول . ولقد أطلق عليه أطفال
الرمل اسم الشيخ احمد لسداجة طبعه وضعف قوته فهو في نظرم العوبة
يقتلون به الوقت والوقت في نظر الاطفال لا قيمة له . بيد أن اسم الشيخ
احمد التصق بشخصية ذلك العامل المسكين فرده الكبير والصغير
والغنى والفقير والشريف والحقير وأصبح حامل الثلج لا يعرف في حى
الرمل بغير ذلك الاسم .

اعتدنا أن نرى وجه ذلك المسكين فى كل رصيف عند مجيئنا
للاسكندرية وكأننا نرى برؤيته جزء آمن رمال الرمل وغياضها وبحرها
الهائج غير أننا فى هذا العام حرمنا رؤيته وجهه البائس شهر آمن
الزمن شعرنا باختفاء شئ . اعتدنا رؤيته كل صيف . ثم ظهر الشيخ احمد
فى ربوع الرمل يحمل على ظهره الواح الثلج ورأيناه فى صبيحة يوم من
الايام يطرق بابنا ويدخل فناءنا وهو يتسم كأنه يقرئ أرض الدار

وجدرانها وكل شئ فيها سلامه ويبتها أشواقه ولو كان للارض والجدران
لسان يتكلم لسمعنا حديث الشوق وتحيمات اللقاء بعد الفراق . ناديته
فلبى ندائى ووافانى يتعتر فى مشيته فسألته عن سر غيبته فقال :

— كنت رهين السجن ياسيدى .

— الشيخ احمد يزج فى أعماق السجون ؟

— إنى والله برى .

— وكيف كان ذلك ؟

— سيدى لا يعرف الرجل الذى يشتري الملابس الرثة ثم يبيعها فى

الطرق بعد اصلاحها .

— أعرفه يا شيخ احمد وأسمع صوته كل يوم فما هو إلا حانوت متنقل

— بورك فيك يا سيدى فقد عرفت الرجل . لقد سألته يوماً شراء

ثوب كان فى يده وساومته على الثمن فأبى أن يبيع الثوب بمشرة قروش

وغادرنى وسار فى طريقه ولكنه التفت الى بعد حين ونادانى قائلاً هات

الثمن وخذ الثوب فاعطيته ما كان فى جيبى وكنت لأملك سوى عشرة

قروش فوضع الدرهم فى جيبه وسار فى طريقه فجريت وراءه لآخذ

الثوب ولكنه مهرنى ثم ضربنى وريح الصفقة منى فالتفت بمنة ويسرة لعلى

أجد فى الطريق رجلاً ذا شهامة ومروءة يرد الى مالى فلم تقع عينى على

غير آكام الرمل فعدت أدراجى صفر اليدين لأملك أبيض ولا أسود

ولكننى أقسمت أن أنتقم من ذلك الوحش بل من ذلك الجبان الذى

وجد ضعفى وبؤسى وسيلة يبرر بها جريمته . وقابلته بعد أيام ثلاثة وكان

قد وضع حمله أمام بيت دخل فيه يساوم بعض الخدم على شراء ثوب عتيق
فأخذت من بين بضاعته الثوب الذي دفعت ثمنه وما دفعني لذلك غير
الانتقام وإذا بالرجل خرج من البيت وجرى ورأى وأمسك بي ثم أخذ
الثوب مني ومازات بين يديه يصفعني تارة وبهزني طوراً إلى أن سلموني
ليد البوليس وحكم على بشهرين قضيتهما بين جدران السجن . ثم تبسم
الشيخ احمد وقال وليكني لا أ كذب القول لقد كنت على أحسن حال
في سجنى فما شكوت ضيقاً ولا جوعاً . وغادرنى الشيخ احمد وهو يتسم
حاملاً الواح الشايج كمعادته فقات في نفسى حرام أن يعاقب الابرياء أما
المجرمون فما زالوا يعيشون فى الارض فساداً ثم القيت نظرة أخرى على
الشيخ احمد وهو يتوارى عن نظرى فرأيت فيه صورة البأس الذى
يخرجه المجتمع الانسانى من حيز الابرياء الى حيز المجرمين وكيف لا
يكون الامر كذلك والشيخ احمد لم يشك فى سجنه ضيقاً ولا جوعاً .

(٣ أكتوبر ١٩١٨)

هنا وهناك

ما أجمل جبل السنسير بضواحي ليون ، جبل أخضر اللون تكتنفه
تلال تكسوها الأشجار ومروج تقطعها الطرق ، وعلى قمته بنيت يد ناسك
متقشف بيتا صغيرا يقضى فيه حياته تحوطه حديقة غرس أشجارها بيده .
هناك تشرق عليه الشمس وهناك يعم الظلام بيته وهناك اعتزل العالم
وهناك سيموت . وبين هذه الجبال نزلت منذ ثمان سنوات في أسرة
افرنسية لأقضى بينهم ثلاثة أشهر أدرس فيها اللغة الافرنسية ، وكان
يتهم غير بعيد عن الجبل وكنت أشرف منه على مدينة ليون فتراءى
لى فى ظلام الليل بمصايحها اللامعة . أيام جميلة تميدها الذكرى لنفسى
وما أجمل الذكرى والانسان بعيد عن هذه البلاد التى قضى فيها جزءا
من عمره لاقى فيه السعادة والصفاء . قلت إنى كنت نزيل أسرة
إفرنسية مكونة من رجل وزوجته وشقيقته وولدين له يذهبان صباحا
إلى المدرسة ويعودان منها قبيل الغروب فيلبان ويعرجان فى الحديقة الى
أن يدنو الليل فيدخلان غرفة المطالمة ويقضيان مع عمتهن ساعة من
الزمن قبل العشاء يعيدان فيها درس اليوم ويدرسان درس الغد . وأبيح
لى أن أشهد هذه الدروس لاعتاد أذنى سماع النغمة الافرنسية ، فى ذات
ليلة رأيت فى يد الطفل الصغير ، وكان لا يبلغ من العمر إلا ثمان سنوات ،
قطعا من الحجارة يدرس أسماءها مع عمته ورأيت الطفل الكبير ، وكان

يبالغ الثانية عشر من عمره ، بمسك بكتاب في يده مكتوب عليه هذا
العنوان (مبادئ علم الفلسفة) ولبنا يتناقشان مع عمتهما ثم قننا سوريا
للعشاء ومكثنا تسامر بعد ذلك ثم دخل كل الى غرفته لينام .

سبحان ربي لقد كنت ابلع التاسعة عشرة بل كنت على أبواب
العشرين وكنت من حملة الشهادة الثانوية ولكني كنت جاهلا بعلم طبقات
الارض ومبادئ الفلسفة .

أما الطفل الافرنسي البالغ من العمر ثمان سنوات أو اثنتي عشرة
سنة فهو خبير بعلم طبقات الارض وبعلم الحيوان والنبات والمنطق وعلم
النفس . لقد كنت أمام هذا الطفل الصغير كالتلميذ الجاهل أمام
الاستاذ المتعلم .

يحمل الشاب منا الشهادة الثانوية فأن كان من القسم العلمي جهل
علمي التاريخ والجغرافيا وإن كان من القسم الادبي جهل الرياضيات
والكيمياء والطبيعة . أما علم طبقات الارض والحيوان والنبات والفلسفة
فلم تقرر بعد في برنامج المدارس الثانوية ولا تدرى السبب في ذلك .
نكتب هذا لوزارة المعارف ونحن نأمل أن تصالح في الغد ما
أهمته بالامس .

(١٣١ اكتوبر ١٩١٨)

خواطر

- ١ لا يهدم المشروع الكبير غير الحياء .
- ٢ الجبن هو سر تأخر الشرقيين لأنهم لا يخاطرون بكل ما
عندهم في سبيل نجاحهم .
- ٣ الرأي الجديد يؤلم لأنه يفاجئ الانسان قبل أن يأخذله عدته .
- ٤ لا خوف على الأمة من الرأي الجديد لأنه يفيد إن كان
صائباً ويموت إن كان واهناً .
- ٥ الرجل ذو الإرادة القوية إذا كان سيئ النية يكون أقل خطراً
على الأمة من الرجل ذي الإرادة الضعيفة إن كان
خالص النية .
- ٦ يستحيل على من وُلد فقيراً أن يعتنى في سبيل الصدقة والخداع
أن يصبح يوماً صديقاً يعول عليه .
- ٧ من الناس قوم يستحيل عليهم أن لا يخلطوا الجسد بالهزل .
هؤلاء والبهائم في مستوا واحد .
- ٨ الصداقة كالحب تحمل في نفسها مهدها ولحدها .
- ٩ ليست التعاسة في أن تحب وأن لا تكون محبوباً ولكن
التعاسة في أن تكون محباً محبوباً وتجرى الظروف على
مفارقة من تحب .
- ١٠ الحب يحمل تحت ابطه رداء الفضيلة ليرتديه كل انسان
وضيعاً كان أو رقيقاً .
(١٩١٨)

الكتاب السادس

مذكرات ابن كثير



مذكراتي عن باريس

أكتب اليوم مذكراتي عن باريس ، أكتبها كما تملها على نفسي ، لا أريد تنميق العبارة ولا المفالاة في الوصف شأن فطاحل الكتاب والشعراء ولكنني أريد كتابة ما شعرت به نفسي وتصوير ما رأيته عيني في غضون عدة سنوات قضيتها في بلد العواطف والجمال والعلم والعرفان والحقيقة والخيال .

(١)

اليوم الاول

ركبنا القطار من براين ظهرأ قاصدين باريس فوصلناها صبيحة اليوم التالي . قضينا الليل في تلك الغرفة الخشبية وحاولنا النوم مراراً فلم نفلح فمكثنا نتجاذب أطراف الحديث الى أن لاح الصباح وما أجل إنبثاق النور على تلك الاراضي الخضراء . أما السماء فكانت متلبدة بالغيوم ثم بكثت عين السماء قليلا فشعرنا بوحشة وانقباض ولبثنا واجمين لا نتطق بمنت شفة ننظر لتلك القصور القديمة التي كنا نراها من نافذة القطار ، قصور شاهقة قائمة فوق تلال خضراء عليها مسحة من القدم دعتنا لأن

نذكر العيد القديم أيام كانت فرنسا مقر الأرستقراطية وتهيط الملكية .
ثم أمطرتنا السماء مدرراً فأینا باريس من بعيد كأنها تستقبلنا وكم
استقبلت باريس الغرباء من قبل ، ثم وصل بنا القطار الى محطة الشمال
ففرزنا منه بعد أن نادينا جمالا أتانا وهو يتبرح في مشيته غير عابئ بنا ثم
قال لنا وهو ينظر الينا نظرة الند الى نده .

(أى فندق تقصدون) فقلنا (فندق الكونتیننتال شارع جراند
بلفراد) فهز رأسه وابتسم ابتسامة الساخر وقال (ایس فندق -
الکونتیننتال فی شارع جراند بلفراد یا صديقي) وحمل أمتعتنا فسرنا
خلفه الى أن وصلنا الى سيارة وضعنا فيها أحمالنا وركبناها الى فندق
الکونتیننتال .

جال بخاطري وأنا جالس في السيارة مع والدي خواطر ثلاث :
الاول إني رأيت في الباريسيين وجوها ليست بالغريبة عن وجوه الشعوب
اللاتينية التي يعيش كثير من أفرادها تحت سماء بلادنا . والثاني إني
شعرت بالفرق الهائل بين الشعب الالماني والفرنسي فالاول شعب
أرستقراطي والثاني شعب ديموقراطي ففي المانيا ترى الخدم يلبون إشارة
السيد طائعين كالعبيد وفي فرنسا تجد الجمالين ياملونك معاملة النظير
وما أجمل أن يشعر جميع أفراد الشعب بكرامة أنفسهم . والثالث إني
لم أجد باريس تستهوي الافئدة وتأسر القلوب فأين جاهلها الذي كانت
تتوق نفسى لرؤيته . لقد كنت أظنها بلدة أديمها من فضة وحجارتها من
ذهب فاذا بها بلدة من البلاد بل هي كالقاهرة إذا نظرت اليها من فوق

جبل المقطم بمنظار معظم ولكنى لا أكتف القارىء أنى بعد أن وقفت على جمال باريس الحقيقى وعرفت كيف تقضى الحياة فيها أحيت تلك البلدة كثيراً وعرفت ما بينها وبين بلادنا الشرقية من الفرق الكبير . لهذا أنصح لكل سائح أن لا ينفد الى باريس فى الصباح فى ساعة تسيل فيها دموع السماء .

سارت بنا السيارة الى أن وصلنا الى الفندق ثم صعدنا الى غرفتنا وأخذنا فى اصلاح شؤوننا ثم نزلنا بعد ذلك الى غرفة الطعام لتناول غذائنا ونحن لا بسون طرايدشنا فكنا موضع أنظار الآكلين . وفى عصر ذلك اليوم خرجنا للتنزه فى غاب بولونيا فركبنا سيارة أخرى وجلس خادمنا المصرى بجوار السائق ثم ما لبثنا قليلا حتى تحدثنا وطال حديثهما فأخذنا العجب كل . أخذ سائق باريسى لا يعرف العربية يتحدث خادما مصرىا بجهل الافرنسية ؟ ألا يدعو ذلك للدهشة والعجب ؟ وعند عودتنا سألتنا الخادم عن حقيقة الامر فقال لنا إن السائق قضى فى مصر عدة سنوات وأنه يتقن المصرية فقامت لنفسى وقد أخذتني هزة الطرب (بلادنا يومها الباريزيون أيضا) ولكنى ما لبثت أن انقلب سرورى الى حزن وهم بعد أن أدركت أن من يؤرم بلادنا يشاهد جمال آثارها ويتمتع بصفاء سمائها أقل عدداً ممن يفسد اليها سمياً وراء الرزق يتراحم أهلها فيما هو حق لهم . ثم تناولنا عشاءنا وصعدنا لغرفتنا وتنا . لا جفوننا وفى الصباح استيقظنا مبكرين وأخذنا وجهتنا الى محطة ليون وهناك ودعنى والدى وركب القطار الى رسليا وتركى فى باريس وحيداً فريداً .

رجعت من المحطة الى الفندق وأنا شارداً للرب ، رأيت نفسي غريقاً
في بحر يهوج بالناس فدخات الى غرفتي ونظرت من النافذة ومرت
بتخيلاتي صور مصرية عديدة . تذكرت سريري الذي لا يحاو النوم اعينى
في غيره وتذكرت دارنا التي فيها نشأت وشارعنا الذي كنت ألعب فيه
مع الاطفال وأنا طفل صغير . وتذكرت أهلى واخوانى وما حدث لى
فى مصر من الحوادث صغيرة كانت أو كبيرة . كل هذا رأيت به بعين
الخيال وأنا أنظر من نافذة الفندق الى تلك السماء السوداء ، وذلك الخضم
المائج بالناس والمركبات والسيارات . ثم أطلقت زفرة من بين الجوانح
وأرسلت دمة خبطت على الخد ما فى القاب من هم وألم . ولكنى نشطت
من عقالى دفعة واحدة وقلت لنفسى (علام هذا الضعف . لقد جئت
لهذا البلد لأتعلّم فى هذا البلد تثبتت أقدامى) ثم نظرت الى ساعتى
فرايت أنى قضيت فى باريس أربعاً وعشرين ساعة فقط (اقدمضى
اليوم الأول دون أن أفعل شيئاً يذكر) وغادرت الفندق لأبحث لى عن
أسرة أعيش معها

(١٣ فبراير سنة ١٩١٩)

حول المرأة

- كلا يا صديقي كلا . انى لا أساير أهواءك فبيرلوتى كاتب ماهر
يصور لك ما تراه عينه وما تشعر به نفسه أمام تلك الصور العجيبة التى
رآها فى الشرق .

فأجابها المسيو جارديه وهو يتسم

- أجل يا مدمه وازيل جان ولكنه يسير على وتيرة واحدة فى كل
ما يكتب وفى ذلك ما يدعو الملل والسأم .

فامسكت المدمه وازيل جان بخصلة من شعرها الأسود كانت قد
انحدرت على جبينها الجميل وأعادتها الى مكانها ثم قالت :

- يسير على وتيرة واحدة ! وما ضره لو فعل ذلك . أتندى سهولة
ألفاظه ورقة أسلوبه وسمو خياله ؟ أترى بين كتابنا من يدانيه فى ذلك ؟
فقال لها المسيو جارديه بعد أن شرب كوبة من الماء :

- نحن لا نتفق يا مادمه وازيل . بيرلوتى كاتب شهير طبقت
شهرته الخافقين وتحدث الناس باسمه فى أوروبا وأمريكا ولكنى أفضل
عليه الكثير من كتابنا . . .

فقاطعته المدمه وازيل جان وهى تمضغ قطعة من اللحم قائلة :

- أنت من أنصار بول بوجيه .
- أجل يا مدعو الزيل أنا من أنصاره وبنا حبذا لو اقتدى بي جميع الأفراسيين .
- لو فعلوا ذلك قل على الحربة السلام .
- بل لو فعلوا ذلك لما تمشت بينهم تلك الامراض الاجتماعية التي تسورها عن عيونهم كلمة حربية .
- عبتنا أحاول اقتناعك يا صديقي فنحن على طرفي نقيض .
- والتمت للمدعو الزيل جان الى فتاة روسية كانت تدرس معها الآداب في المربون وقالت !
- وما رأى المدعو الزيل لينا ؟
- فأجابها قائلة :
- رأى ! أختي أن يدهشكم رأيي . إلى أحب الكاتيين من صميم قلبى فصرخ السيور كارنوف من طرف المائدة .
- تحبير الالذين الأتجمعين بين الماء والنار ؟
- فقلت له الفتاة الروسية .
- علام هذا التعجب يا سيدى ؟ أحب بيير اشاعريته وإن كان لم ينظم الشعر بعد وأحب بوجيه لدقه فى تحليل خفايا النفوس . الاول شاعر يفيض خياله فى نثره والثانى بحانه لا يخطئ فى بجه . يداى أرى كتب الاول خالية من كل رأى اجتماعى أو فلسفى وأرى نظريات الثانى لا تنفق مع روح التقدم .

فقال المسيو جارديه : هذا عجيب .

فأجابته المدعو وازريل لينا وقد آلمتها جهته :

- والاعجب منه يا سيدي ان تصارك لنظريات بورجيه .

فأحنى المسيو جارديه رأسه وقال :

- عفواً يا مدعو وازريل عفواً .

وكننا قد فرغنا من تناول الغذاء فقمنا الى الصالون وأشعنا سجايرنا
وجلسنا نتحدث وما أجمل المحادثة بين قوم غرباء لانجمهم صلة الوطن
ولا القومية .

الغريب في مصر يحن للغريب والافرنسي يحن للغريب والنزل الذي
آوانا جميعاً جمع بين الروسي والانكايزي والافرنسي والبولوني والصيني
وكانت المناقشات تتجدد فيه كل يوم حول المائدة وبمد القراع من الطعام
ثم يذهب كل الى غرفه أو يقادر النزل لعمل بعماله . وكنت أجد في
هذه المناقشات عالماً جديداً لم تره عيني في مصر .

قلت أننا دخلنا الصالون وأخذنا مقاعدنا ثم ابتدأت المناقشة من جديد
بين المدعو وازريل لينا والمدعو وازريل جان والمسيو جارديه والمسيو كزنوف
والمسيو يوان الصيني عن سياسة الاوربيين في الشرق الاقصى أما البولوني
فقد ظل ساكناً ينظر الى سماء الغرفة كأنه يبحث عن أمل له . ثم تغير
الحديث من السياسة الى الفلسفة فتناقشوا في فلسفة شوينهور ورأيت
جماعة الرجال تحبذ الفيلاسوف ونشد أزره وطائفة النساء تحب عليه باللائمة .
رأيتهم يدافعون عن آرائهم وحررتهم كما تدافع العنزة عن صغارها . لم

أجد في حركاتهم وسكناتهم ذلك الدلال النسائي ولا تلك الرقة وذلك اللطف . رأيهن قد ساوين الرجال عزماً وقوة وبرهاناً ثم علت كفتهم في ميزان البحث والمناقشة وما أجل انتصارهن بعد أن جاهدن جهاد المستميت . فنظرت الى صديقتي البولونى وقلت له :

- لقد انتصر حزب النساء .

فالتفت الى وقال :

- آد لو كانت شقيقتى هنا تسمع هذه المناقشة .

فقلت : وما آراؤها ؟

- تدافع عن حرية المرأة وتسمى جهدها في بث الآراء الديمقراطية

في بنات جنسها . ستراها بعد ثلاثة أيام لتحكم عليها بنفسك

فقلت له وقد زاد إعجابى بنساء اوربا .

- سأتشرف بمعرفة شقيقتك يا صديقتى .

وتفرقت جماعة النزلاء فدخات الى غرفتى وجلست أمام مكتبي

وأطلقت لنفسى العنان فى التفكير . قارنت بين نساؤنا ونساءهم أستغفر

الله بل بين رجالنا ونساءهم فرأيت الفرق كبيراً والبون شاسعاً .

نساء أوربا يناقشن الرجال فى الادب والسياسة والفلسفة ورجال

مصر يتناقشون فى أنواع الاوتومبيلات وجمال الملابس وإذا قلت بهم

الصدفة أمام موضع جدى مزجوه بالنكات المصرية المستملحة التى تطير

الموضوع فى جوف الفضاء أما نساؤنا ؟؟؟

فبراير سنة ١٩١٩

ليلة في الاديون

صورة خطاب أرسلته لأخي الصغير عام ١٩١٢ .

أخي محمود:

وصاني خطابك صباح الأمس بعد أن أقض على مضجعي طول الليل . ففقت من فرائشي في الصباح ونظرت من النافذة راجياً أن ينكشف عني ذلك الهم القاتل الذي كنت أحس به يدب في قلبي ديباً فاذا بالسماء سوداء اللون وإذا بالغيوم تتكاثف في الجو تخشيت أن تسيل المعصرات وتسقي أرض باريس ماءً مجاجاً وما كان أخرجني في تلك الساعة الى شيء جميل يطلق عن وثاقي ويدخل السرور الى قلبي وإذا بي أسمع الخادمة تدق على الباب ففتحته وتناوات خطابك من يدها وقرأته عشراً ووضعته صدرأً وكأني عثرت فيه على من يسكن قلبي وينفسل فؤادي مما عاق به من الهم والألم . تسألني في خطابك عن التمثيل في باريس فها أنا مجيبك لعمري بحبك لهذا الفن ولست أنسى أيام كنا نتخذ من سريرنا مسرحاً ومن كاتبه ستائراً ومن غرفة نومنا داراً تمثيلية تمثل

فيها أمام من كنا نجتمعهم من رفقاءنا الصغار . تلك أيام عذبة جميلة .
أجل ما أجل أيام طفولتنا التي تمثت بها اليوم أيام شبابتنا ولكن ذكرها
حية لا يفيض منها نوالى السنين والايام .

قلت إنى تناوات خطابك صباح أمس ثم ارتديت ملابسى بعد
تلاوته وشربت فنجانا من اللبن ممزوجاً بالقهوة وخرجت الى الطريق
أخذاً سمتى الى حديقة الاكسسمبورج ودعوت الله أن لا تمطر السماء
وكان الله أجاب دعائى فانقشمت ديم السحاب الاسود ولكن الشمس
ظلت محتجبة تحت سحاب آخر أقل سواداً فلما وصلت الى الحديقة
وجدت نفسى أمام دار الاديون فقرأت اعلانه الكبير فاذا بهم يمثلون
فى الليل رواية (السيد) ابيير كورنيل التى يمثلها الشيخ سلامه حجازى
فى مصر ويمزجها بألحانه الجميلة وقرأت فى ذيل الاعلان سطرأً ينهى أن
الممثل الكبير ما كس ديچاردان سياتى بين الفصل الثالث والرابع قصيدة
تيوفيل جوتيه عن لويس الرابع عشر وبيير كورنيل مؤلف الرواية
فاشترت تذكرة ثم ركبت سيارة الى الجراندى بلقارد .

أنت فى غنى عن أن أسرد لك ما حدث لى منذ اشترت التذكرة
الى أن دخلت دار التمثيل ولا يهيك إلا أن أرسم لك صورة تلجاج فى
نفسى عن تلك الدار التمثيلية وعمما حدث فيها تلك الليلة .

ليست دار الاديون يا محمود بدار نخيمة كدار الاوبرا أو كدار
الكوميدى فرانسيز ولكنها جميلة لما تراه العين على جدرانها من آثار

القدم وللقدم كما تعلم جمال يؤثر في كل نفس خيالية ، وما الاديبون إلا مدرسة يؤمها خريجو مدرسة التمثيل في باريس مع غيرهم من الممثلين فاذا قضوا فيها حيناً من الدهر وظهرت مواهبهم انتقلوا الى دار الكوميدي فرانسيز وحطوا فيها رحالهم . ألم يأتك خبر بول مونييه والبرت لمبرت فيس وساره برنارد وما نالود من الشهرة بين مواطنيهم هؤلاء قد أنفقوا جزءاً من عمرهم في دار الأدبون لاجتياز ساحتها فلبوا دعوتها طامعين . ومن مزايا الاديبون تلك المكتبة التي سمح لبعضهم باقامتها على جوانبه من الخارج فأذا مررت بتلك الدار وأنت سائر في طريقك وقفت هنيهة تقلب نظرك في صنجات الكتب لتشتري منها ما يروق لناظرك ، فما أجمل هذه الدار التي تجمع بين الكتب والتمثيل .

دخات دار الأدبون في تلك الليلة وصعدت على سلمه الكبير ثم وصات الى كرسي وجلست أنظر تارة للناس ونوراً المكان . فاذا بالناس لا تسمع منهم ذلك اللغظ الذي يصرى أذاننا في دار التمثيل العربي ورأيت جماعة المدرج (أعلا التياترو) لا ينطقون بيئت شفه كأن على رؤوسهم الطير أو كأنهم في حضرة ملك من الملوك . فأين قزقة اللب واين دخان السجائر المصرية وأين صهيل جماعة المدرج في دار التمثيل العربي . كل هذا لا أثر له في دار الاديبون . ترى الرجال قد ارتدوا . لا لبسهم السوداء أو ما يقرب منها لوناً وترى النساء في حال بهيجة اللون جميلة الشكل . هذا لعمرى مظهر من مظاهر المدنية والجمال لانراه في مصر . بيد أني لا أود تحطيم آمالك بسرد هذه الوقائع فلا يكبرن عليك أمر التمثيل في

بلادنا فقد عزم الله لنا أن نسير الى الامام ولنتنظر مايفعله جورج أبيض
عن قريب في دار الاوبرا المصرية فربما بدّل من حال التمثيل فينقلب
العسر يسراً . أما المكان فهو قرة العين ومسكة النفس يجمع بين الجمال
والنظام . نرى جماعة المدرج يرون المسرح كما يراه صاحب المقصورة
(البنوار) ويسمعون كلمات الممثل كما يسمعونها . به الصور الجميلة التي
تزين السقف والجدران .

ثم دق رئيس المسرح دقاته الثلاثة وارتفع الستار ومثل الفصل الاول .
شاهدت يا محمود من دقة التمثيل ما أعجز عن كتابته اما المناظر فقد أراد
أنطوان « مدير الاديون » أن يخرجها للناس كما كانت عليه في القرن
السابع عشر ليعيد للبازيسيين صورة من صور التمثيل في ذلك العهد
صورة تاريخية جلية واضحة فانظر الى أى سماء ارتقى الفن في هذا
البلد الامين .

أسدلت الستار في ختام الفصل الاول فسرت من مكاني الى صالون
الاستراحة حيث تتشى النساء وقد تأبطن أذرع الرجال . في هذه
الغرفة التي زينت جدرانها بصور كبار المؤلفين والممثلين جاست على
كرسى ونظرت الى جماعات النساء والرجال وقات متى أرى روح التسامح
تدب في قلوب المصريين فهري الرجال تخاطب النساء في دار واحدة
دون أن تهتم بنفوسهم نزعات الصبوة أو فنن الهوى . هنا نرى الزوج
يخاطب زوجة صديقه والخطيب يخاطب خطيبته ويبتسم لها وهو يقرأ

في عينها آيات الطهر والحب ودلائل الوفاء . ثم دق الجرس فرجنا جميعاً
الى كراسيتنا دون أن نسمع لنا جلبة أو صراخ .
وشاهدنا الفصل الثاني والثالث ولكني لا أكتف عنك اني شمرت عندهما
ألقى ممثل دور رودريج مونولوجه في الفصل الثالث بفتقدان شيء لم
أحرم منه في عصر الأوغو سماع هذا المنولوج يغنيه الشيخ سلامه
حجازي ولعل هذا أثر المادة في النفوس ، ثم ظهر لنا ديجاردان وهم بالقاء
قصيدة تيوفيل جوتييه التي أنحى فيها باللائمة على لويس الرابع عشر
لانحرافه عن كورنيل في أخريات أيام الشاعر . صور لنا جوتييه كورنيل
يسير في الطريق وفي قدمه حذاء ممزق ايس في مقدوره أن يستبدله
بآخر لصيق ذات يده . وفي ختامها يقول الشاعر (لقد كبر اسم
كورنيل وتضاءل اسم لويس) فلما بدأ ديجاردان بالقاء القصيدة صرخ
رجل من أصحاب المقاصير (البنوارات) يالك من ممثل حقير . ولكن
الممثل لم يانتف اليه وأتم القاء القصيدة فدوى هتاف الجمهور وهليله
في الدار كأنه الرعد القاصف . ثم قامت الفتنة ورأيت الناس قد هبوا
من مكانهم وصرخوا (فايطرد . فايطرد . فايطرد الملكي) فقامت من
مكانى ودانيت الرجل فرأيتيه ممتقع اللون وسمعتة يقول (لا أريد أن
أشتم أب الفنون وما كانت صرختي إلا فائسة غضب) ولكني رأيت
الجمهور قد ازداد صراخه وفي ذلك ما لا تحمد معه المنبة وأجبر الرجل على
مغادرة الدار وفي صدره غصه . وعاد الجمهور لسكونه وانتهى التمثيل
وعدت الى دارى وأنا أفكر في هذه الروح الديمقراطية التي شاهدتها

تجسيم أمام عيني في دار الادبوز والتي أود من صميم فؤادي أن تنتشر
في مصر بلادنا المحبوبة .

هذا يا محمود وصف متمضب لدار الادبوز لليلة التي قضيتها فيه ،
كتبته لك لتقف على بعض من أمور التمثيل في باريس .

(٦ مارس ١٩١٩)

صديق من أمريكا

اليوم أكتب للقارىء ما وقع مع صديقي ه ذلك الطالب
الأمريكى الذى وفد الى باريس ليدرس الطب .

رأيتُه لأول مرة فى باغاريسان ، ميشيل يجد فى سيره ثم عرج يسرة
الى باب فندق (السلكت) بجوار السربون وكنت أسكن ذلك الفندق
ثم ركبتنا المصعد (أسنير) سويا وتفحصت فى معارف وجهه فرأيتها
تنطق بما يكفه ضميره من صراحة وشهامة واقدم . ونزل المستر ه . .
و . فى الطابق الثانى وصعدت الى الطابق الثالث دون أن نتحدث . ثم
أصاحت من شأنى فى غرفتى ونزات الى الصالون فى الطابق الاول
لاستريح قليلا قبل الذهاب الى النزل الذى كنت أتناول فيه طعام
الغداء والعشاء فاذا به يدخن سيجارة وقد جالس على متكأ بجوار النافذة
فلما رآنى عم واقفاً وجاء الى وهو يقول :

— معذرة يا سيدى إذا حدثتكم قبل أن أتشرف بمعرفتكم . أنا

طالب جئت من بوستون لباريس لادرس الطب وقد قضيت فى هذا
البلد شهراً من الزمن دون أن أعتز على نزل يجيئون فيه الطبي . فهل
لك أن ترشدنى الى نزل يجمع بين النظافة وجودة الطعام .

فقلت له وقد أرهشتني صراحتة - حباً وكرامة لو شاء السيد أن
يرافقني الساعة الى نزل مدام ميلون أكون له من الشاكرين .
فنظر الى نظرة تعبر عن شكره وقال - أشكرك يا سيدي .
وسرنا جنباً الى جنب الى نزل مدام ميلون وتحدثنا في الطريق بعد
أن تعارفنا وسره كثيراً أن يصادق مصرياً من أبناء النيل وأعجبه طعام
النزل فتردد عليه كل يوم وأصبحنا صديقين نسكن فندقاً واحداً وتأكل
في نزل واحد .

...

المستر ه و . أخلاق اختص بها هو ومن يسكن أمريسا
اخلاق تجمع بين الاخلاص والصراحة والاقدام والمحافظة على الوقت
والتفاني في فعل الغرائب والمعجائب . ذهبت معه مرة الى النزل وجلسنا
حول المائدة وإذا بربة الدار تقدم لنا رجلاً زويجياً فوقفنا وأحنينا رؤوسنا
وأكرمنا وفادة القادم الجديد وجلس الرجل أمام صديقي ه . . . و .
فتغير نظام الجالسين وتحول المستر ه . و . عن طرف المائدة وأخذ له
مكاناً بيني وبين الأنسة ديجنسكي الفتاة الرومانية ذات الوجه الجميل
والقد المشوق . وتناولنا طعامنا وتحدثنا في شؤون مختلفة وكنت أنظر
المستر ه . و . راجياً أن تلفته نظرتي الى الأنسة ديجنسكي ليحادثها
ولكنه ظل ساكناً لا يفرد بيذ شفة فقلت له دون أن يسمعنا أحد
- هل لك أن تحدث جارتك .

فالتفت الى وابتم وظل ساكناً الى أن فرغنا من الطعام .

فلما دخلنا الصالون قلت له - لماذا لم تحدث الآنسة ديغيسكى أختى
أن يكون قد ألم اذلك .

- ولماذا ؟

- لأن النساء يؤلمهن أن تغض عنهن أنظارنا .

- لم أغض عنها نظري يا صديقى ولقد بحثت عن موضوع يخلق
بي وبها أن تحدث فيه فلم أجده . فاحياى إذا .

- الموضوعات كثيرة يا صديقى . حدثها عن الطقس . عن جمال

باريس

- أتريد أن أحويل عن الجدل الى السفسطة ؟ إني أفضل السكوت

في مثل هذا الحال .

وتحدثنا في شئ آخر بعد أن تالقيت عنه درساً جديداً .

...

وفي ذات ليلة كنت عائداً معه من النزل الى الفندق فقال لى :

- هل لك أن تذهب معى الى الكوميدي فرانسيز .

- معذرة يا صديقى فأنا تعب هذه الليلة .

فودتني وذهب منترداً وصعدت الى غرفتي وآويت الى فراشى

ونمت نوماً هادئاً لا تزعجه الاحلام وإذا بي أسمع فى الساعة الواحدة

بعد منتصف الليل دقاً عتيفاً على الباب فتفتت من القراش مذعوراً فأريت

المستر ه . و . يقول

- ما كان يخطر ببالى أنك من محبي النوم .

- وما تقصد بذلك ؟

- سمعت وأنا عائد من دار التمثيل أن الطالبة يقيمون في هذه الليلة حفلة في قهوة بلزار احتفالاً بنجاة أخ لهم من الانتحار . فلم أشأ أن أستأثر بهذه الحفلة دونك . لهذا قرعت بابك وأيقظتك راجياً أن ترتدى ملابسك وتنزل معي .

خاوات الاعتذار فاذا به قد حمل ملابسى وأتاني بها لأرتديها فأطعته وغادرنا الفندق سوياً لنشاهد حفلة النجاة من الانتحار . اليس هذا من غرائب الاخلاق الامريكية .

وفي صبيحة يوم من الايام قرعت بابه ليرافقنى الى النزل فاذا به لم يرتد ملابسيه بعد فقال لى .

- انتظرنى خمس دقائق فقط .

- وإذا لم تنته من إرتداء ملابسك بعد خمس دقائق .

- تذهب للنزل وحيداً .

وغادرته على هذا الوعد ووقفت أمام الفندق انتظر والساعة فى يدي فلما مرت الدقائق الخمس فتح ه . و . نافذة غرفته وأشار الى يديه قائلاً .
- لقد أبطأت . إذهب يا صديقى فالوقت من ذهب .

ورأيته يوماً فى النزل يحمل فى يده صورة (كارت بوستال) عن زنوج أفريقيا فقال لى مازحا :

- هؤلاء من القاهرة .

فألمتني جملته وقلت له وأنا أحرق الأرم .

- بل هؤلاء من بوسطن .

فأدرك لساعته اني غضبت فأخذني الى ركن من أركان الصالون

وقال لي .

- انه من الواجب أن يعترف المخطئ بخطئه . لقد أخطأت واني

أعتذر لك عما بدر مني فهل لك أن تصفح . فأعجبني اعترافه بخطئه

وهزرت يده علامة الصفح .

...

ثم تطاوت المدة ودبت الأيام ودرجت الليالي فرأيت صديقي

ه . و . يميل للوحدة والانفراد والتفكير فلم أهتمد لسر ذلك وخشيت

أن أسأله مخافة أن يغضبه سؤالي ثم رأيت يطيّل النظر الى الآنسة ا . ب

ساعة تناوانا الطعام في النزل فقامت لقد بدأت العاصفة تمب . سترى ما

سيكون من أمر غرام الاميركي . ومكثت مدة وأنا اتعافل عن حبه

وهيامه فاذا بي أراه في صبيحة يوم من الايام يقرع باب غرفتي ففتحت

له الباب فبادرني بقوله

- لي معك حديث يا صديقي .

- وما هو ؟

- اني أحب .

- محب محبوب ؟؟

- أجل . ومن أجل هذا أغادر باريس اليوم . فهل لك أن
تساعدني في إعداد حقائبي ؟

- تغادر باريس من أجل فتاة !

- بل من أجل الواجب يا صديقي ، فالآنسة أ . ب تحبني حباً
طاهراً وأنا أيضاً أحمل لها في قلبي مثل ذلك الحب ولكن أريد
الاحتفاظ بعهدى .

- وماذا تقصد بذلك ؟

- لقد عاهدت والدتي أن لا أتزوج إلا فتاة من بنات جنسى
والرجل لا يتقضى عهده .

فرجوته أن يؤخر سفره عدة أيام فقال .

- لقد أصبحت ثمرة الحب رطباً جنياً . هل لك أن تساعدني في

إعداد حقائبي .

فنزلت معه الى غرفته وبعد أن انتهينا من إعداد الحقائق ذهب

سويلاً الى المحطة وودعته مودعاً معه الا خلاص والشهامة والاقدام

خرطوش وسكر

هناك على شاطئ نهر المارن ، فوق تلك البقعة الخضراء التي تفصلها عن باريس غابة فنسين أقاموا ضيعة أطلقوا عليها اسم (توجان سيرمارن) وفي هذه الضيعة الجميلة التي يحجبها ملتف الغياض ويحفظها ذلك النهر الهادئ قضيت شهرين من حياتي الباريسية ، شهرين كاملين مرا كما يمر الحلم العذب برأس النائم ، شهرين كدت أنسى فيهما نفسي وأ كذب حسي ، شهرين عاشرت فيهما الطبيعة الساكنة المنعشة بعيداً عن ضوضاء باريس ولباريس الشتاء وانضواحيها الصيف ، ما أجمل تلك الايام العذبة وما أجمل تلك الغابة التي كنت أرتاد خلالها مع صديقي المصري يتبعنا كلبه (خرطوش) . وما أجمل ذلك الفضاء الشاسع وتلك الحقول الخضراء والزهور الياضعة والسماء الصافية وما أجمل المنزل الصغير الذي كنا نساكنه وترى من نافذته نهر المارن تحف شاطئيه تلك الأشجار الباسقة والرني المخضاة .

كما نخرج من المنزل بعد الفطور ونسير على غير هدى ثم نعود لتناول الغذاء وفي العصر نعيد الكرة ثم نعود لدارنا الصغيرة وقد دجا جنح الظلام فنجلس في غرفة الاستقبال مع ربة الدار وربها تتجاذب أطراف الحديث فاذا دنا وقت العشاء أكلتا ثم ناوى الى غرفة التناوم .

وكان لربة الدار كلب أطلقت عليه اسم (سكر) ، كلب قبيح الشكل
مقيت الطعمة لا أعلم لماذا تحبه وتعطف عليه . كنت كلما نظرت اليه
كرهت أن أعيد نظري لوجهه ولم أر فيه تلك الشهامة التي يدفع بها عن
صاحبه أذى اللصوص ولم يكن من فصيلة معروفة من فصائل الكلاب
إذ للكلاب فصائل عديدة يعرفها الخيرون فسبحان ربى لماذا تحبه مدام
بار ؟ ربما كان ذلك لوداعته . أما كلبنا خرطوش فكان جيلاً وشجاعاً
وقد أجمع الخيرون على أنه من فصيلة (البيتر) Pointer وتلك الفصيلة
مشهورة بما أتى به من المدهشات في الصيد والقنص .

وكم من مرة استهوانا السمر فكنا نجلس في الحديقة بعد العشاء
تحدث عن أشياء شتى فاذا سقنا حديثنا الى أنواع الكلاب هزئنا
(بسكر) وضحكنا ضحكة تجسم فيها السخرية فكانت تجميننا ربة الدار .
- علام تضحكون ؟ سكر هذا كلب أمين طيب الاخلاق لم
نسمع عنه أنه أذى طفلاً أو تعدى على كلب آخر . إذا رأى أحداً منكم
أقبل عليه يبصص بذنبه ويمسح رأسه في يده . تكفيه منكم إشارة الرضى
ليأتى بنفسه على الارض فرحاً مسروراً ، أما خرطوش هذا الذى تحبونه
فهو أقرب للشر منه للخير . أنا لا أنكر شجاعته ولكنى لا أحب شرازه
التي تسول له ايذاء كل كلب ضعيف يلقاه في طريقه . حرام عليكم
يا ساداتى أن تعضوا أنظاركم عن الكلب الوديع ذى القلب النقى وتقبلوا
بكليةكم على الكلب القوى المدغل . فكنا نسمع أقوالها ونحن نبتسم
ومرت الايام في هذه الدار الصغيرة ونحن عائشون في عيش خضل

مستسامون للراحة والسكون لا نسمع غير موسيقى الطيور ولا نرى غير جمال الطبيعة ففى ذات يوم رأيت صديقى المصرى مكفهر الوجه فسألته عن السبب فقال .

— أين خرطوش . ألم تره اليوم ؟

— كلا يا صديقى .

— أف لهذا الكلب الشقى . إنه حقاً أظلم من حية لا أدرى

أين ذهب ؟

— لعله يجوب فى طرق الغابة .

— وإذا ضل الطريق ؟

فقمتم معه الى الباب وسرنا فى طريق الغابة نبحث عن خرطوش حتى كدنا المطاف وتملكنا الانضاء فرجعنا أدراجنا الى المنزل وجلسنا أسفين وإذا بخرطوش قد عاد الينا فقام صديقى اليه وهوى عليه بسوط كان فى يده وهوى يقول — « وإياك وترك المنزل أيها الكلب الشقى ألا تخشى أن يسرقك سارق ؟ »

وانتهت هذه الحادثة وقضينا بقية اليوم كالعادة فلما روق الليل البهيم جلسنا فى الحديقة نتسامر فاذا بخرطوش قد هبَّ الى ناحية الباب يريد الهروب الى الغابة فقام صاحبي وراءه ولحق به فى الطريق وتبعته صاحبي فرأته يهوى بسوطه على جسد الكلب وهوى يقول « تريد إعادة السكره يا خرطوش ؟ هاك عقابك » وإذا بسكر قد جاء على مهل ليرى ما حدث فلما بصر بصديقه خرطوش يئن تحت السوط اقترب منه

مبصبجاً بذنبه وهاله مصاب صديقه فأخرج لسانه ومسح به دموع
خرطوش ولكن خرطوش أملتته شفقة صديقه الضعيف فهجم عليه
وصرعه على الارض . وما زال يدق عنقه الى أن قضى عليه وعبثاً حاولنا
فصله عن سكر .

لقد مات سكر . مات شهيد طيبته ووداعته . مات شهيد غدر
صاحبه القوى . ذهب ضحية القوة والحق للقوة في كل زمان ومكان .
وإذا بي أرى ربة الدار تمسح بيدها تلك الجنة الهاودة وهي تبكي
وتقول « لقد كان سكر طيب القلب . من فأتحة أمره الى خاتمة عمره »
وفي الصباح دفنا سكر في الحديقة تحت شجرة كبيرة كان من عادته أن
يتفياً ظلها في الظهيرة ونقشنا على ساق الشجرة هذه الكلمات .

« هنا يرقد سكر الكلب الطيب شهيد المروءة والاخلاص »

لقد كنا نكره سكر في حياته فاذا بنا نحبه ونجمله بعد مماته . لقد
كنا نتعاقل عن وداعته وطيبته ونهزأ بذله وضعفه ونقول ليس هذا
الكلب من فصيلة معروفة فهو عديم الاصل ولكننا نعتقد اليوم بعد
أن قضى ذلك الشهيد أن الاصل لا دخل له في الطيبة وأن مخلوقات الله
سواء . ويا ايت شعري اليس الحال كذلك بين الناس .

فعلام يكون الحق للقوة وعلام تكون الطيبة والوداعة ضحية الظلم
ومتى يتقشع عن العالم الانساني ذلك السحاب الاسود .

(١٠ أبريل ١٩١٩)

هو وهي

جاس بجوار النافذة ونظر الى السماء القائمة كأنه يرى فيها صورة نفسه ثم أطلق زفرة من بين جوانحه وقام يتمشى في الغرفة ذهاباً وإياباً ثم أمسك بكتاب قرأ على صفحته الأولى هذا العنوان (مبادئ القانون المدني) وما لبث أن ألقى به على الخوان وهو يقول ساخراً (مبادئ القانون المدني . مبادئ القانون المدني) . وكان قد وفد الى باريس منذ أشهر عديدة وسكن في الطابق الثالث من دار شاهقة في شارع السربون واقتنع بغرفته الصغيرة وتلك النافذة التي كان يرى منها مهد السربون فقد إليه الطلاب في كل صباح ، وبينهم الغائيات ذوات العيون الناعسة والقنود الممشوقة . جاء الى باريس ليدرس الحقوق وما كان بنفسه ميل لعلوم الشرائع ولكن والده لم يسمح له بمغادرة القاهرة إلا ليلقى بنفسه في أحضان تلك العلوم . فسافر وفي قلبه غصة ولكنه وطد النفس على الدأب والعمل جامعا بين علوم الحقوق التي كانت تجشم نفسه مالا تستطيع احتماله وبين علوم الآداب التي يرى فيها مسكاة الأمل وقررة العين . وأحب الأسرة التي كان يعيش معها حبا جماً وامتزج بهم امتزاج الماء بالراح بعد أن وجد فيهم قوماً من أكرم أرومة ولكنه كان اذا فكر في علوم الحقوق يريد وجهه وتخلج أعضاؤه ويهيم في سماء التفكير

ولقد كان هذا شأنه في ذلك اليوم . فلما ألقى بكتاب مبادئ القانون المدنى على الخوان لبث هنيهة يفكر ثم حدث نفسه قائلا (نسيت انى على موعد مع صديقى البير ديباس لنذهب سويا الى دار مدام ماريون حيث تقام حفلة راقصة) وهب الى خزانة ملابسه وأخرج منها بدلة سوداء وقيصا أبيض اللون وحذاء أسود لامعا وبعد أن ارتدى هذه الملابس سمع دقا على باب غرفته فأذن للطارق بالدخول واذا به يرى خادمة المنزل تقول له

- لقد أعد طعام العشاء يا مولاي

- ها أنا قادم

وخرج من غرفته قاصداً غرفة الطعام والتقى فيها برفقائه النزلاء وجلسوا جميعا حول المائدة يأكلون ويتسامرون فلما فرغوا من تناول الطعام أشعلوا انقافات التبغ وقامت المدموازبل ماري الى البيانو وعزفت عليه دوراً لبينيهوفين فصفق الجميع اعجابا ببراعتها ونبروغها ودق باب المنزل ففتحه الخادم واذا بشاب وضاء الطامة نحيف القوام طويل القامة أبيض اللون تدل حركاته وسكناته على طيبة قلبه قد دخل عليهم وهو ييسم وحييا الجميع تحية جميلة ثم التفت لصديقه المصرى وقال .

- لقد أن الوقت يا حسن . هيا بنا

- هيا بنا يا البير

وخرجا من الغرفة فلما وصلا الى الشارع قال البير :

- أتركب عربة أم تسير على الاقدام ؟

— بل ندير على الافدام وعلام نعدد للكسل والمسافة بيننا
ويدهم قصيرة .

وسارا في شارع راسين على مهل فقال حسن :

— إني لا أعرف غير مدام ماريون وابنها وابنتها وأنت تعلم اني
كثير الخجل لهذا أخشى أن أكون عبثاً ثقيلاً على من لا يعرفني .

فتمهقه البير وقال — أتخشى لقاء النساء ؟ لقد عهدتكم قوى القاب
ثابت القدم فملام هذا الحياء . لم تدع مدام ماريون غير أسرة (همرى)
وما تلك الاسرة إلا مجموعة من النساء الام وبناتها الثلاث وصديقة لهن
جاوزت الأربعين فالحفلة عائلية وستكون فيها بين قوم قليلي العدد
يجولونك ويحترمونك فلا تخش بأساً . اليك يا صديقي نصيحة غالية الثمن
إذا اتبعتمها كان لك بين النساء شأن عظيم . لا تركز للنساء كثيراً ، داوول
لهن بين اللين والشدة وأمزج لهن بين الرأفة والقوة ولا تنس الاعتناء
بشاربك فهو من الرجولة وله في قلوب النساء حظ كبير وقسط وافر
وابحث عن مجموعة من الجمال المذبة والنكات المستماحة تجعلها بضاعة لك
تبيدها للنساء لتقبض الثمن غالياً والثمن في هذا السوق لا يخرج عن حد
القبالات المذبة والعناق الطويل الخ . . .

فضحك حسن وعلم أن صديقه يمزح معه وكانا قد وصلا الى
تيارو الاديون فوقفنا هنيهة ينظران للناس تصعد سلم هذه الدار زرافات
ووجدناهم أتما سيرهما في شارع فوجيرار فقال حسن :

لقد قرأت شيئاً عن هذا الشارع في رواية الفرسان الثلاثة
لديماس الكبير .

- إنى أكره هذا الرجل وأربأ بك أن تقرأ رواياته فاست من
السوقه أيها الصديق لتنزل بنفسك الى دركهم .

- إنى أرتأى رأيك يا البير ولم أقرأ هذه الرواية إلا لأعرف
شيئاً عن شخصية الكاتب فأنا اليوم من شيمة من يضرب بروايته
عرض الحائط وعلى الاخض بعد أن قرأت شيئاً من روايات ابنه
اسكندر ديماس الصغير .

- الفرق كبير بين الوالد وابنه فالاول يشوه التاريخ أما الثانى
فيحال خبايا النفوس ويتنصر فيما يكتب لنظريات إجتماعية يرى فيها
الصراط المستقيم لاصلاح ما فسد من الاسرة .

- ولكنى أبرر عمل الاول لفقره وضيق ذات يده . وكانا قد وصلا
لدار مدام ماريون فوقها أمام الباب ودق البير الجرس ففتحه البواب
وصعدا سلم الدار الى أن وصلا الى الطابق الرابع فدقا الجرس أيضاً
وأحس حسن بخفقان قلبه ولم يعلم لذلك سبباً ثم انفتح الباب وسارا فى
الدلهيز قاصدين غرفة الاستقبال .

(١٥ مايو ١٩١٩)

هو وهى

- ٢ -

دخل الصالون مع صاحبه فقابلتهما مدام ماريون وواخفهما ولدها
ماكس وأقبلت ترحب بهما ابنتها جيزيل . أما الام فامرأة فى الحسين
من عمرها قصيرة القامة ذات وجه كثيرات فيه التجاعيد وشعر دب فيه
الشيب وعينين براقتين ينبئان عن نشاط وذكاء . وأما الابن فتشاب فى
السابعة والعشرين من عمره جميل الوجه قصير القامة كثير الحركات
خفيف الروح فهو المثل الحى لما يسمونه (الباريزيانزم) وأما الابنة ففتاة
أطول من أخيها قامة ولكنها أقل منه جمالا كثيرة الحركات والكلام اذا
أصغى لها السامع ساعة يناله منها ما يصدع الرأس . ثم أمسكت مدام
ماريون بيده وقدمته للحاضرين قائلة (أقدم لكم شاباً مصرياً وفد الى
باريس منذ خمسة أشهر طالبا للعلم ، شابا زكى الفؤاد كريم الأخلاق . . .)
فقطع عليها حديثها شاكراً وقدمت اليه الحاضرين وكانوا ثمانية : مدام
همرى وهى امرأة تناهر الخامسة والاربعين طويالة القامة بدينة الجسم
بيضاء الوجه اذا تفرست فى وجهها نطقت . عارفه بما اتصفت به هذه
السيدة من الخصال كشرارة الخلق وعدم المبالاة بالتأنيخ الوخيمة والاقدام

على كل وسيلة تتيها غايتها وعدم الاكتراث بالشرف والطهارة ، وابنتها الكبرى ماري وهي أشبه الناس بأبها وجهاً وأخلاقاً ، وابنتها الوسطى مارجريت وهي فتاة نحيفة القوام طويلة القامة - وداء الشعر ذات وجه تقرأ فيه آيات الجمال والألم وعينين جميلتين يفعل سحرهما بالقلب ما تفعله الكهرباء بالأجسام ، تراها كثيرة التفكير تنفر من الناس إذا دنا منها أحد فكأنها قصيدة من الشعر الوجداني وصورة للجمال الطاهر رسمتها يد الحزن والآلام ، وابنتها الثالثة ايفون كانت دون الحلم ترقص مع الراقصين وتضحك مع الضاحكين وهي لا تعرف شيئاً بعد من أسرار المجتمع الانساني أما صديقتهم مدام لوشيا فامرأة في الاربعين من عمرها تمشي على آثار صديقتها مدام همري في كل ما تفعل وتحذو حذوها سرراً وعلاوية . أما الرجال فتلاثة من بولندا ، الاول مسيو روسيسكي نزيل مدام ماريون والاثناان الآخران مسيو كرينسكي ومسيو يفلوفسكي صديقاها .

ما أجل هذه الحفلة التي لا يزيد عدد رجالها ونسائها عن اثني عشر ، حفلة عائلية يتأخى فيها الرجال والنساء وترفع الكفافة وأمثال هذه الحفلات كثير في باريس تكاد لا تخلو منها دار أو نزل .

جلس حسن مع الجالسين وضحك مع الضاحكين ورقص مع الراقصين ثم جالس ليستريح قليلا وكان قد رقص مع المدموازيل جيزيل والمدموازيل ماري والمدموازيل ايفون وأوقعه سوء حظه بين يدي مدام همري ومام لوشيا فرقص معهما ثم نال منه التعب فجلس في ركن من

أركان الغرفة واذبه يرى مدموازيل مرجريت في ركن آخر تقاب
بين يديها صفحات كتاب صغير فنظر اليها طويلا وود أن يغادر مكانه
ليدانيها ويحادثها ويعلم تلك الجاذبية التي كانت تدفمه تلك الفتاة .
رآها تقرأ ثم تطيل التفكير فعلم أنها لم تمسك بالكتاب في يدها إلا
لتفكر أو لتعمد للسكون والوحدة حتى لا يمكر صفاءها من يود الرقص
معها وكان الجميع يتهافتون على ذلك . أما حسن فقد احترم إرادتها وظل
ساكنا في مكانه ينظر اليها وقد اكتفى بنظراته الطويلة وود من صميم
فؤاده أن يطول جلوسها ليمتع عينيه بجمالها الطاهر وتلك الصورة الحديثة
التي رسمتها يد الألم على وجهها الجميل وإذا بمدام ماريون قد اقتربت
منه وقالت .

- يالك من كسلان . ألا ترى الجميع يرقصون .

ثم التفتت الى مرجريت وقالت لها :

(وأنت أيضا . ما هذا الكتاب الذي تقرأين) وانزعت الكتاب
من يدها وهي تضحك ثم خاطبت الاثنين قائلة (الى الرقص . الى
الرقص . حالا) فقام حسن وقامت مرجريت ومشى اليها وهو يتعثر في
مشيته ورقص معها رقصة (الفالس) . ثم جالس بجوارها ونحاذنا سويا
فقال لها .

- يظهر لي أن المدموازيل تحب آداب اللغة الافرنسية . لقد

شاهدتها منذ حين تقرأ رواية أنديانا للكاتبة الشهيرة جورج صاند .

- لا تقل يا سيدي إنني أحب آداب اللغة الفرنسية بل قل إنني أحب منها ما يسير أهوائي . لقد كنت أقرأ أنديانا منذ حين ولقد قرأتها قبل ذلك كثيراً ولقد وجدت فيها ما طوعت لي النفس قراءته وفي ذلك ما يبعثني على تلاوتها مراراً .

- وأنا أيضاً أحب تلك الرواية حباً جماً . لقد قرأتها منذ شهرين ولا أخفي عليك اني معجب بأخلاق أنديانة .

- معذرة إذا خالفت رأيك لأنني لا أعجب إلا بأخلاق السير رالف و كنت أود أن تسمى جورج صاند روايتها (السير رالف)
وإذا بالمدعو وازيل ماري قد أقيمت عليهما وهي تقول :

- أنباتني جيزيل يا مسيو حسن أنك تملك آلة فوتوغرافية ذات عدسة من نوع (زيس) فهل هذا صحيح .

- هذا صحيح يا مدعو وازيل .

فصفت يديها فرحا وقالت لأختها :

- ما رأيك يا مرجريت . ما رأيك في ذلك ؟

فابتسمت مرجريت ولم تجب ونادت ماري أمها قائلة .

- ماما . ماما . إنني أقترح عليك شيئاً . المسيو حسن يملك آلة

فوتوغرافية فهل يجود علينا بزيارته غداً أو بعد غد ليصورنا .

فأجابها أمها .

- يا حبذا لو صحت عزمته على ذلك . اليوم يوم الاحد وغداً

سندھب جميعاً لزيارة أسرة تيرى . وبعد غد سأذهب لزيارة أصدقاء
آخرين فهل يتكرم علينا المسيو حسن بزيارتنا يوم الثلاثاء .

فاجابها حسن وهو ييسم .

- هذا جل ما أتمناه يا مدام .

فصفت الصغيرة أيقون بيديها وطافت أركان الغرفة وهي
ترقص وتقول .

- سيصورنا بعد يومين . سيصورنا بعد يومين .

وعزفت الموسيقى فهب الجميع للرقص وكانت الانسة ماري من
نصيب حسن فلم اخصرها قالت له في أذنه (ما أجمل عينيك) فأدهشته تلك
الجملة فنظر إليها نظرة الحائر ولم يجب بحرف واحد فسكتت أيضاً ولكنها
كانت تبسم له كلما وقع بصره على عينيها . ثم انتهت تلك الرقصة
وتفرقوا في أنحاء الغرفة ليترجوا ومكثوا هنيهة وهم لا ينطقون بينت
شفة وطال سكوتهم فهم البولندي كرنسكى من مكانه واقترح عليهم
أن يلعبوا لعبة تكون ختام الحفلة فأقر الجميع لعبة تشبه لعبة (استغماية)
التي يلعبها الاطفال في مصر واتخبوا من بينهم ملكا جاس على كرسي
وكان الانتخاب من نصيب روسييسكى أما كرنسكى فكان من
نصيبه أن يجلس بين يدي الملك وهو مغمض العينين ثم يمد يده فيصاخه
الجميع فيسأله الملك (ماذا تريد أن تفعل بمن صاخك) فيجيب بما يراه
دون أن يعرف الشخص الذي صاخه . فلما صاخته مدام ماريون سأله
الملك سؤاله فأجاب (يقبل هذا الشخص جدران الغرفة) وما زال

يصدر كرينسكى أحكامه الى أن أتى دور بفلوفسكى فاذا به يحدث
كرينسكى بالبولونية قبل أن يصاحفه ولم يلاحظ ذلك غير حسن ثم
صاحفه فقال الملك (ماذا تريد أن تفعل بهذا الشخص ؟) فأجاب
كرينسكى (يقبل المده وازيل مرجريت) ففهم حسن سر ذلك
وسكت وهو يكتم غيظه وقام الجميع لتنفيذ الاحكام وقبل بفلوفسكى
مرجريت فأزاحت عنه رأسها قليلا فوقعت القبلة على شعرها واكفر
وجه حسن ولاحظ صاحبه البير ذلك فأسر له تلك الجملة (يا صديقى
المسكين) فابتسم حسن ابتسامة الحزين البائس ونظرت مدام همري فى
ساعاتها وقالت لقد آن الرحيل وخرجوا جميعاً بعد أن ودعوا أسرة
ماريون فلما وصلوا الى الشارع صاحفهم حسن فقالت له ماري .

- لا تنسى أن تزورنا يوم الثلاثاء .

فأجابها حسن .

- سأكون فى الميعاد يا مدموازيل .

وسارا فى طريقه مع صديقه البير وظلا ساكتين هنيهة ثم قال البير .

- ماذا حل بك أيها الصديق . لماذا لا تتكلم ؟

- لقد تملكنى الأتضاء يا صديقى وسأنام الليلة ملء جفونى .

- أراهن أنك ستسهر للصباح .

- ماذا تقول ؟

- أقول أن مدموازيل مرجريت جميلة جداً .

فضحك حسن وقال :

- لا أنكر أن الفتاة جميلة ولا أنكر أنها استألفت نظري
ولكنها لم تملك على قاي .

- من يدري سنرى ماذا يكون من أمركما يوم الثلاثاء .
وما زال يتحدثان الى أن افترقا عند شارع المدارس وسار حسن الى
المنزل وهو يفكر ثم صعد الى غرفته وخلع ملابسه واستلقى على سريره
وحاول أن ينام فلم يقدر خذات نفسه قائلا (أسرة غريبة . أم لا تركن
اليها النفس وابنة تبوح بهواها قبل أن يبوح به من راق في ناظرها وابنة
أخرى صغيرة ليست في العير ولا في النفير . أما الثالثة الوسطى فهي
أحجية من الاحاجي بل اغز من الالغاز) ثم ففكر قليلا (وربما كانت
ضحية . .) وما زال يردد هذه الكلمة ثم غلبه النعاس فنام .

هو وهى

- ٣ -

أفاق من نومه صبيحة يوم الثلاثاء وأصاح من شأنه وارتنى
ملايسه وتأبط جمعة كراساته وخرج من النزل بعد أن تناول فنجاناً
من الشاي وقليلاً من الحلوى وأخذ سمته الى الكليّة وكانت قريبة من
داره فسار في شارع السربون وخيال مرغريت أمامه لا يفارقه لحظة
واحدة بيد أنه لم يكن تمسكاً ولا حزيناً بعد أن علل نفسه بقرب اللقاء
فكان يقول لنفسه (سأراها اليوم وسأحدثها وربما وقفت على سر هذه
النفس الحزينة) ووصل الى باب الكليّة واجتاز ساحتها ثم دخل غرفة
الدرس وجلس غير بعيد عن (المسيو فال) أستاذ القانون المدنى ومرت
الساعة بعد الساعة والأساتذة والتلاميذ في واد وهو في واد آخر فلم
يسمع شيئاً ولم يكتب شيئاً ولم يأسف على ذلك . كان يراها أمامه وهى
جالسة في ركن الغرفة تقليب صفحات رواية أنديانا ، وكان يراها أمامه
وهى تحادثه ، وكانت يراها أمامه وهى تزيح رأسها الجميل عن فم
بفلوفسكى ، رأى كل ذلك بيمين الخيال وكان يبتسم ثم يكفهر وجهه
ويقول (لقد قبلها التمس . لقد قبلها التمس) ثم يهدأ حاله ويقول

(ولكنها أزاحت رأسها عن فيه فوقعت القبلة على شعرها . معذورة أنت
يا مرجريت . معذورة أنت يا ملاكي الطاهر) ثم غادر السكاية وسار
في طريقه وقال بعد أن نظر في ساعته (أمامي أربع ساعات ، ما أطول النهار
اليوم) ثم عرج على حانوت تباع فيه زجاجات الروائح الزكية واشترى
منه زجاجة (فيوليت) ليعطر بها جسده وملابسه ثم ذهب الى حلاق
في شارع سان ميشيل قص له شعره وحلق له لحيته وكانت قد نهبت
قليلا واتبع في ذلك نصيحة صديقه ألبير ديباس ثم رجع الى داره ودخل
في غرفته وأغلق الباب بالمفتاح وخلع ملابسه بعد أن بحث في
خزائنه عن أجل بدلة يمتلكها وارتابها وهو يتسهم ثم عطر وجهه ومنديله
وجلس على كرسيه بقرب النافذة ينتظر قدوم الخادمة لتسعدوه لتناول
طعام الغداء . ونادته الخادمة بعد قليل وتناول غداءه مع رفقائه النزلاء ثم
رجع الى غرفته وجلس قليلا على كرسيه ولكنه هب من مكانه ووقف
أمام المراة وأصاح رباط رقبته وأخرج ذيل منديله الحريري من جيبه
لتراه الناس ثم نظر في ساعته وقال (الساعة الثانية . أمامي ساعتان
فكيف أقضيهما) وخرج من غرفته وحادث صديقه البير ديباس في
التليفون واتفق معه على أن يقابله في حديقة اللكسمبورج في الساعة
الرابعة وغادر المنزل بعد أن حمل آلة الفوتوغرافية قاصداً تيار والادبون
وكان من عادته أن يطوف حوله مقلبا صفحات الكتب المعروضة
خارج هذه الدار التمثيلية وكان يرى في ذلك لذة كبرى لا تعادلها غير لذة
اهتمامه بشأن التمثيل في باريس . وكان قد قسم وقته ثلاثة أقسام : الدرس ،

والكتب الادبية والتمثيل . أما الآن فقد رأى أن يضيف اليهما قسماً
آخر يخص مرجريت تلك الفتاة التي دلتته واختبلته من أول نظرة
واقدم سائل نفسه مراراً لماذا يركن الى هذه الفتاة وينيط بها ثقته دون
أن يختبرها . ألم ير في أمها واختها الكبرى بل وفي تلك المرأة التي كانت
معهم (مدام لوشا) ما ينفره عن تلك الاسرة ؟ ولكن . . .

هو الحب فاسلم بالحشا ما المهوى سهل

وما اختاره مضني به وله عقل

ظل يقاب صفحات الكتب وإذا به يسمع صوتاً يناديه فالتفت
يمنة فرأى المسيو درفميني الممثل بدار الأديون يتسم له ويقول :

— ماذا تفعل في تلك الساعة يا صاحبي ؟

— ألقى نظرة على هذه الكتب .

وصاحفه مصاحفة الصديق للصديق وكان قد عرفه في قهوة بلزار في
أحد الليالي فصادقه وأحبه ومحضه . وودته وجهما أحبهما لئن التمثيل ، ووجد
حسن في صدقه الممثل رجلاً سليم الطوية طيب السريرة فكان كلما
رآه ود أن لا يفارقه . ثم قال له الممثل .

— . أجملك اليوم يا حسن . ما هذا التأنيق في اللباس وما هذه

الرائحة الزكية التي تنمش القلب . آه ومعك فتوغرافية أيضاً . ما شاء الله
ما شاء الله .

— أنتزح أم تقول صدقاً ؟

— لا أنكرك إني أحب المزاح كثيراً وما المزاح إلا صفة من

الصفات الأفرنسية . ولكنى لم أقل غير الصدق .
أتذكر يا صاحبي تأنيق لباسك وتلك الرائحة الزكية التي تنبعث
منك؟ أذكر ظني أنك اليوم على موعد من فتاة . قل الحق يا صديقي .
أعالمه هي أم ممثلة أم امرأة متزوجة؟ أفرنسية هي أم من طالبات العلم
الأجنبيات؟

— لقد خاب ظنك يا صديقي . ألا أراك هذه الليلة في قهوة بلزار؟
— تريد أن تغير مجرى الحديث . فليكن ما تريد . كلا يا صديقي ليس
في وسمى أن أراك الليلة . وإن شئت قابلتك غداً عند منتصف الليل .
وصافح صديقه المصرى واتجه نحو باب الأديون ثم غاب عن نظر
حسن . فقال حسن لنفسه (شاب زكى الفؤاد طيب الاخلاق . ما
أسعدنى بمعرفته) ثم غادر دار الأديون ودخل حديقة الكسوم . هرج
ومشى في دروبها وهو يفكر وما زال يطوف طرقاتها حتى لاقى صديقه
البيير ديباس فصاحه وتحادث معه قليلا ثم نظر في ساعته وقال (هيا بنا)
وسارا في شارع فوجيرار ثم عرجا على شارع رين قاصدين دار مدام
هيمرى رقم ١٤٤ فلما وصلا أمامها قال البيير
— لقد وصلنا يا صديقي . أرجو أن تكون هذه المرة أكثر

ثباتا وجلدا

فابتسم حسن وقال

— فلنصعد أيها الصديق وعلى الله الاتكال

وصعدا السلم حتى وصلا الى الطابق الرابع ووقفنا أمام الباب قليلا

وتردد حسن في دق الجرس فقال له البير (ما هذا الجمود أيها الصديق)
ودق الجرس مرتين وانتظر قليلا وإذا بالباب قد انفتح وظهرت وراءه
الصغيرة أيفون فلما رأتها صفتت بيديها .

— لقد صدق ظني يا أماه . هذا هو المسيو حسن والمسيو البير
والمدام فتوغرافيه معهما . سيصورنا اليوم فما أسعد حظنا .

ودخلا معها الصالون وصاخا مدام ميري والمدم وازيل ماري
ومرجريت ومام لوشا ومام ماريون وإبتها جيزيل ثم التفتا للرجال
وصاخا ما كس وكرينسكي وبفلوفسكي وردسيسكي وكانوا قد قدموا
للتصوير وجلس كل في مكانه وقال بفلوفسكي .

— أخشى يا مسيو حسن أن يمر الوقت دون أن نشعر .

ألا يحسن بنا أن نبادر للتصوير ؟

فهب ما كس من مكانه وقال .

— وهذا رأي أيضا .

فقال حسن .

— هيا بنا أيها السادة الى الشرفة .

وقاموا جميعا وأخذوا مكانهم في الشرفة وصورهم حسن صور

متعددة ولما انتهى من عمله قالت مدام ماريون .

— لقد صورنا المسيو حسن ولكنه لم يصور نفسه معنا

فيا لسوء الحظ .

فقالت ماري :

— ألم تبق في جمعة التصوير صورة أخرى ؟

فأجاب البير .

— بل صورتان يا مدمه وازيل .

فقالت مدام لوشا .

— فليكونا من نصيب المسيو حسن .

وقالت مدام هييري .

— ومن ياترى يتكرم منكم بالتصوير .

فقال كريفسكى : (أنا) وقال بفلوفسكى (بل أنا) وصاح ماكس (أنا . أنا) وصح الاقتراع وكان التصوير من نصيب ماكس جلسوا جميعاً في الشرفة مرة أخرى وجلس معهم حسن وصورهم ماكس صورتين ثم دخلوا الصالون ليتناولوا الشاي فاما جلسوا حول المائدة ، رأى حسن البولندي بفلوفسكى يتهاقت على الجالوس بجوار مارجريت فألمه ذلك واستمال الامر واسوء حظه وجد البولندي قد فاز بأمنيته وجلس بجوار مرجريت . فاضطرم صدره وتفتت كبده وقال لنفسه (ما هذ الجرأة أيقبلها بالأمس ويجلس بجانبها اليوم . ما الذي يريد هذا الشيطان من هذا الملاك) وأديرت كؤوس الشاي والحلوى فأكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً ورأى حسن مزاحمه البولندي يسر شيئاً لمرجريت جزعت له الفتاة واربد وجهها الجميل وأدارت وجهها عنه اشمئزاً وأنفة فعلم حسن أن البولندي خاطبها في شيء تمس كرامتها فغاضبه ذلك وأسخطه وكاد يزفر من الغضب ولكنه كتم غيظه وخفف من حيرته

فسكنت ثورته وقرت فوزته وحادث جاره . ما كس في شؤون شتى لينسى
ما حدث واذا بمدام لوشا قد وضعت يدها على تمثال صغير لالهة الجمال
(فيثوس) وقالت :

— ما أجمل هذا التمثال .

فضحك بفلو فسكى وقال .

— تمثل هذا الجمال تذوق المرأة لذة الحياة .

فنظرت اليه . مرجريت نظرة غريبة وقالت .

— وكيف ؟

فأجابها البوندى .

— تتسيطر على قلوب الرجال تعمل بها ما تشاء .

فضحكت ماري وقالت .

— لقد أصبت فيما قلت يا سيدي .

ولكن مرجريت قطعت على أختها الحديث وقالت .

— ايسمح لي المسيو بفلو فسكى بأن أقول أنه أخطأ فيما قال أو إنه

نسى شيئاً هاماً بدونه لا تقوم للجمال قائمة الا وهو جمال الروح . فالزهرة

الجميلة التي تراها في البستان تظل يانعة مخطف الابصار اذا لم تمسها يد

الانسان بسوء . أما إذا قطعتم تلك اليد فانها تذبل وتموت بعد أن

يتلاشى جمالها وذلك شأن المرأة أيضاً فانها تعيش جميلة امفتها وعلمارتها

فاذا دنس الرجل طهارتها . مات جمالها واندرست محاسنها وتحولت من

حالتها الاو الذي تتسيطر فيه على قلب رجل واحد الى الحال الثاني الذي

تسيطر فيه على قلوب الرجال لتفعل بها ما تشاء ولكنها ما زال بين
النساء من يدافعن عن شرفهن ويجاهدن في سبيل ذلك جهاد المستميت
فهن والحمد لله أكثر من الزهور قوة ولهن من سبيل الدفاع ما يجامهن
في ما أمن من غدر الرجال .

ثم سكنت المدموازيل مرجريت وهي تنظر المسيو بفلوفسكى
وتبسمت بعد أن انتقمت لنفسها من هذا الرجل بهذا الحديث الطويل
وفهم حسن معنى حديثها وعرف السر الذي دفعها لذكره فمره ذلك
وأناج صدره واستطاره الفرح فقال .

— لك الله يا مدموازيل . لقد نطقت بفصل الخطاب .

أما مدام لوشا ومام هيمري فقد وقع عليهما هذا الحديث وقوع
الصاعقة أما المدموازيل ماري فلم تأبه لما قالته أختها بل قامت من مكانها
وغادرت المائدة وقام الجماعة في أثرها وتفرقوا في أنحاء الصالون وود
حسن أن يقترب من مرجريت ليحادثها ولكنه وجد المدموازيل ماري
قد حالت بينه وبين حبيبته ثم قاده من يده الى ركن من أركان الغرفة
وقالت له مازحة .

— يالك من شيطان ما كر .

— أنت قاسية في حكمك يا سيدتي .

— ربما كان الامر كذلك ولكنك أشد مني قوة .

— أنا ؟

- نعم أنت . أراك تنفر منى نفور الفأر من القط فما الذى يخيفك منى ؟

- أو كذالك يا مدموازيل

- لا أحب كثرة الكلام ولا أريد أن تكون كصديقتنا جيزيل فنوغرافاً لا ينقطع عن الحديث . إن أردت أن تبرهن لى على صداقتك أو شئت الأفضاح عن حبك . . . (وابتسمت بعد أن تناولت يده وهزتها فى يدها) فاحضر غداً فى الساعة الرابعة بجوار نافورة ميدانيسيس فى حديقة اللكسمبورج . سنكون جميعاً هناك وربما حادثتك فى شئون شتى تهيك . أتعذرنى بالحضور .

فبكر حسن هنيهة وقال لنفسه (وما ضرتنى لو ذهبت لأرى مرجريت) ثم قال لمارى .

- سأكون هناك فى الميعاد يا مدموازيل .

ونادت مدام هيبرى ابنتها مارى فأبقت نداءها وغادرت حسناً فى مكانه وقد سرده ذهابها . فلما خلا بنفسه اقترب من مدموازيل مرجريت وقال :

- الطمس جميل اليوم يا مدموازيل .

- أجل . ولكنى أحب الغيام كثيراً وأرى بين نفسى وبين الظلام اتصالاً كبيراً .

- يظهر لى أن المدموازيل حزينة .

- ربما كان الامر كذلك . ولقد بحثت كثيراً عن سر حزنى فلم

أهتدأ شئاً فأنا من جماعة المتشائمين الذين لا يرون في الحياة إلا شقاء،
يتبعه شقاء .

— لملك قرأت كتب شورينهور .

— لم أقرأ منها حرفاً واحداً . وإن كانت آراؤه كما تقول فأنا أول

من يسير على آثاره

— أو على آثار المعري .

— ومن هو المعري ؟

— فيلسوف العرب وإني أذكر له بيتاً من الشعر يتضمن لباب

فلسفته ألا وهو .

(هذا جناه أبي عليٍّ وما جنيت علي أحد)

وترجم لها البيت بعد أن تلاه بالعربية فسرهما . مناه وقالت له

وهي تبسم .

— ليتنى كنت أعرف العربية لأقرأ كتاب هذا الفيلسوف .

— عندي نسخة إفرنسية مترجمة عن العربية سأحضرها

لك لتقرأينها .

فشكرته وتحادثنا قليلاً وإذا بدمام لوشا قد قبرت . منهما وهي تقول .

— ماذا تفعلان هنا ؟

فاجاب حسن

— نتحدث على الفلسفة

— عن الفلاسفة ! هذا كثير : وهل يروق لكما أن تتحدثا عن
الفلاسفة واتما في هذه الدار . وهل انتقل السربون الى دار مدام هيمري
حتى تتناقشان في آراء فلسفية تصدع الرأس !
فضحك الجميع ثم مكثوا قليلا يتحدثون ويضحكون وأن وقت
الانصراف فاستأذن المدعوون وخرجوا وتفرقوا عند رأس الشارع وسار
حسن وصديقه البير في شارع فوجيرار فقال البير .

— لقد لاحظت كل شيء يا صديقي ولا مربة بعد اليوم في

غرامك

فضحك حسن وقال

— ربما كان الأمر كذلك

ووصلا إلى تياترو الأديون فصعد حسن على سامه وعرج على

مكتبته واشترى ديوان المعري فقال له صديقه

— لمن تشتري هذا الكتاب ؟

— لنفسى

فابتسم البير وقال

— أو لنفسك الثانية

واستأذن من صديقه وغادره أمام تلك الدار التمثيلية فلما خلى حسن

بنفسه وقف هنيهة يفكر ثم قال (يا لله لم أهتمد بعد لسر هذه التمتاة بل

لسر تلك الاسرة الغريبة) وإذا به يسمع صديقه الممثل درفينى يقول له

— لقد عدت يا صديقي لعلك كنت سعيد الحظ
— لم أوفق كل التوفيق ف
— لا تبدي مسألتك فانها . . . ألة عويصة . الى اللقاء
وعمَّ بمغادرته فاستوقفه حسن وقال له .
— ما هذا الاسراع ؟

— سنبدي الياة في منتصف الساعة الثامنة اطول الرواية ونحن
الآن في الساعة السابعة فأماي نصف ساعة تكفي لصبح وجهي وارتداء
ملابسي التمثيلية . الى اللقاء يا صديقي . أرجو أن ألقاك غداً عند منتصف
الليل في قهوة بلزار وأرجو أن تكون في المرة القادمة أسعد حظاً
وأكثر توفيقاً

و غادره ودخل دار التمثيل فوقف حسن هنيهة ثم ذهب الى شبك
التذاكر واشترى تذكرة وقد ألهاه ما رآه في ذلك اليوم عن تناول
طعام العشاء

(ملحوظة) لم يكتب المؤلف من مذكراته غير ما نشرناه هنا

—
تم الكتاب
—

انتهى كتاب وميض الروح وهو الجزء الأول من مؤلفات
المرحوم محمد بك تيمور ويليه الجزء الثاني وعنوانه :

حياتنا التمثيلية

حقوق طبع مؤلفات المرحوم محمد بك تيمور
محفوظة للناشر محمود تيمور

كل نسخة غير ممضاة باءضاء الناشر تعد مسروقة



فهرسة الكتاب

الفهرسة

	صفحة
المقدمة	٣
اهداء الكتاب	٤
الى اخى	٦
محمد تيمور . رسالة عن تاريخ حياته وشرح أعماله	٩
تاريخ حياته	١١
الطور الأول . حياته الأولى فى مصر	١٢
الطور الثانى . حياته فى أوروبا	١٥
الطور الثالث . الرجوع الى مصر : طور العمل	١٧
مؤلفاته	٣٢
قطعه التنظيميه	٣٢
نثره	٣٥
قطعه الوجدانية	٣٦
قطعه الاجتماعية والأدبية	٣٦
قطعه القصصية	٣٨
ماتراه العيون	٣٨
الشباب الضائع	٣٩

	صفحة
خواطر	٤٠
مذكرات باريس	٤١
ما كتبه عن التمثيل	٤٤
منولوجاته التمثيلية	٤٥
نقده على الممثلين	٤٨
محاكمة المؤلفين الروائيين	٥٠
مقالات مختلفة عن التمثيل	٥١
روايته التمثيلية	٥٣
مقدمة عن الثلاث روايات	٥٤
المصفور في القفص	٥٧
عبد الستار افندى	٦٤
المهاوية	٧٥
خاتمة	٨٨

الكتاب الاول . ديوان تيهور

اهداء الديوان	٩٠
مقدمة الديوان	٩١
شعار صاحب الديوان	٩٢
شاب يحتضر	٩٣
الغريب الفقير	٩٣

	صفحة
ضحكات طفل	٩٤
الليل	٩٤
دمعة عين	٩٥
القيط	٩٦
الترجسة اليانعة فوق قبر الشاعر	٩٧
القلب	٩٧
شجرة على شفا الموت	٩٨
الهرم الاكبر	٩٩
البلبل الصامت	١٠٠
نفس الشاعر	١٠١
الشاعر الغضبان	١٠٢
النجم الآفل	١٠٤
ظلام النفس	١٠٤
الذكرى	١٠٥
أمس واليوم	١٠٦
الليل أقبل	١٠٧
الصباح أقبل	١٠٨
ساطان الليل	١٠٩
الفجر الاول لمحمد على	١١١
النهاية	١١٢

	صفحة
خوفو	١١٥
حَكَمَ الحَبِّ	١١٧
خواطر الوحدة	١١٨
الدار الحزينة	١٢٠
الضحايا	١٢١
يلومني قومي	١٢٢
صبراً يا فؤادي	١٢٢
ويك قلمي	١٢٣
الشفق	١٢٤
الطائر السجين	١٢٥
عرش الحداد	١٢٦
استمطاف	١٢٦
صورة من صور الليل	١٢٧
زفرايت الشباب	١٢٨
اعتذار	١٢٩
الجرح الاول	١٣١
كما تشائين	١٣٢
عشتا تبكي	١٣٢
ليلة	١٣٣
مولود الهموم	١٣٣

	صفحة
أنا وهي	١٣٤
حياة الخاطر	١٣٥
أنتِ !	١٣٦
ليلى طويل	١٣٧
حياتي	١٣٧
أرجوحة اللاعب	١٣٨
هديتي	١٣٨
الريح	١٣٨
أحن إلى الاوجاع	١٣٨
الظبي النافر	١٣٩
أخاف	١٣٩
أنا وانت	١٤٠
أمام	١٤٠
نفثة مصدر	١٤١
يا قصر الهاجر	١٤٢
دمع الشفق	١٤٣

الكتاب الثاني . الوجدان ١٤٥

عودة الموجهة ١٤٧

متى أنساها ١٤٩

الماضى	١٥١
الشاعر والليل	١٥٣
حب البقاء	١٥٦
حديث زهرة	١٥٨
المهرم الاكبر	١٦٣

الكتاب الثالث . الادب والاجتماع	١٦٥
الخوف من الحياة	١٦٧
الافكار القديمة والحديثة	١٧١
المجمع اللغوى	١٧٣
شخصيتنا	١٧٦
أمرأونا	١٧٨
العام الجديد	١٨٠
نظرات فى تاريخ مصر	١٨٣
الوطن	١٨٦
مدرسة القضاء الشرعى	١٨٨
بول آدم	١٩١
المواكب لجبران خليل جبران	١٩٣
شوقى	٢٠٢
الفرد رول	٢٠٧

أدمون روستان ٢٠٨

شاتو بريان ٢١٠

الكتاب الرابع . ما تراة العيون ٢١٥

في القطار ٢١٧

عطقة ال منزل رقم ٢٢ ٢٢٤

بيت السكرم ٢٣٠

حفلة طرب ٢٣٨

صفارة العيد ٢٤٣

ربي لمن خلقت هذا النعيم ! ٢٥٠

كان طفلا فصار شابا ٢٥٦

العاشق المفتون بالرتب والنياشين ٢٦٢

قصة الشباب الضائع ٢٧١

الكتاب الخامس . خواطر ٣٤٩

ريان يا فجلى ٣٥١

للفقراء مجاناً ٣٥٤

درس في كتاب ٣٥٨

عرس وماتم ٣٦١

رمضان في قهوة ماتاتيا ٣٦٣

	صفحة
ولكن المرأة لم تخلق لهذا النعيم في مصر	٣٦٦
لبن بقموة ولبن بالتراب	٣٦٨
سر من أسرار تأخر المصريين	٣٧٠
سارق وسارق	٣٧٣
هنا وهناك	٣٧٦
<hr/>	
الكتاب السادس - مذكرات باريس	٣٧٩
اليوم الاول	٣٨١
حول المرأة	٣٨٥
ليلة في الأدب	٣٨٩
صديق من أمريكا	٣٩٥
خرطوش وسكر	٤٠١
هو وهي	٤٠٥

فهرسة الصور

	صفحة
صورة رمزية تمثل آمال الحياة المحطمة والعمل الخالد للادب والفن	١
الصغير محمد تيمور . الطفل الذي لم يره أبوه	٥
المرحوم محمد بك تيمور في العقد الثالث من عمره	٧
المرحوم محمد بك تيمور وابنته ربرى	٢٣
المرحوم محمد بك تيمور طالب حقوق بباريس	٢٥

بيان

عن

الجزء الثاني والثالث من مؤلفات

فقيه الأدب والمسرح

الرحمن
محمد بن محمد

نحت الطبع ويظهر قريباً

كتاب

حَيَاتِنَا التَّمْثِيلِيَّةُ

الجزء الثاني من مؤلفات الفقير

يحتوي هذا الجزء على كل ما كتبه الفقير عن التمثيل مثل
منولوجاته التمثيلية ومقالاته الانتقادية ومحاكمته للمؤلفين الروائيين الخ
مضافاً إلى ذلك رواية

عَبْدُ التَّارِافندي

وهي رواية كوميدية ذات أربعة فصول
مثالها الممثل المشهور عزيز أفندي عيسد

نحت الطبع وبظهور قريباً

كتاب

المسرح المصري

وهو الجزء الثالث من المؤلفات
ويحتوي على الروايات الآتية

العصفور في القفص

وهي رواية كوميدى ذات أربعة فصول
مثلها جوق الأستاذ رشدى

العشرة الطيبة

وهي رواية كوميدى أوبريت ذات أربعة فصول
مثلها جوق نجيب افندى الريحاني

التهنئة والتهنئة

وهي رواية كومبري درام ذات شهرة فصول
تمثلها شركة ترقية التمثيل العربي (آل عكاشة)

نطلب مجانا مجموعة

مراثي المرحوم محمد بن عبد الله

من العائلة رأسا

وهي مجموعة ما قيل من المراثي في حفلات التأيين وما نشرته الصحف
